QAYATI

NAFHAT
AL-BASHAM


Princeton University Library
32101 073507681

al-Qāyātī, Muhammad 'Abd al-Jawād

كتاب

Nafhat al-basham

نفحة البشام في رحلة الشام تأليف حضرة

الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم

العالم العامل والمرشد الكامل

الشيخ محمد عبد الجواد

القاياتي حفظه

الله

(البشام كسحاب نبت طيب الرائحة)

—*※※*—

(طبعت على نفقة حضرة الماجد)

الشيخ محمد مصطفى قايد

—*※※*—

طبع بمطبعة جريدة الاسلام بمصر بحارة السقايين سنة ١٣١٩ هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والشكر له على رفده والصلاة والسلام على نبيه وعبده محمد الهادي الى سبيل رشده وعلى آله وعترته من بعده وصحبه وحزبه وجنده

(اما بعد) فانه لما اراد من لا رادّ لقضائه ولا معقب لامره وامضائه لهذا العبد الفقير والعاجز الحقير محمد بن عبد الجواد القاياتي المصري واخيه الشيخ احمد بالهجرة الى الديار الشامية والاقطار المباركة القدسية عقيب الحوادث المصرية والمسألة الشهيرة العرابية اردت ان اذكر بعض ما اشتملت عليه هذه الرحلة بالجملة وما احتوت عليه هذه المحنة من المنحة فشرعت فيما اردت متوسلا بجاه الرسول في بلوغ المأمول والمسؤل وعلى الله القبول والتوفيق فيما اقول

(اعلم) ان مبدأ هذه المسألة التي اخرجتنا من ديارنا بسببها ونصبها هو قيام جماعة من العسكرية المصرية يرأسهم سعادة احمد باشا عرابي المصري يطلبون من حكومتهم المصرية ان تسن لهم قانونا نظاميا عادلاً للعساكر الوطنية يمشون

على مقتضاه ويجرون احكام تاديباتهم وترقياتهم على مجراه حتى لا تغتالهم من بعد غوائل الاستبداد المتسلط المتسلطن عليها تيك البلاد ولا يرموا بسهام الاغراض عن قسي الحوادث والاعراض فصدتهم الحكومة المحلية عن ذلك وصادرتهم في سلوك هـذه المسالك وما زالوا يتنقلون في حركاتهم ويتدرجون في مدارج طلبتهم لاجل ان يدركوا مأربهم وينالوا مطالبهم الى ان بلغت المسالة ما بلغت من التداخل بكثرة التحريك من الخارج والداخل وتصدت الامة الانكليزية لمحاربة العسكر المصرية وهي الزاعمة بانها زعيمة الحرية في سائر الكرة الارضية فبعد ان مكروا مكرهم واجمعوا امرهم جاؤا باباطيلهم واساطيلهم فدمروا مدينة الاسكندرية وخربوها وهي كروضة سندسية قبل محاربة عساكرها وجيوشها فاصبحت خاوية على عروشها خالية من اثاثها ومفروشها وزينة مبانيها ونقوشها فانظر كيف فعلوا زاعمين ان قصاوى نيتهم وغاية بغيتهم الاصلاح والتعمير لا الافساد والتدمير ومع ذلك تعدوا حدودهم واخلفوا وعودهم وخالفوا عهودهم وبذلوا مجهودهم لينالوا مقصودهم فما هكذا يفعل من يروم الصلاح والاصلاح والراحة والارتياح وينادي بين الامم بحي على الفلاح وهلموا الى الفوز والنجاح فكأنما يدَّعي انه خليفة الرب على عباده او وصي آدم على اولاده ثم بعد ان نفذ امرهم وحاق بالامة المصرية مكرهم واتموا حيلتهم وفعلوا فعلتهم تداولوا مع الدول في مطالبة اهالي البلاد بغرامة ما صنعوا فيها من الفساد واقرضوهم تسعة ملايين ولكن الله لا يصلح عمل المفسدين

مطلب سبب الخروج من مصر

وسبب خروجنا من مصر هو ان اهالي البلاد عند ما صارت الاحكام فيها عسكرية وانتشبت الحرب بين الانكليز واهل الوطن العزيز اجتهدوا غاية

الاجتهاد في سبيل المدافعة والجهاد باخذ الاهبة والاستعداد واعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل الجياد و بذلوا ما يملكون من نفائس النفوس وما يقدرون عليه من مأكول وملبوس ومهمات عسكرية وتجهيزات حربية وغير ذلك مما تصل اليه يد الاستطاعة ولو ببسط اكف الابتهال والضراعة كل منهم على حسب حاله وما يليق بامثاله حتى ان اهل العلم والطريق وما اشبه هذا الفريق كانوا يساعدون بالدعوات الصالحات والاستغاثات والتضرعات الى حضرة رب البرية في دفع هذه البلية وكانت السادة العلماء الاعلام ولاسيما استاذنا شيخ الاسلام يقرؤن كتاب البخاري الشريف في الجامع الازهر الانور المنيف والافاضل منهم الكملة يحثون على اتحاد الكلمة في مقاومة هذا البلاء والاصر النازلين على بلاد مصر وليس هذا الامر بالعجيب منهم ولا بالغريب صدوره عنهم فذلك شان كل امة قصدتها بالحرب امة اخرى فهي ترى ان الدفاع اولى واحرى بل ربما تراه من الواجب على الاعيان لا سيما اذا تخالفت الاديان واختلف اللسان وتباينت العقائد وافترقت العوائد فبهذه النسبة العلمية والمناسبة العملية التمس منا اهل بلادنا القيام معهم لنكون لهم قدوة وتكون لهم بنا اسوة في مساعدة اخوانهم الجهادية بالمراكز العسكرية والنقط الحربية والحدود الدفاعية وذلك من انقاد غيرتهم الدينية وحميتهم الوطنية فتوجهنا معهم الى تلك المواطن والله اعلم بالظواهر والباطن فلم نلبث الا قليلا من الايام وقد فشلت الاقوام وحصل الانهزام بواسطة الخيانة من بعض اللئام وبث انواع الدسائس ودس الوساوس في قبائل العربان وعشائر البلدان وغالب الامراء والاعيان لسابق الامر المحتم والقضاء المبرم وقضت علينا حكمته الباهرة بدخول الجيوش الانكليزية القاهرة وفي مقدمتهم نائب الحضرة

الخديوية وهو رئيس النواب في البلاد المصرية فاول ما بدأ به من الاعمال
في هذه الحال الترخيص لهم في الحلول بالقلعة العلية والقشلاقات العسكرية
مثل قصر النيل والعباسية والامر بالقبض على من نسب الى هذه الحركة كائناً
من يكون ولو كان المعهود من عادته السكوت والسكون انا لله وانا اليه راجعون
ما قدره الله لا بد ان يكون فكنا في ضمن من وقع الحجر والحجز عليهم بعد
صدور الاوامر العالية فيهم فصار سجننا بسجن مديرية المنيا من مديريات الصعيد
مع جم غفير وعدد كثير من الوجوه والاعيان ومشايخ العرب والبلدان
لا تهامات يطول شرحها بغير طائل والغالب فيها الوشاية بالباطل

فمن هؤلاء الناس من نسب الى التطوع ومنهم من نسب الى التبرع ومنهم
من اتهم بالتهييج للخاطر وتحريك الساكن من الخواطر ومنهم من ادعي عليه
بالتشيع للجهادية وكثرة قراءة الجرائد المحلية وغير ذلك من الاسباب الخصوصية
والبواعث العدوانية لدواعي العداوات الشخصية بدون مراعاة المصالح العمومية
فكم قبض على بريء واطلق سبيل مجترئ بمجرد الوشاية فيه من بعض اعاديه هكذا
حصل في غالب المديريات سوى من قبض عليهم في القاهرة والاسكندرية
ودمياط ورشيد من الذوات والبكوات والباشاوات والعلماء والامراء واولاد
الفقراء ومكثوا في اقبح السجون بغاية الاحزان والشجون يكابدون عذاب الهون
بانواع لا تحصى ولا تحصر من العذاب الادني دون العذاب الاكبر واما اكبر
المعذبين فاهل الفضل والدين فقد وقع لهم من الحقارة والتنكيل والاستهانة
والتخجيل والكرب والخطب الجليل مالم تسمح به لهم اهل التوراة والانجيل
فحسبنا الله ونعم الوكيل

يطاف بهم في الاسواق والشوارع والمحافل اذ الاغلال في اعناقهم

والسلاسل وبعد ان مضت لهم على هذه الحالة اربعة من الشهور كانها اعوام ودهور ومثلوا بغاية المثلة على حال لم يروا مثله بين يدي الكتبة اقباط النصارى وهم في امرهم تائهون حيارى . واشخصوا امامهم لاجل الاستنطاق بما لا يطاق . ولا تضبطه الاوراق ولا يدخل حصره في نطاق صدرت فيهم الارادة النفسية على غير ما يراد باجلائهم وخروجهم من البلاد وابعادهم عنها اي ابعاد فمنهم من نفي مؤبداً الى سيلان ومنهم من نفي بمدة الى السودان ومنهم الى خارج القطر وملحقاته بدون تعيين مواطنه وجهاته وكنا من هذا القسم الاخير نحن وجم غفير فبودرنا بالاخراج من غير مهلة ولا تاخير فالحكم لله العلي الكبير نعم المولى ونعم النصير فلقد كان هذا النفي بحسب الايجاب . لا بموجب قوانين عادلة ولا اسباب ان هذا لمن عجيب العجاب عند اهل العقول والالباب وقلت شعراً في المعنى

هذا زمان غرائب وعجائب لا تنقضي
النفي في ايجابه والمنع منه بمقتضي
لا يرتضي من حكمه الا بما لا ارتضي
ولكم يطاردني وسيـ ـف البغي منه ينتضي

وفيه نكتة تاريخية وهي ان جمل (غرائب عجائب) موافق لسنة حادثة النفي المذكور

نادرة من نوادر الدهر وبادرة من بوادر العصر هي انه كان من جملة من قبض عليهم في هذه المسالة حضرة العالم العامل والامام الهمام الكامل المحدث الفقيه الاصولي النحوي المتفنن المتقن صاحب التآليف المفيدة والتصانيف العديدة من طار صيته في الآفاق وانعقد على فضله الاتفاق الاستاذ الشيخ محمد عبد الله عليش المغربي الاصل المصري المولد شيخ السادة المالكية بالجامع الازهر والمعبد

الانور اخذ مريضاً من داره محمولاً لا حراك به واودع في سجن المستشفى بل سجن التشفي الى ان توفي وانتقل الى رحمة الله ودار النعيم في مقعد صدق عند مليك كريم ولما نعي موته الى اهل بيته واقربائه واحبابه واصدقائه ارادوا ان تجهز جنازته من داره فلم تسمح لهم الحكومة في رجوعه الى البيت نكالاً له كما زعمت وهو ميت ولم تكتف بموت هذا الامام في المستشفى حتى ابعدت اكبر اولاده معنا في ذلك المنفى فهذا جزاء جريمة من يحامي عن وطنه ودينه لقوة ايمانه وصدق يقينه (ثم بعد) ان صدرت هذه الاحكام واشعرتنا بها هؤلاء الحكام ورضينا بها ظاهراً عوضاً عن الاعدام الذي لم يزل بهذه المدة يخطر بالخواطر والاوهام نقلنا الى مصر بسجن الضابطية واقمنا به نحو العشرة ايام . وفي اثناء هذه المدة عرضنا لنظارة الداخلية مرارا بطلب الترخيص لنا بالتوجه الى الاقطار الحجازية لمجرد قصد النسك والعبادات الدينية وليس لنا غرض في ذلك سوى المناسك والله اعلم بما هنالك واستعملنا في هذا الطلب الالحاح واللجاجة لتكون الغيبة كما تقول العامة حجة وحاجة فلم ينجح هذا الارب ولم يسمح بهذا الطلب واحرمنا من سكنى الحرم ومجاورة سيد الامم واشرف العرب والعجم ولو انا ادركنا هذا المقصد بتلك الوسيلة لفزنا بغاية النعم وانتهزنا احسن فرصة وخفت عنا هذه الغصة ولكن المقادير لم تساعد في هذا الزمن المعاند وانتقلنا بعد ذلك من مصر الى الاسكندرية بسجن الضابطية ايضاً واقمد راينا به من الاحوال والاهوال مالا يخطر بخاطر ولا بال واقمنا به نحو اسبوع وسافرنا الى الشام في الوابور بالبحر الابيض فشاهدنا فيه الموت الاحمر في كل يوم اسود كالقار لان السفر كان في ازمن الشتاء وهبوب الرياح وهيجان البحار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار هكذا يكون زمان الامتحان واوان الافتتان اللهم انا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن وكان

نزولنا من ثغر الاسكندرية الى البحر عصر يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع
الاول الذي هو من شهور الف وثلاثمائة واما الحرب والهزيمة فكانا في سنة الف
ومائتين وتسعة وتسعين من هجرة سيد المرسلين و بتنابه ليلة المولد النبوي الشريف
واقمنا به يوم السبت و يوم الاحد وسافرنا ليلة الاثنين فوصلنا صبيحته بورت
سعيد فاقمنا به طول النهار ثم اقام بنا الوابور ليلا وسار فدخلنا صباح يوم الثلاثا
الى مرسى يافا وهي في غاية من المخافة فلبثنا بها الى ظهر ذلك اليوم وسافرنا الى
حيفا فوصلناها غروب الشمس وسرنا ليلاً الى بيروت فدخلنا صباح الاربعاء
و بعد ان خرجنا من البحر نزلنا فى خان من خاناتها بجوار الاسكلة مشهور بخان
السيد فما لبثنا به الا يسيراً وقد وجدنا منزلاً للسكنى من منازل آل القباني عائلة
مشهورة من مشاهير عيال تلك المدينة المعمورة ولقد كان لنا في عهد المجاورة بالجامع
الازهر صحبة واخوة باحد هؤلاء العائلة اهل الفتوة وهو حضرة الاخ الامجد المحب
الاوحد جناب الشيخ احمد افندي القباني من افاضل العلماء واماثل الادباء
فبمجرد ان سمع بقدومنا بادر على الفور بمقابلتنا واسرع في زيارتنا بالخان المذكور
ودعانا للنزول في منزله المعمور فاجبناه بلبيك لا تثريب عليك قد اخذنا من احد
اقربائكم منزلا لكم وبحذائكم فقال على الرحب والسعة والعيش الهني والدعة
وحيهل الى المحل فنهضنا بغاية السرعة معه وركبنا في عربة مسرعة الى ان دخلنا
على بركة الله ذلك البيت وكل منا لشدة الاهوال برا وبحرا حي كميت كالخارج
من القبور يوم البعث والنشور اذا نفخ في الصور الا ان الله سبحانه وتعالى قد من
علينا بعد ذلك من كرمه وفضل جوده ونعمه باتساع الدور وانشراح الصدور
ولطف بنا في هذا القدر المقدور وامننا في هذا الامر المخوف المحذور الا الى الله
تصير الامور وما زلنا في هذا المنزل بحي من الاحياء المشهورة يقال له حي

الباشورة بجوار دور السادات آل حماده من اكابر اهل المجد والسياده اولاد المرحوم السيد فتيحة الاسكندري الاصل والمولد البيروتي الاقامة خدم الدولة العلية وتقلد في خدمتها بوظائف سنية حتى نال حظاً من القبول وافراً ونفوذاً باهرا وظهر في مظهره بعد وفاته ولده المرحوم الحاج سعد افندي حماده فكان طالع سعده ميموناً بين الجماعة ذا كلمة مسموعة واوامر مطاعة وبعد ان توفي ايضاً (رحمه الله) برحمته العميمة قام بشعائر تلك العائلة الكريمة جناب صاحب العزة والتمكين حضرة اخيه السيد محيي الدين الموجود الآن باكمل الصفات والنعوت مقلداً برئاسة بلدية بيروت وله الذكر الجميل والقدر الجليل حفظه الله وجميع انجاله من حوادث الدهر الخؤون ولطف بهم في جميع الاحوال والشؤون ولقد تعرفنا بهذه العائلة وتعرفوا بنا بواسطة اعز اخواننا واصدقائنا حضرة الشيخ احمد افندي القباني بلغه الله جميع الاماني فصرنا نزورهم ويزوروننا ويخصوننا بمزيد الملاطفة والمؤانسة في المجالسة والمجانسة حتى خف عنا بوجودهم ما كنا نجده من الم الغربة وماينال الغريب من الوحشة فيها والكربة فجزاهم الله عنا وعن جميع اخواننا المصريين كل خير ودفع عنا وعنهم كل ضير وكان ممن يرعى الجوار ويكرم الجار ولو جار ويرعى حرمة النزيل صاحب الراي النبيل والقدر الجليل عزتلو قباني زاده السيد عبد القادر افندي مدير جريدة ثمرات الفنون الزهية الزاهرة البهية الباهرة فكان حفظه الله وانجاله وادام اجلاله لقرب دارنا من داره يكرمنا بازدياره ويتحفنا بلطائف اخباره وظرائف اسماره وبدائع افكاره ولكم صنع معنا من انواع التلطف والوداد ما تطيب به النفس وينشرح به الفؤاد بلغه الله من اسعافه واسعاده غاية مرامه ومراده وكذلك جناب اخيه الاكرم الوجيه الانخم عزتلو السيد سعد الدين احد الرجال المستعدين المعدودين وله خدامات

للدولة والوطن مهمة وتوظف في جملة مأموريات جمة لطيف المحاورة ظريف المسامرة وهو والدحضرة صاحبنا الازهري الشيخ احمد افندي قباني زاده المتقدم ذكره الذي كان عضوا من اعضاء شعبة المعارف في بيروت بعد الغاء جمعية المقاصد الخيرية التي انشأها عمه السيد عبد القادر القباني صاحب امتياز جريدة الثمرات وسنذكر ان شاء الله تعالى طرفاً في التكلم على هيئة المجالس والمحاكم والادارات في الولايات السورية في فرصة اخرى لما ان كيفية الادارات فيها اولى بكثير من الادارات المصرية واحرى . (ولنرجع) لما نحن بصدده وفي سياق عدده من ذكر من تعرفنا بهم من وجوه هذه المدينة وامرائها وعلمائها وادبائها وتجارها واهل اعتبارها فنقول ان من عيالها الكبيرة الشهيرة بيت السادات بيهم فان لهم تجارات عظيمة وثروة جسيمة وقصوراً مشيدة وبيوتاً عديدة واملاكاً وعقارات وحوانيت وخانات والموجود منهم الى هذا العهد حضرة الحاج محمد عبد الله بيهم يعيش من العمر فوق الثمانين وهو ثابت العقل والدين وله ذرية مباركة من اولاد واحفاد (فمن احفاده) حضرة الزكي الاديب والالمعي الاريب عزتلو حسن افندي بيهم الشاعر الناثر الفصيح الماهر المتكلم ببعض اللغات الاجنبية ذي النباهة والفطانة الفطرية كان اول مبادر من عائلتهم بالتسليم علينا والتردد والتودد الينا بغاية الانس وطيب النفس ومن انشائه قوله مفردا

ليس السياسة الا الكذب مختلقاً ولا التمدن الا قلة الدين

ومن هذه العائلة ايضاً صاحب السعادة والسيادة الحاج محي الدين افندي بيهم تولى قديماً رئاسة البلدية وهو الآن مشتغل بأمر تجارته رافل في حلل يساره وثروته مع خشوع واستكانه وعلو قدره ومكانه وله بعض احسانات لذوي

الفقر والحاجات واقد نبغ فيهم من مدة وجيزة وبلغ فيما بينهم مرتبة عزيزة المرحوم الحاج حسين افندي بيهم فانه كان في الذكاء غاية وفي الفطنة آية له معرفة بالادب وكلام العرب ينظم الاشعار الرائقة والمعاني الفائقة ذو خبرة تامة بالسياسة ونفوذ تام بما ناله من الرآسة الا ان المنية اختطفته في عنفوان شبابه ولم ترع حرمة احترامه وآدابه فعزى الله اهل بيته في هذا المصاب بما رزقه من انجاله الانجاب

(ومن العائلات القديمة) والبيوت الكريمة عائلة رمضان ذي المجد والشان موجود منهم الى الآن حضرة السيد عبد الغني افندي رمضان وهو كبير هذه العائلة المشتهرة وله من الاولاد النبهاء نحو العشرة وغالبهم مستخدم في الادارات الملكية وهو ايضاً عضو من اعضاء الجزا (مجلس البلدية) وحضرة السيد عمر ابن امين اغا رمضان الذي كان والده من قديم الزمان موظفاً بوظائف علية حتى في ايام دخول الحكومة المصرية في البلاد السورية واما هو الآن فقد صار عضواً من اعضاء مجلس الادارة بدلاً من المرحوم عمر افندي الغزاوي بعد ان توفي (عليه رحمة الله) وكان هو ايضاً من كبار اهل البلد غني وثروة وله شركة كبيرة مع جناب نعمة الله بك حلابو (الذي كان بالاسكندرية) وهو شامي الاصل بلغ من الشهرة في التجارة مبلغاً وافراً حتى صار له مع شريكه المذكور وابوران يستخدمانهما في تجارتهما في البحر الابيض والاحمر احدهما قاصد كريم والآخر راجي كريم فسبحان المولى الكريم الحليم . (ومن اهل الشهرة) في هذه المدينة السيد محمد اياس الدمشقي الاصل نال من الثراء والغناء ما لا يدخل تحت نطاق الاحصاء والله يؤتي ملكه من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير . (ومنها) المكرم الحاج حسن افندي الفندور له في التجارة حظ موفور (ومن البيوت الكبيرة) والعيال

الشهيرة صاحب المقام الكبير والقدر العالي الخطير السادة آل البربير وكان من اكبرهم سنّا ومقاماً واعظمهم عزًا واحتراماً السيد محمد ابو ابراهيم توفي هذا العام بعد ان بلغ من العمر نحو الثمانين وهو صحيح العقل وافر المعرفة والفضل وكل هذه العائلة من اهل المعارف الوفيرة والمزايا الكاملة الكثيرة فمنهم التجار الكبار والعلماء الاخيار والكتاب العظام في غالب الاقلام كالسيد محمد امين واخيه السيد سليم واخيه السيد بشير الذي هو مدير ابوستة الاتحاد العثماني والشيخ ابراهيم افندي واخيه السيد عمر اولاد المرحوم السيد محمد المتقدم الذكر من اهل العلوم والآداب والفهوم وكان لهذه الطائفة من منذ جيلين قريب شهير يسمى السيد احمد البربير عالم فاضل نحرير من كبار العلماء المشاهير له مؤلفات جليلة ومصنفات جميلة فى العلوم العربية والفنون الادبية اطلعت له على شرح بديع يشهد له بحسن الصنيع يسمى بالفتح الجلي على بيتي الموصلي وقد طبع هذا الكتاب بالمطبعة الادبية في بيروت واشتغل الفقير بخدمة تصحيحه مع حضرة الشاب الظريف السيد محمد عمر البربير ولكن جل الفضل في تصحيحه لحضرة الاستاذ الشيخ الاحدب وهو كتاب لغة وادب كله عجب وقد اهديت الينا منه نسخة بعد الطبع ظريفة الشكل والوضع وله الفصيحة العجما في قوله صلى الله عليه وسلم (أحبب حبيبك هونًا ما) ومحاكمة بين الماء والهوى وغير تلك الاشياء من الكتابة الفائقة والاشعار الرقيقة الرائقة مع لطافة النكتة وظرافة الذائقة ومما حكاه لي قريبه ابو ابراهيم البربير انه كان ذات يوم عند احد اعيان شرفاء مكة المكرمة وكان في اصبعه خاتم وله فص من الاحجار الثمينة فانكسر الحجر وسقط من يده فتشاءم الشريف من ذلك فأنشد الشيخ على البديه من كلامه وبديع نظامه

لاتخش يا ابن رسول الله من حجر   رأى المكارم في كفيك فانفجرا

فان سعدك سعد لا نظير له　　فاق السعود واضحى يفلق الحجرا

(ومن القاطنين بها) والساكنين فيها من اهل الاعتبار وكبار التجار السيد محمود افندي ابن السيد رشيد الخوجه واخوه السيد محمد علي الخوجه اشتهر بالكمال الموصوف وصنائع المعروف ولقد كنا معهما في غاية الالفة وسقوط الكلفة وجاورناهما فى السكن مده طويلة من الزمن حتى اطمأنت قلوبنا اليهما وسكن وتسلينا بهما نوعاً عن الاهل والوطن كفانا الله واياهما شر الفتن ما ظهر منها وما بطن

مطلب من اجتمعنا بهم من العلماء والاكابر

وممن اجتمعنا به في تلك المدينة من اكابر العلماء وافاضل الادباء حضرة الاستاذ الكبير والعلامة النحرير والعلم الشهير في التحقيق والتحرير الشيخ يوسف افندي الاسير اصله من مدينة صيدا ثم توجه الى مصر لطلب العلم بالجامع الازهر فحضر على أئمة اعلام من علماء الاسلام منهم السيد الامام والولي الهمام الشيخ حسن القويسنى صاحب القدر العلي والمقام السني واجتهد في الطلب فنال غاية الارب ورجع بعد ذلك الى البلاد الشامية فاقام مدة بطرابلس لتعليم العلم ومدة اخرى بعكة لنيابة القضاء والحكم ثم استوطن مدينة بيروت وسافر منها الى الاستانة العلية فحظى فيها بالقبول التام والاجلال والاكرام الا انه لم يجد بها في ذلك الوقت من يستأنس به من اهل الادب ولا من يتكلم معه بلسان العرب فرجع ثانياً عنانه الى هذا الوطن وسكن قلبه الى ذلك السكن واشتغل فيها بقرائة الدروس وتهذيب النفوس حتى انتظم في سلك اهل المحكمة الشرعية وبرع في الكتابة ومعرفة الاحكام المرعية ولم يزل بها الى الآن في اكمل ادراك واتقان وقد ناهز الثمانين ولم يحتج سمعه الى ترجمان وله مؤلفات لطيفة

وارجوزات ظريفة وشعره على هذا النمط يعد من الخيار الوسط نظم في علم القرائض منظومة الرائض وهي عظيمة النفع في بابها لا سيما لشرحها الكاشف لنقابها عن وجوه مخدراتها لطلابها وله كتابة في الرد على جوف الفرا وشرحه نار القرى اخمد بها انقاده بذهنه الوقاد وجعله غرضاً لتصويب سهام الانتقاد وله شرح احلى من الضرب على كتاب اطواق الذهب للعلامة جار الله الزمخشري

ولقد تخرج عليه كثير من اهالي لبنان في فنون الادب من نحو وصرف وبيان وجم غفير وجمع كبير من نصارى بيروت ولولا ذلك لكان غاية في كمال الاوصاف والنعوت فانهم بعد ذلك جحدوا فضائله وانكروا معارفه ومعروفه ونائله وصاروا يتفاخرون بنثرهم المنثور وشعرهم المشعور وما فيه من الخلل والقصور على اصحاب البيوت العامرة والقصور ولقد بلغني ان الشيخ ناصيف اليازجي الذي اشتهر في الامة العيسوية بالشعر والادب ومعرفة كلام العرب كان يستمد من موارده العذاب ويستهدي بنجوم فهومه الى الصواب ولا سيما في كتابه المشهور بمجمع البحرين واين هو من مقامات الحريري واين وقد خفقت راية رواياتها في الخافقين وكيف تحاكى وقد حاكها على منوال العرب الشيخ الحريري وطرزها الشيخ الامام المطريزي فكل من جاء بعده انما يغترف من بحره ويقتبس من مشكاة شعره ونثره فلن يجارى هذا السابق في ميدان قل هل يستوي البحران هذا عذب فرات يتلاطم بالامواج وهذا ملح اجاج فانى يستوي البحران هذا فرات سائغ والغير ملح ويكفيها في الرد على كل مجترى قول امام اللغة الزمخشري

اقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
ان الحريري حري بان نكتب بالتبر مقاماته

معجزة تعجز كل الورى ولو سروا في ضوء مشكاته

وبالجملة فمقامات الناس محفوظة وبعيون الافكار ملحوظة وان خفيت على الجاهل الغبي فهي ظاهرة للعالم الذكي ولقد صح في مثل هؤلاء الاقوام المثل السائر في مصر بين العوام (يشترون منا و يبيعون علينا) وما دعانا الى التطويل في هذا الامر بغير طائل الا ما اشتهر عنهم من تنقيص اهل الفضائل والغض من قدرهم والتهاون في امرهم ودعوى ان كتبنا القديمة في الآداب غير كافية وليست لامراض الجهالات شافية ونحوا الى هذا النحو وصرفوا الاثبات الى المحو فلعمر الحق ما هذا الا جهل او تجاهل او سهو او تساهل فكيف تنكر الشمس طالعة والنجوم ساطعة فاين منهم في البلاغة كتب صاحب المفتاح وصاحب التلخيص والايضاح وعروس الافراح والسعد التفتازاني والسيد الجرجاني والسيد العصام الم يروا مطولهم واطولهم ومختصرهم وشروحهم وحواشيهم سلهم بالله هل ادركوا معانيهم او فهموا مدلولات مباديهم لا وحياة ابيك وكذا سائر كتب القوم التي هي غاية في حسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع والتاريخ والانشاء وقرض الشعر والخط المرسوم وغير ذلك من باقي العلوم فاين ريحان الالباء وخزانة الادباء ونسمات الاسحار وزهر الربيع ونسيم الصبا وعقود الجمان والجوهر المكنون والكنز المدفون والمثل السائر والفلك الدائر على ما فوق البسيطة من الدفاتر اين دواوين الشعر وما فيها من النظم والنثر أذهب كل هذا سدى ام بقي مخلداً مؤبداً لا والله انه لموجود في خزائن الملوك والامراء ومكاتب العلماء والادباء ولكن سطت عليه ايدي الطبع فاغتالت بعضه وغيرت وضعه ومكنت منه من لا يفهم منه معنى ولا يقيم له وزناً وهذا سبب انكاره وعدم استكباره حتى اعوذهم فقده او عدم كفايته الى اعتنائهم بالتصنيف

وعنائهم بالتأليف واخذوا منه نقطة من غدير وقالوا هذا شيءٌ كبير فعلام هذا العناء الطويل العريض في جمع لقاطات اهل القريض وكلمات السادة العلماء وبعض مفهومات اهل الفضل والذكاء واكابر القدماء من اهل الملة الاسلامية والديانة الحنيفية اظننتم انها تخفى علينا واصولها بين ايدينا فما هي العلوم العربية التي اهملها المتقدمون هذا والله ما لا يكون ما تركت الاوائل كلمة لقائل فاما النحو فكتبه لا تحصى ولا تحصر وكتب البلاغة اشهر من ان تذكر فهي الآف مؤلفة موجودة ملء قلوب اهل المعرفة فطالع ان شئت كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون تندفع عنك هذه الوساوس والظنون بما فيه من الدر المصون والزخر المخزون الذي تقر به العيون

ترجمة الشيخ الاحدب

(ومنهم) العالم الفاضل والاستاذ الكامل حضرة الشيخ ابراهيم افندي الاحدب الذي اذا نظم الشعر اغرب واذا نثر الكلام اعجب واذا مدح ممدوحاً اطرى واطرب واذا اجاب سؤالاً اجاد واطنب ولقد رأيناه بديع البديه قليل الشبيه وان ظهر عليه بعض تيه فمحاسنه لعمر ابيه تبريه سريع الحاضرة جميل المحاضرة ربما نظم القصيدة من الشعر ستين بيتاً في نحو الاربع درج بدون مشقة عليه ولا حرج وكذلك المقالات الظريفة ينشئها في برهة لطيفة فمنهله العذب فى الشعر والنثر اصفى واوفي وان قصر الادباء فيها فابراهيم الذي وفى اصله حفظه الله من طرابلس الشام وجاء الى بيروت ابان الشباب واشتغل بتحصيل العلوم والآداب واجتهد فى جمع فرائد الفوايد واشتغل بها على حضرة الاستاذ الشيخ عبدالله خالد الذي تربي على اكابر الشيوخ من اهل التحقيق والرسوخ في البقعة المباركة الازهرية ودار العلوم المصرية و برع هذا المترجم في كسب العلوم ونيل

الفهوم حتى اشتهر في هذا البلد بشهرة لم يشاركه فيها احد في معرفة العلوم الادبية والفروع الفقهية الى ان افضت النوبة في نيابة المحكمة اليه وصار المعول فيها عليه وله ديوان كبير مطبوع وغيره مما لم يوجد بعد في مجموع من قصائد ومقامات ومقاطيع وموشحات وروايات وادوار ومواليا تزدري بفرائد الدر المنثور ونظم اللآلي ولو جمعت منشآته في البحور كالاعلام لكانت في مجلدات ضخام ومجموعات عظام ولكنها لم تساعده على جمعها الايام

وبالجملة فكم له في النظم الرائق والنثر الفائق من منظومات منظومه ومنثورات منثورة هي من اجود الشعر واملح النثر في هذا العصر وله مؤلفات اخرى كثيرة الفوائد وفيرة الفرايد موصولة العوائد جمع فيها من الشوارد والاوابد كنظم امثال الميداني بتمامه وشرحه له الوافي بحل نظامه الكافي فى بيان معاني كلامه ولقد اطلعت والحمد لله عليه فرأيته مما يرحل اليه وله كتاب في الانشاء الفه باقتراح ديوان المعارف بمصر في العام الماضي وسيره الى ناظره فما نظر اليه بعين الاعتناء وما احتفل به كما يلزم له من الاحتفاء فعل الاغبياء لا الاذكياء. ولا اقل من ان يطبع فينفع ولكن كيف نصنع فيمن غلب عليهم الطبع والطبع فلم يحسنوا في جانب الله من صنع وصاروا لا يميلون بانفسهم الا لغير ابناء دينهم وجنسهم فاشربوا حبهم وملؤا اعينهم وقلبهم وما زالوا اليهم بالاشواق حتى ضيقوا عليهم الآفاق وحملوهم ما لا يحمل ولا يطاق وانزلوهم من عالي مناصبهم موازالوهم عن مراتبهم فما هذا التدبير المعكوس والرأي المنحوس الذي لا يرضى به شرفاء النفوس ولا اهل الحمية الوطنية والغيرة الدينية وهذه نفثة مصدور ضاق زرعاً بتلك الامور

ولنرجع لما نحن فيه والله اعلم بظاهر امرنا وخافيه فنقول: ان حضرة هذا

الاستاذ له مؤلفات اخرى لم استحضرها الآن ذكراً ولم يزل مشتغلاً بالتأليف مشغولاً بالتصنيف والترصيف وتعليم العلوم وتفهيم المنطوق والمفهوم اما في المدارس الوطنية كالمدرسة السلطانية اوفي منزله الخاص لبعض تلامذته الخواص اطال الله عمره واطاب عمله واناله في كلا الدارين امله

ومنهم السيد الهمام والشهم المقدام الحسيب النسيب العالم الاديب سلالة البضعة النبويه وفرع شجرتها الزكية الذي نبت اصله في اطيب غراس وبني محتده على اقوى اساس الاستاذ الشيخ عبد الرحمن افندي النحاس بيروتي الاصل والفرع والاقامة تولى بجامعها الكبير وظيفتي الخطابة والامامة فهو يقرع ابواب الالباب بوعظه ويفتح مصراع الاسماع بلفظه خطيب واي خطيب وقور في العيون مهيب وهو ايضاً نقيب السادة الاشراف من سلالة آل عبد مناف .

ومن هؤلاء الذين نتكلم عنهم ابن اخته وابن اخت القوم منهم حضرة الفاضل الكامل الاخلاق صديقنا الشيخ عبد الغني افندى البنداق وهو سكندري المحتد بيروتي المولد مشتغل بالعلم وتعليم القرآن وخطه في غاية الجودة والاتقان مشهور بين الاقران مرموق بعين الاستحسان ملحوظ سبحان من قسم الحظوظ ولهذا الاخ بجوار بيت السيد فتيحه دار ظريفة فسيحة كثيرا ما كان يدعونا اليها للكرامة والسمر وطيب الحديث والسهر فجزاه الله عن هذا الصنع الجميل احسن الجزاء الجزيل

ومنهم مفتي هذه المدينة ذات الحسن والبها ومالك زمام الفتوى بها حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الباسط افندي الفاخوري الطرابلسي الاصل صاحب العلم والفضل حسن الاخلاق والسمت كثير السكوت والصمت تفقه على مذهب امامنا الشافعي رضي الله عنه والف فيه رسالة في العبادات مفيدة

لذوي الحاجات سماها كتاب الكفاية لذوي العناية وكان تحصيله في العلم واشتغاله على حضرة الاستاذ الواصل والملاذ الكامل الشيخ محمد الحوت البيروتي حيث كان هذا السيد الماجد وحضرة الاستاذ الشيخ عبد الله خالد هما اللذان حصل بهما النفع التام للخاص والعوام حتى السوقة والعوام وكانا في هذه المدينة بغاية الوقار والسكينة يجددان معالم الدين ويبددان مظالم المعتدين ومفاسد المفسدين ولقد صارا فيها كفرقدي سماء او كبدرين في ليلة ظلماء والله يهدي من يشاء ولهذين العالمين العاملين والسيدين الكاملين بقية السلف الصالح خلف مبارك ناجح فمن ذرية الشيخ محمد الحوت الكبير ولداه الاديبان الشيخ محمد والشيخ عبد الرحمن جعلهما الله من اهل الفضل والعرفان

ومنهم الاديب اللبيب الفطن الاريب العالم البارع الذي ليس له في ماضي امره مضارع سباق غايات البلاغات ومراعات البراعات وله القدم المعلى في احراز المجاز وحسن الاطناب والايجاز ومحرز قصبات السباق في ميادين الطباق رفيق الادب وشقيق العرب صاحب الاشعار الرقيقة والمقالات الرشيقة الشيخ قاسم ابو الحسن الكستي البيروتي واحد الادباء في عصره واوحد الشعراء في مصره رب البراعة وربيب البراعة الذي لا يجارى في مجازه على الحقيقة ولا يشق له غبار في تلك الطريقة جمع من شعره ديوانين مطبوعين فيهما ما تشتهيه الانفس وتقر به العين اولهما يسمى بمرآة الغريبة لكثرة ما جلي فيه من لآلي مبانيه الرطيبة وحلى من ابكار افكار معانيه العجيبة وثانيهما يسمى ترجمان الافكار لانه ترجم فيه عما في ضميره من بدائع الاسرار الا ان الاول منهما لكونه باكورة شعره راعى فيه الناس من صنعة البديع الغلو في شعره وبادروا بتناوله قبل تداوله فهو غذاء الارواح وراح الارتياح واما الثاني فحظينا منه بالحظ الوافر والروض الزاهر والوجه

الناضر والسمير الحاضر فلله دره من شاعر بنكات البلاغة وبديع الصياغة واسرار اللغة من غير مبالغة ولطالما كان يزورنا ويتردد علينا ويتودد الينا وذلك من كرم اخلاقه وكريم اعراقه وكان يسمعنا من شعره العذب ما يزري باللؤلوء الرطب فمما انشدنا اياه في مدح آل بيت النبوة اصحاب الكرم والفتوة قوله في رمضان سنة ١٣٠٠

يا آل بيت الوحي لولا انكم　　في الكون لم يظهر عليه جمال
من اين يوجد في الانام كجدكم　　ونظيره في العالمين محال

وقوله في سنة ١٣٠١

لكم يا بني الزهراء حبي مؤكد　　ومبغضكم من لذة العيش يحرم
فانتم كنوز الكائنات وجدكم　　على الله من كل الخلائق اكرم

وقوله في سنة ١٣٠٢

يا آل بيت رسول الله ان لكم　　جاهاً عظيماً له من جدكم مدد
يحظى بما يرتجيه من يلوذ بكم　　وليس يبغي عليه في الورى احد

وله وقد اقترح عليه احد اصدقائه نظم هذا المعنى الآتي

يرى المرء من يهواه احسن ما يرى　　ولو انه من كل حسن مجرد
فكيف بحالي والورى شهدوا معي　　بان الذي اهواه في الحسن مفرد

وله بيتان كتبا على كتاب مجلة الاحكام بارقام الذهب واهديت لصاحب العزة احمد بك العابد مفتش العادلية في ولاية سورية سابقاً وهما

ان المناصب يا ابن العابد افتخرت　　بحسن رأيك وارتاحت من النصب
والناس قد كتبوا والحق في يدهم　　لك الثناء بأرقام من الذهب

ولقد اقترح علينا ايضاً بعض اصحابنا البيروتيين نظم ابيات في هذه المعنى

حتى يدرجوا في ضمن مجموعة مطبوعة وتهدى ايضاً لجناب البك المومى اليه بعد توجهه الى الاستانة العلية فقلت

وجوه بيروت قد اهدوا لعزتكم قانون عدلية من انخر التحف
وصار من ذهب عنوان عدلكم ان العدالة عنوان على الشرف

وقلت ايضاً

اجريت قانون عدل في النظام له حسن انتظام وفيه منتهى الارب
من ذاك بيروت اهدوكم بنسخته تتيه في حلة التذكار من ذهب

وقلت ايضاً

قانون عدلك لم يبرح يذكرنا من الجميل لكم آثار ايسار
حتى دعانا الى اهدائه نضراً مزركشاً بنضار قصد تذكار

ولاخي الشيخ احمد ابيات اخر هذه هي

من عادة الناس تعظيم الكتاب على ما حاز من غرر الآداب والنخب
واهل بيروت للقانون قد ذهبوا وذهبوه بانواع من الذهب
ما ذاك الا لاقرار وتذكرة بعدل احمد بين العجم والعرب

وغيرها له ايضاً

بك القوانين يا ابن العابد افتخرت وهزها نحو عليا قدرك الطرب
تريد تقبيل كف منك راجية قرب الاياب وان يصفو لها الطلب
فسيرتها لكم بيروت تذكرة بحسن عدلكم وقد زانها الذهب

ومما انشدنيه من مجونه ومداعباته للاديب الكامل واللبيب الفاضل الشيخ عبد المجيد افندي الخاني احد ادباء الشام الكرام وقد عرض عليه لغزاً في محبوب له فاجابه عنه بقوله

يا سائلي عن غزال قد خلوت به ... وقد ادرت عليه خمرة الحان
اذا اجبتك عنه كان لي شبه ... بتحبة وعليها اجرة الخاني

وبالجملة فكلام ابي الحسن من احسن الحسن وهو مجموع في محله فلا حاجة لنقله الا انه اهدى الينا قصيدة فريدة اردنا ذكرها في هذه المجموعة وهي هذه

تباهت بلاد الشام وافتخرت مصر ... بكم يا بني عبد الجواد ولا فخر
فان لكم شأناً عظيماً يدلنا ... على ان في ذا العصر امثالكم نذر
مآثركم جلت وقد شهدت بها ... عدول بني الدنيا وزكاهم الدهر
واورثتموها عن ابيكم وجدكم ... وتم لكم دون الانام بها خبر
فلو عرفت اوطانكم قدر فضلكم ... لما كان منها جائزاً لكم الهجر
ولم تحسبوها في غيرها اهل غربة ... فحيث يكون الدر يلفي له سعر
وما ضركم عنها الجلاء وانما ... يزيد كمالا في تنقله البدر
ولا تهنوا فيما جرى فمحلكم ... لدى كل نادٍ قد حللتم به الصدر
خرجتم بمكروسيٍّ والذي بغى ... عليكم بلا شك يحيق به المكر
وليس لكم عيب على زعمه سوى ... مكارم اخلاق هي الانجم الزهر
على ان من أعمى بصيرته القضا ... يكون سواء عنده الخير والشر
الا يا سراة المجد دام محبكم ... عزيزاً ومن ناواكم فله القهر
حماكم لقد اضحى بكم كعبة الهدى ... زيارته فرض على من له حجر
وحاصل ما ابديه في حسن حالكم ... وما في معاليكم تصوره الفكر
تفردكم بالعلم والحلم والتقى ... ومن كان هذا وصفه فله الشكر

ولما وصلت هذه القصيدة الى مصر مع اصحابنا الحفاظ الذين جاؤا لقراءة

القرآن المجيد في شهر رمضان الشريف على الموائد المصرية بتلك الديار قرّب الله مزاورها وأعلى منارها احتفل بها اخواننا الادباء الازهريون وغيرهم فشطرها حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ علي غزال الشبيني احد اكابر المدرسين بالجامع الازهر وحضرة الشاعر الاديب السيد حسن الابي احد نبهاء الطلبة المتأهلين وخمسها حضرة الفاضل الذكي الشيخ علي شرف القصباوي بريف مصر وهذا لوقوعها عندهم موقع الاستحسان لتعرضها وتعريضها بحوادث الزمان وسنذكر ان شاء الله في الخاتمة هذا التخميس والتشاطير وغيرها مما حضر لنا من التحارير وبعث به الينا اهل الادب والرسل ينسلون به من كل حدب من مقامات ومقالات واراجيز ومطنب من القول ووجيز في تشوف وتشوق اهل ذلك الوطن العزيز وقصائد لطيفة وابيات ظريفة

(ولنرجع لما كنا فيه) من ذكر السادة البيروتية وغيرهم من اهالي سورية وما وقع لنا في السياحة الشامية فنقول: ان من افاضل العلماء بهذه المدينة حضرة الاستاذ المعمر الكبير الشيخ محيي الدين اليافي صاحب الفضل الذي ليس بخافي اخذ العلم والطريق عن والده واخبرنا حفظه الله انه تلقى الطريق عن والده وهو عن السيد كمال الدين البكري الصديقي نجل العارف بالله شيخنا واستاذنا وقدوتنا وملاذنا السيد مصطفى البكري فعلى هذا يكون بينه و بين حضرة السيد البكري اثنان فقط فقد ادرك بهذا السند العالي اكمل المراتب والمعالي و بورك في عمره فجاوز الثمانين ولم يزل عاكفاً على تعليم العلم النافع في الدين مشتغلاً به في كل حين اما في المسجد الجامع المنسوب لنبي الله سيدنا يحيى الحصور لان به مشهده المشهور المحفوف بالمهابة والنور واما في منزله المعمور وكثيراً ما اجتمعنا بهذا الاستاذ ودعا لنا بما نرجو الله في قبوله وتحقيق مضمونه وحصوله وزارنا مرة وهو بغاية النشاط

والانبساط بمنزلنا الكائن بزقاق البلاط واطلعنا مرة على مكتبته العظيمة المشتملة على الكتب الفاخرة القديمة وهو خليفة في طريق الخلوتية كما ان حضرة الشيخ الصالح محيي الدين الفاخوري الطرابلسي من الخلفاء الصاوية تلقى الطريق عن الولي الكامل صاحب الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة الاستاذ الشيخ محمود الرافعي وكما ان المرحوم الشيخ احمد الرفاعي خليفة الرفاعية توفي في هذا العام وكما ان الاستاذ الشيخ حسين بدران خليفة السادة السعدية وكما ان الشيخ عبد الحميد بيوت خليفة الاحمدية وكما ان الأخ الامجد مولانا الشيخ احمد عباس صاحبنا قديماً بالجامع الازهر جد واجتهد في ايام الطلب الى ان ادرك الارب من الفنون الشرعية وعلوم الادب خليفة الشاذلية على طريق الشيخ علي المغربي اليشرطي المدني الدرقاوي وربما نأتي على ترجمة هذا الشيخ الشاذلي وما اشتهر عن تلامذته من الاحوال والشطح المخالف لظاهر الشريعة حفظها الله من محدثات البدع ببركة صاحبها السيد الاكرم صلى الله عليه وسلم

ومن اهل العلم والادب الشيخ سعيد افندي الجندي الذي قد صار الآن وكيل المدعي العمومي في دوائر الحكومة ومحمد افندي اللبابيدي شاعر اديب صار ايضاً الآن مأمور الاجرا في الحكومة

(ومن) المشتغلين بالتعليم والتدريس والتفهيم في هذه المدينة حضرة العالم الفاضل الشيخ رجب جمال الدين وهو مجتهد باذل ما في وسعه في قراءة علوم الآلات لتلامذة المدارس المحلية كمدرسة الجمعية الخيرية والمدرسة السلطانية وغيرهما وله اليد البيضاء في تقدم هؤلاء المبتدئين من تلامذة تلك المدينة بما كتبه لهم من الرسائل في المنقول والمعقول تقريباً للعقول حتى جعل المسائل في صفة سؤال وجواب يحفظها الطلاب فتسهل عليهم المسائل الصعاب وهو

من الرأي الصواب

(ومنهم) الكامل اللبيب والفاضل النجيب ذوالفطانة التامة والمهارة حضرة الشيخ محمد افندي طبّاره احد اعضاء شعبة المعارف وجمعية المقاصد الخيرية في السالف كان يعلم في المدارس احتساباً نحواً وصرفاً واعراباً وحساباً وله كتاب الاساس في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه في العبادات والآداب وكتاب آخر في التوحيد نافع مفيد ولقد اهدى الينا نسختين منهما فرأينا انهما لا غنى للمبتدئ عنهما حيث كانا في اصول الدين وفروعه ومنقوله ومسموعه

(ولقد) تركنا فيما مضى ذكر جماعة من الوجوه والاعيان لمجرد سهو اذ ذاك اونسيان فمنهم وهو من اعيان اهل التجارة حضرة الحاج ابراهيم افندي طياره من بيت مشهور بهذا اللقب وهو رجل كريم النسب كامل العقل والادب يحب اهل الفضل والدين وله مواساة لبعض الفقراء المعوذين اول ما سمع بقدومنا من الديار المصرية دعانا الى داره العامرة الزهية الزاهرة وصنع معنا غاية الملاطفة والمجابرة انعم الله عليه بانعاماته الوافرة ولطف بنا وبه في الدنيا والآخرة وله انجال انجاب من الادباء الكاملين احدهما يسمى الحاج محمد والآخر يسمى امين

(ومن) اقاربه واولاد عمه الحاج سعد الدين من التجار المشهورين وله قرابة ايضاً ومصاهرة لبيت نجا من البيوت القديمة والعائلات الكريمة

(منهم) السيد مصطفى نجا من اهل التجارة والعلم والذكاء والفهم

(ومنهم) الرجل الشهم الكامل عليّ القدر ابو خضر العيتاني احد المشاهير بالثروة قديماً الا انه الآن على غير ما كان نسأل الله تعالى ان يصلح له الحال والشان

فانه من اهل المروآت الكاملة والمودات والمجاملة كثيرًا ما كان يزورنا و يؤانسنا ويجتهد في اذهاب وحشة الغربة عنا فجزاه الله عنا احسن الجزاء في يوم اللقاء

(ومن البيوت) المشهورة بيت العريس الا انه قعد بهم في هذا الايام الزمان الخسيس

(ومنهم) بيت قريطم و بيت خَرْمَة و بيت محمود درويش المشهور بابي رستم وغير هؤلاء ممن لم يحضرني الآن ذكر اسمائهم وكل هؤلاء من اهل الاسلام

(اما العائلات) النصرانية فهم كثير وامرهم في الغنا والثروة شهير

ومنهم السراسقة والتويني و بسترس وغيرهم ممن ظهر حديثًا في مظهر الغناء المفرط بواسطة التجارة والمعاملات الاوروباوية ومع هذا كله معاملتهم لاهل الاسلام معاملة بغاية الادب والاحترام والتزام التوقير للصغير والكبير وذلك لامرين

(الامر الاول) وهو الذي عليه المعول شهامة الطائفة الاسلامية وشدة غيرتهم الدينية مع قلة عديدهم وكثرة نديدهم فان البلد تشتمل على نحو ثمانين الفًا من النصارى ونحو عشرين الفًا من المسلمين وفضلا عن ذلك فان نصارى لبنان محيطون بهم من كل جانب بل و بغيرهم من البلاد من حدود طرابلس الى حدود صيدا وهم يبلغون فى العدد نحو مائتي الف فمعيشة هذه الشرذمة القليلة مع هذا العدد الكثير المياسر وتأييد اخوانهم واهل اديانهم الأوروباويين لهم من تأييدالله لهذا الدين المحمدي والشعب الاسلامي كرامة لحضرة هذا النبي الامي صلى الله وسلم عليه وزاده شرفًا وكرمًا لديه

(والامر الثانى) مراعاة الحكام للجري على مقتضى القوانين والنظام

مطلب في ذكر بعض اوصاف بيروت وأهلها وعوائدهم

(واعلم) ان هذه المدينة المتينة من اعظم المدن الشامية والمراسي الساحلية عالية المباني كاملة المعاني عمارتها من داخل السور غالبها من قديم الدهور واما البناء الجديد في خارجه فهو على طرز جديد واتقان وتشييد موضوع على اعلاه القرميد وفي اطواقه الشبابيك من الحديد وما على نضرته من مزيد وسبب ذلك كما دل عليه التأمل والنظر ان خارج البلد قديماً كان ممتلأً بالبساتين والشجر فلما ارادوا الخروج فيه بالعمارة عمد كل واحد الى محل من بستانه واقتلع اشجاره وعمر في وسطه كما يقولون حارة فصارت في غاية النضارة لكونها محفوفة بالاشجار المحدقة اليها بعيون الازهار دانية القطوف والثمار وكل هذه المناظرة البديعة كأنها حاصلة بالطبيعة لا من صنع صانع ولا وضع واضع لما علمت في اصل تلك المواضع وزد عليها كونها مشرفة على البحر مطلة على البر معتدلة البرد والحر عذبة الماء صافية الهواء قليلة الوباء كثيرة الرخاء وبناء بيروت كله بالحجر الصلب الجاف والكاس المسمى عندنا بالجير ويخلطونه بالرمل الاحمر بعد تصفيته بصفات من خشب معدة لذلك وتخمره اياماً طوالاً حتى يصير كالعجين في التلبك واللين ومتى بني به الحجر امتزجا وصارا كقطعة واحدة ولا سيما بعد نزول الامطار الغزيرة عليها في ايام الشتاء التي تدوم نحو الستة اشهر من السنة كما شاهدناه مدة اقامتنا بتلك الاقطار فسبحان من بيده ملكوت كل شيءٍ وهو الواحد القهار

(ومن) جملة اعتنائهم بالمباني الرفيعة والمنازل والمنازه البديعة انهم يحضرون لها الاعمدة والبلاط من الرخام ويضعونه في ارضها وحيطانها بغاية الاحكام ويتغالون فى النقش والفرش من ذهب وحرير ويتعالون فيما يجلسون عليه من كرسيّ او سرير وربما بني الرجل الفقير بناء مشيداً ونضده تنضيداً وجعله في

اعلى المناظر بهجة للنواظر ومع ذلك يعده لا كثراء الغرباء الذين يقيمون بها مدة الشتاء او يسكن الطابق السفلي ويؤجر الطابق العلوي فتكون تلك الحارة كأنها نوع من انواع التجارة ونعم ما احتالوا على تحصيل العيش لا كأهل مصر الذين استولى عليهم البطر والطيش وتركوا التدبير واتبعوا التبذير متى تبرّجت لهم الدنيا لا يلتفتون الى الآخرة فوالله اني لاشكر صنيع اهل هذه البلاد في السهر على اتخاذ الوسائل للمعيشة والاستعداد لا يترك صغيرهم ولا كبيرهم النبش في الارض ولو كانت كمفحص قطاة لاستخراج اشجارها واجتناء اثمارها وشم اعطارها ورؤية ازهارها وساعدهم الجد الموفور بكون ارضها لا تكتم في ضميرها شيئاً من انواع الغرس والبذور فليس لترابها من الارض اتراب ولا شبه ولا اقتراب فسبحان المعطي الوهاب فربما لا يحتاج غالب سكانها الى كثير من الخضرة النازلة الى الاسواق من ضواحي المدينة اومن جبل لبنان وكذلك بعض الفواكه والثمار لوجودها عندهم في الاشجار المحيطة في الغالب بتلك الديار ولاشتغال اهل هذه المدينة باشغالهم التجارية من الصباح الى المساء ما بين كونه في دكان او حاصل يبيع ويشتري او في المنيا يستخرج بضاعته المجلوبة اليه من اوروبا او بلاد اخرى او ينزلها الى جهات ثانية لشركائه وعملائه او في احد الدواوين والمجالس مستخدماً بمأمورية او كتابة فليس لهم وقت فراغ فلا تراهم يكثرون من السهرات الليلية في الحظوظ والشهوات النفسية ولا يشتغلون بكثرة مجالسة الاصدقاء والاقرباء ولا مؤانسة المسافرين والغرباء الا على قدر الضرورة كعزية او وليمة لعزيز اوقادم كريم بخلاف اهل دمشق الشام فان كبارهم اصحاب عقارات واملاك يتعيشون منها بسهولة فلاجل ذلك تراهم متفرغين لملاقاة الغرباء ومؤانسة الاصدقاء بصدور رحبة والسن بالتحيات رطبة فضلاً عما فطروا عليه من

مكارم الاخلاق والفاظهم الرشاق وسنأتي على ذكر بعض محاسنهم في الكلام على الرحلة الى مواطنهم ان شاء الله تعالى

(وبالجملة) فبيروت مدينة اسلامية ديناً وغيرة وحمية اوروباوية نظاماً وبناء وحربية فانهم مع كثرة مخالطتهم لغير اهل دينهم من وطنيين واجانب في غاية الصلابه والتحفظ على شعائر الدين ولم يقلدوهم في طول مدة العشرة الا في مراعاة القوانين والنظامات في المرافعات والمدافعات والمباني المشيدة البهجة والطرقات والاسواق المنفرجة وفيها غاية السهولة في تناول البضاعات التجارية والتحارير والرسائل بواسطة البوستات والوابورات الاجنبية فالسفار فيها والاخبار يومية لا كغيرها من البلاد السورية فهذه مزية لها واي مزية

مطلب في ذكر بعض من تعرفنا بهم في بيروت

وبهذا السبب قد حظينا بالاجتماع على كثير من السادات الافاضل والاكابر الاماثل الواردين عليها من الافاق وصاروا لنا من اعز الاصدقاء والرفاق فكم رأينا بها من عظماء العالم اعظم فاضل عالم ومن احاد الناس اغلب الاجناس فمن جملة الواردين اليها والوافدين عليها جناب الامير الشهير والكوكب المنير السيد محيي الدين باشا نجل الامام الهمام والشهم البطل المقدام رب السيف والقلم والطيلسان والعلم الذي اشتهر صيته في العالم وانتشر واحد الابطال في القرن الثالث عشر ذو الاخلاق المزرية بالروض الناضر والنسيم العاطر الامير عبد القادر الحسيني الجزايري الذي اقام اخيراً في دمشق بعد خروجه من بلاد المغرب وحربه المشهور مع دولة فرنسا نحو الخمسة عشر سنة وهو في مقاتلة ومقاومة وكفاح بسمر القنا وبيض الصفاح حتى ارتفع صوت صيته في الافاق وعلا امره بين الامم وفاق وانتشب القتال بينه وبين من كفر ونشبت بهم اظفار الظفر ولكن لم

تساعده احكام القضا والقدر ووقع في مخاليهم اسيرًا مأمورًا بعد ان كان آمرًا واميرًا هذا ما اراده الله وامضاه فلا حول ولا قوة الا بالله

(وبعد ذلك) طلب الاقامة في بلاد الدولة العلية حيث كانت ولم تزل اعظم الدول الاسلامية واجرت عليه دولة فرانسا مرتبًا سنويًا في نظير ما استولت عليه من املاكه العظيمة وعقاراته القديمة فصار يصرفه في وجوه الخير والاحسان صابرًا على ما اصابه من جوادث الحدثان واقام بالشام الى ان وافاه الحمام وانتقل الى دار السلام في العام الاول من وصولنا الى بلاد سورية فحزن عليه الناس احزانًا يعقوبية لما ذهب عن عيونهم من محاسنه اليوسفية واخلاقه المحمدية فعليه من الله مزيد رحمته ورضوانه ما حن غريب الى اهله واوطانه ولقد كان السبب في مجيء نجل هذا الامير الى بيروت تبديل الهواء لانحراف مزاجه الشريف لتكدره على مرض والده الذي توفي فيه وجاءه الخبر في اثناء اقامته باشتداد المرض على حضرة والده فاسرع في الرجوع الى الشام وحضر احتضاره وشاهد اخطاره الهمه الله اصطباره واهله واخوانه وانصاره امين

وكان من معالي همم والده ونبالة مقاصده انه اوصى هذه السيد عند وصوله الى بيروت ان يزورنا ويزور حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده المصري فقام بما امر وبلغ الرسالة عن والده وسؤال الخاطر بالنيابة عنه جزاهم الله عنا احسن الجزاء الجزيل وله الفضل والثناء الجميل ولاجرم فمثل هذه المجابرة والمروءة لاتستغرب من اهل بيت النبوة فهم اهل الكرم والفتوة والشهامة والقوة الّا اننا قد اسفنا غاية الاسف على ما فاتنا من مقابلة هذا الامير الشهير والمولى الخطير فلقد كان في الامكان التوجه الى الشام لزيارة هذا البطل الهام واغتنام دعواته الصالحة وتوجهاته الناجحة والحمد لله شكرًا قد ظفرنا برؤية انجاله ومقابلة اشباله ففي

السنة الاولى الامير محيي الدين باشا وفي السنة الثانية سعادة الامير محمد باشا وهو اكبر العائلة والخليفة فيهم بوصية من ابيهم فرأ يناهما كالفرقدين بل هما كالنيرين ادب كامل ولطف شامل واخلاق خليقة بالحمد واعراق عريقة في المجد وصفات صافية وهمم وافية وذهن وقاد وفكر نقاد وخلوص واعتقاد ولسان عربي مبين وشعر بليغ متين ومعرفة بالعلوم وملكة راسخة في الفهوم اهدى الينا سعادة الامير محمد كتابه الذي الفه في صفات الخيل المسمى (بعقود الجياد في الصافنات الجياد) احسن فيه ما شاء الله واجاد ونوه فيه ببعض سيرة سلفه الامجاد ولهذين الاميرين اخوة صغار وكبار سيكونون ان شاء الله تعالى من الاكابر الاخيار يبلغون عقد العشرة لكنهم غير مجتمعين في سكن ولا عشرة فالبعض قد انحاز الى الامير هاشم البصير والبعض قد انضم الى الامير محمد الكبير ورتبت الدولة معاشاً لهذا الحزب الاخير ومرتب فرنسا لم يزل يصرف الى الفريق الاول من كبير وصغير والله ولي التيسير وهو على كل شيئ قدير

ومن جملة من عرفناه واجتمعنا به في بيروت حضرة العالم الفاضل والمرشد الكامل الشيخ عبيد الله الكردي الذي كان يحارب دولة العجم في عهد قريب واخذ كثيراً من بلادهم الى ان قارب على الوصول الى عاصمتهم فاستجاروا بدولتنا العلية والتجاؤا اليها في رده عنهم فارسلت اليه من قبض عليه بعد التي واللتيا وابعدته الى الاقطار الحجازية فجاء على طريق البر الى الاسكندرية ونزل وابور البحر وطلع على بيروت واقام بها زيادة عن الشهر في انتظار بعض الاصحاب والاتباع المسافرين في البر وسكن في بيت مفتي المدينة سابقاً الشيخ الطرابلسي وداره ملاصق للدار التي سكناها اول مجيئنا الى بيروت فكنا نقابله ويقابلنا ويزورنا ونزوره ونشكو اليه نوائب الزمان وما حل باهل الاسلام والايمان وهو

يشكو الينا من حوادث الدهر الخؤن انا لله وانا اليه راجعون وكان في صحبة احد الكبار من كتاب المابين السلطاني يقال انه الكاتب الرابع حضرة كامل بك الذي بلغنا بعد ان صار مامور ضابطة الاستانة واعطى له الرتبة الاولى يعني باشا وهو جدير بذلك لانه رجل كامل الفطنة والذكاء والسياسة والدهاء يتكلم قليلا باللغة العربية وهو ايضاً كان يزورنا و يتكلم معنا في الحادثة المصرية و يظهر مزيد الاسف على ما مضى وسلف و بشرنا بقرب الأوبه والعفو عن هذه الحوبه بهمة ولاة الامور الساهرين في مصالح الجمهور و يقول ان في ذلك لذكرى وستتحقق لكم ان شاء الله البشرى ثم ان هذا الشيخ وذلك الامير سافرا الى الحجاز ولم نلبث الا قليلا وقد جاءت الاخبار بنعي هذا الشيخ وانه توفي بمكة المشرفة فعلمنا ان وفاته بتلك الاراضي الطاهرة والبقعة الفاخرة من نعم الله تعالى عليه في الدنيا والاخرة

ومنهم ايضاً العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ نعمان افندي نجل واحد عصره وفريد مصره علامة الزمان ونادرة الاقران الشيخ الآلوسي مفتي الأنام وشيخ الاسلام بمدينة بغداد دار السلام صاحب التاليف العجيبة والتصانيف الغريبة صنف كتاب التفسير الكبير في عشر مجلدات كبار و بلغنا انه الآن يطبع في مصر المحروسة ولهذا السيد ولده عدة كتب طبع منها بمصر بعض اشياء ادام الله النفع به و بكتبه و بلغه في الدارين اقصى اربه امين

ومنهم الذكي الالمعي والامام اللوذعي اتاسي زاده الشيخ خالد افندي مفتي مدينة حمص سابقاً والشيخ محمد افندي المحمود صاحب الفضل المشهور والطالع المسعود المشتغل على الدوام بمدينة حمص باحياء الدروس وتهذيب النفوس واهل بيت الاتاسي كلهم لا يشغلهم عن تحصيل العلم شاغل ولا يعتريهم في

في افادته واستفادته توانٍ ولا تكاسل كما اخبرنا عن نقلة الاخبار انهم مشغولون به اناء الليل واطراف النهار وكيف لا وهم من بيوت العلم كابرا عن كابر وكم ترك الاول للآخر جاء الى بيروت هذان العالمان لقضاء اغراض ومصالح تتعلق باولياء الامور واقاما بها عدة شهور فاغتنمنا صحبتهم وانتهزنا فرصة الانس بهم في تلك المدة التي كأنها ساعة من القصر لانها مرت كلمح البصر كانا يحضران معنا في بعض الاوقات المطالعة العلمية باذهان حادة حاضرة ذكية فلله ما اعجب هذا الذكاء الباهر والفكر الحاضر وكان مع حضرة الشيخ خالد المذكور في المرة الثانية هذا العام عند ما كان مسافرًا لأداء الحج الشريف حضرة اخيه الفاضل الكامل الشيخ عبد اللطيف وبلغني ان لهم بحمص من الاهل انجالاً انجاباً لا تتقاصى عليهم مسائل العلم ولو كانت صعابا فسبحان واهب الاذهان والفطن العالم بكل ما ظهر وما بطن

ولما اطلع حضرة الشيخ خالد على الرسالة التي جمعها الفقير في رد اسئلة الخليفة المأمون التي اوردها على علماء بلده ليردهم بها الى رأيه ومعتقده في تفضيل الامام علي بن ابي طالب على ابي بكر الصديق وانه الاولى بالخلافة قبله وذكر هذه المناظرة ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد وسميتها (خلاصة التحقيق في افضلية الصديق) قرظها بأبيات بديعة المثال بعيدة المنال بديهة المقال من احسن مايقال وكتبها بخطه كالغرة من تحت الطرة احسن الله اليه واسبغ نعمه عليه

ومنهم الشيخ امين افندي مفيد زاده نائب قضاء نابلس سابقًا وولده النجيب الاديب محمد مراد افندي حضر الى بيروت بعد انفصاله من النيابة المذكورة واقام بها مدة اشهر ينتظر مقابلة والي الولاية دولتلو احمد باشا حمدي في رجاء ان يتوسط له في تقليده بوظيفة اخرى من باب المشيخة الجليلة فلم يظفر بمقصوده

الى ان سافر الى بلده الاصلي وهي مدينة حلب الشهباء وتوجه منها الى دار الخلافة العظمى فصار تعيينه في نيابة قضاء مرعش كما بلغنا في هذا العهد

ولقد رأيناه رجلاً كاملا فاضلا على النمط القديم في الأبهة والهيئة

واما ولده السيد محمد مراد فله اشتغال بالادب وشغف بالشعر وقد جمع منه مجموعة تشتمل على قديم منه وحادث على حسب الوقائع والحوادث وسماها (غصن البان) استعارها من قوامه لبديع نظامه تسمية ظريفة الموافقة لمراعات النظر والمطابقة وكان في مدة تلك الاقامة يتردد علينا بكامل الاحترام والكرامة ويعرض علينا نثره وكلامه وشعره ونظامه اسعد الله ايامنا وايامه واحسن ختامنا وختامه

ومن افاضل اهل حلب الشيخ الجابري جاء الى بيروت ومعه ولده مريضاً بقصد تبديل الهواء ومعالجة ذلك الداء وهو رجل من اكابر السادة الامراء واهل الثروة الاغنياء

ومنهم الجواد السخي والاديب الذكي ذو النسب العلي نوري افندي الكيلاني من ذرية القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز قدم الى بيروت في العام الماضي لدواعي صحية وعلاجات طيبة فاغتنمنا رأياه وتبركنا بنظر محياه وحظينا بمجالسته ولطيف مجانسته فوجدناه كاسمه نوري الذات جميل الصفات وله شعر لطيف وجمع وتصنيف وكتاب ظريف في مناقب اهل البيت الشريف قد أعده للطبع تحت نظر السيد عبد القادر افندي القباني مدير مطبعة الثمرات الجنية واسمه (احسن ما اقتنيت في مناقب آل البيت) واقامته بمدينة حماه يكرم به ضيفه ويحمى حماه وبيت الكيلانية بها مشهور كما ان لهم بيتاً آخر في دمشق معمور

ومنهم الشيخ محمد افندي الحريري الحموي ايضاً ذكي مؤدب شاعر مهذب قدم الى بيروت في العام الماضي لاغراض ومصالح تخص حضرة العالم المرشد الصالح الاستاذ الشيخ ابي الهدى افندي الصيادي الرفاعي المقيم الآن بالاستانة العلية في كنف الحضرة السلطانية ونال من لدنه رتباً سامية ونياشين علية ومراتب علمية بهية ومع كونه من اهل الطريق وخليفة من خلفاء الطريقة الرفاعية له المام بالسياسة وخبرة تامة في احوال الوقت الحاضر والزمان الغابر بمطالعة تواريخ الامم الماضين والملوك والسلاطين فهو جدير بالاقبال والقبول ونيل المأمول واقد باشر هذا الاخ الامجد السيد محمد الحريري تصحيح طبع كتاب (عقود الجواهر) الذي الفه الاستاذ الشيخ ابي الهدى افندي في مناقب السيد الرفاعي بالمطبعة الادبية في بيروت وكتاب (شرح رسائل ووصايا القطب الرفاعي) ايضاً وعاد الى دار الخلافة ثانياً في صحبة الشيخ المذكور كما كان عليه اول مرة وبلغنا انه أنعم عليه في هذه العهد من الحضرة السلطانية بنيابة ازمير وهو بهذا الانعام حري جدير

ومنهم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الغني افندي الرلوي من وجوه بغداد وعلمائها واكابرها وامرائها اجتمعنا به العام في مدينة بيروت وهو متوجه الى الاقطار الحجازية وقد لبس من ثياب الحجازيه وسافر من طريق البحر لاداء الحج الشريف مع جملة من الحجاج البغداديين واخبرنا انه متوظف بوظيفة تربة دارية سيدي الشيخ معروف الكرخي وله بها براءة سلطانيه وكانت لهم قديماً نظارة مقام سيدنا الامام موسى الكاظم ومحمد الجواد ثم انتزعت من ايديهم قهراً واخذها بعض الرافضة وان له اخاً يقال له الشيخ عبد اللطيف افندي الراوي مدرس بمسجد القطب الرباني سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه

ونور مضجعه وضريحه وافادنا ايضاً انه مر في طريقه هذه المرة بارض صفين على مقابر الشهداء والصحابة الذين استشهدوا في وقعتها المشهورة ورأى في ذروة الجبل هنالك مقام جدنا الصحابي الجليل ابي هريرة الراوي المشهور وهو مقام مشيد معمور تجاه مسجده الجامع قريب من ارض يقال لها الحمّة على اربع مراحل من حاب الشهبا وهي في مقابلة الرّقة يحول بينها وبينها نهر الفرات وفي هذه الارض قشلة بها عساكر من الدولة العثمانية لحراسة الطريق وربما سكنها في ايام الربيع قبائل من عرب البادية

(وقد اجتمعنا) وتعرفنا في هذه الغربة بكثير من الادباء والشعراء وارباب الفضائل والمعارف ووقفنا على كثير من عوائد الناس واخلاقهم ومذاهبهم واديانهم لما ان البلاد الشامية تشتمل على صنوف من الملل والنحل والاديان ولاسيما جبل لبنان كطوائف النصارى من موارنة وروم وكاثوليك وبروستنت وكالدروز وانواعهم والمتاولة وشعوبهم وهم كناية عن الرافضة والشيعة والنصيرية ولهم جبل مشهور بنواحي اللاذقية

(ويحكى عنهم) ان فيهم طائفة يعبدون الفرج ويسجدون له من دون الله وينادونه ويقولون له يا أبا مسعود منك خلقنا واليك نعود ويجتمعون لهذه العبادة الخرافية في يوم عيدهم الاكبر بعد عيد الاضحى بقليل (ثلاثة ايام) ويختارون لهم بنتاً من اجمل بناتهم ويزينونها باحسن ما يوجد عندهم من الزينة ويجلسونها على عال كسرير او كرسي وعلى فرجها ساتر رقيق ويقفون امامها باكمل الخضوع والخشوع ويتكلمون بمثل هذا الكلام المتقدم ثم يتقدم الكبار منهم والعقلاء فيهم فيسجدون على فرجها مباشرة ويأتي من دونهم في المرتبة فيسجدون عليه ايضاً وهو مستور بهذا الستر المنهتك

ومنهم من يعبد الشمس والقمر ويعتقدون ان الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه صعد الى السماء واقام فيها ويكرهون الشيخين رضي الله عنهما فمذهبهم مختلط فمن جهة مجوس ومن جهة طبيعيون ومن جهة رافضة فنسال الله سبحانه وتعالى ان يحفظنا من عمى القلب وذهاب اللب وان يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وان يؤيدنا بالحجج الدامغة لمثل هذه العقائد الزائغة ونحمد الله سبحانه وتعالى على ما حمى مصرنا من كثرة هذه الاديان والملل وهذه المذاهب والنحل التى اختلط اهلها فى البلاد الشامية بالعنصر الاسلامي حتى اورثوه خبالا واثروا فيه فساداً واختلالاً ليس في دينهم معاذ الله بل في مصالح دنياهم ومايخص شرفهم وعلاهم وذلك لسابق العداوة القديمة الدينية نسأل الله سبحانه وتعالى للمسلمين دوام العز والنصر على اعدائهم الكافرين المنافرين لهم في ذلك العصر

مطلب فيمن قابلناهم من رجال الدولة

واما اكابر اهل الدولة واصحاب الحل والعقد والصولة وامراء الشام وولاة الاحكام وغيرهم من الذوات الفخام

فقد قابلنا منهم صاحب الدولة والابهة والي الولاية السورية الجليلة سعادة احمد باشا حمدي وذلك عندما اضطرنا الحال لتوسيطه فى الاسترحام لنا من دولتنا العلية لما صدر منها امر الصدارة بابعاد المنفيين من مصر عن الممالك المحروسة فالتزمنا مقابلته وتقديم الشكوى له بعدم امكان توجه مثلنا لبلاد اجنبيه كأوروبا حيث لا نعرف لسانهم ولا عوائدهم ويعار على دولتنا العلية ان تطرد من جاءها من اهل الاسلام مختاراً لها على سائر الدول راغباً في الدخول تحت ظل حمايتها في كنف امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فقبل شكوانا وارسل بها الى الباب العالي وساعد كل المساعدة وعززنا هذا الاعـراض له بثان للمابين الهمايوني

وثالث للصدارة وكان الجواب منه السكوت ظاهرًا وهو كما يقول الناس رضى وتكررت مقابلتنا لهذا الصدر الاعظم مرارًا لقدوم من سفر او تهنئة بعيد حضر وسافرنا معه فى الوابور العثماني المسمى (رسمو الراسي دائمًا في مرسى بيروت) الى اللاذقية وطرابلس في رحلتنا الى تلك الجهة وسنذكرها ان شاء الله تعالى بعد تمام هذا الكلام ولقد رأينا منه في هذه السفرة من اللطف والانس وطيب الاخلاق والنفس ما لم يكن في ظن ولا حدس

ومنهم سعادة ابراهيم باشا حقي متصرف بيروت الاسبق

ومنهم سعادة محمد باشا اليوسف متصرف طرابلس سابقًا وهو الآن متصرف عكة

ومنهم سعادة اخيه محمود بك اليوسف قائمقام قضاء صيدا وهو الآن مستعفي من الخدامة لان صحته لا تساعده على الخدمة وهذان الذاتان من أكابر ذوات الشام قديمًا وحديثًا ولهما شهرة بالغنى والسخا وكثرة الحواشي والمواشي والخدم والحشم ولهم مصاهرة مع سعادة محمد سعيد باشا امير الحاج الشامي ولقد اجتمعنا به ايضًا في دمشق وزارنا وزرناه في بيته الجديد وقصره المشيد

ومنهم سعادة احمد باشا اباظه متصرف اللاذقية (كان في مدة الرحلة اليها) ولكنه الآن خال من الخدامات فى الحكومة ومقيم في بيروت وهو اخو التقي الصالح الشيخ ابو خليل اباظه المعتقد فى العائلة الخديوية وكان مقيمًا في دائرة منصور باشا يكن صهر الخديوي السالف ولم يزل عندهم الى ان توفي الى رحمة الله في هذا العام امطره الله سحائب الرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان ومتعه بالحور الحسان والولدان

ومنهم عزتلو احمد بك غرت مفتش العدلية سابقًا بسورية وهو نجل سعادة

هولو باشا من ذوات الشام ومياسيرها العظام ولقد زرنا ايضاً في دار صاحب الاحترام والاحتشام سعيد افندي الكيلاني بدمشق حين توجهنا اليها في العام الماضي وسنذكره ان شاء الله تعالى في محله من هذه المجموعة

ومنهم صاحب السعادة حضرة نصوحي بك متصرف بيروت الحالي وهو من اهل الكمال والادب وذوي البيوت والنسب على دراية كاملة في السياسة تقلب في كثير من الوظائف والرئاسة يتكلم بالعربية الخالصة وله محبة في كتب الادب والشعر من كلام العرب ولقد شرع في مشروع حسن نرجو ان يساعده فيه الزمن وهو جمع كتاب يشتمل على غرر من القصائد ودرر من المقاطع والشوارد والامثلة والمواعظ والفوائد والوسائل والمقاصد وعقد له اجتماعاً في بيته مشكلاً منه ومن حضرة الاستاذ الشيخ الاحدب والشيخ قاسم ابو الحسن الكستي وحضرة حسين بك محرم وغيرهم من اهل الادب والمعرفة بسمين القول وهزيله واصيله ودخيله ورتبوا هذا الكتاب الخيالي على اقسام فالقسم الاول في الالهيات من توسلات واستغاثات واعتقادات . والقسم الثاني في النبوات كلها ولاسيما حضرة السيد الاعظم صلى الله عليه وسلم . والقسم الثالث في المدائح مطلقاً واخصها بدأ مدائح اهل البيت النبوي والصحابة والقرابة والتابعين الى قرب يوم الدين . والقسم الرابع في المقاطيع الظريفة والمفردات اللطيفة المشتملة على الامثال والحكم ومكارم الاخلاق والشيم وغير ذلك ونظن انهم باشروا في الجمع على هذا الاسلوب بلغهم الله غاية المطلوب وذلك من المقاصد الخيرية وفي طبعه نفع لكافة البرية وشتان بين هذا وبين كتاب مجاني الادب جمع اليسوعيين فانهم لم يذكروا من القصائد الموجودة في دواوين شعراء الاسلام الا الغث دون السمين ورخيص القيمة دون الغالي الثمين وكذلك فعلوا في الحكم والامثال والنوادر

والقصص الا اننا نشكرهم على ما فعلوا من عزو كل شيءٍ الى كتابه او قائله فهذه تعد فضيلة لهم في هذا الزمان الذي كثرت لصوصه حتى اختلست من الادب نصوصه ومن الذهب فصوصه فهو كتاب لا بأس به لولا ما ادرجوه في خلاله من بعض كلمات جديدة لاهل دينهم هي عن الادب بمراحل فكأنها في الكتاب كالرقعة السوداء في الثوب الابيض

(ومن اجتمعنا بهم) من الامراء العسكرية سعادة حسين باشا فوزي مشير الأردي الخامس بالشام وهو رجل وضيع النفس حسن الخلق محب للدولة والملة الا انه انتقل وسافر الى الاستانة وخلفه سعادة محمد باشا توفيق.

ومنهم سعادة سالم باشا امير لواء الرديف كان مقيماً في دار من دور عزتلو سعد الدين افندي القباني مجاوراً لنا في السكن فكان يزورنا ونزوره وهو رجل من الكبار في السن والمعرفة

ومنهم حضرة فوزي افندي مأمور الضابطية وهو رجل مهذب الاخلاق ذكي الفطنة محافظ على ما يلزم لوظيفته من السهر والملاحظة لاحوال الخفر فلا تغيب عنه شاذة ولا فاذة من احوال تلك المدينة ولقد كنا في ابتداء اقامتنا فيها نعجب من كثرت الامن بها ليلاً ونهاراً فاهل البيوت يتركونها بدون تسكير ليلاً الى الصباح فتبقى طول الليل مفتحة الابواب وذلك بهمة الضابطة ورجال الجندرمة والبوليس والسبب الوحيد في كل هذه الاشياء مراعاة القوانين وعدم المحاباة في الاحكام الا قليلاً مما لا يخلو عنه قطر من الاقطار فترى ارباب الكراريس (اي العربات) لهم نظام لا يتخطونه

اتفق ان حضرة اخينا ابراهيم افندي اللقاني المصري استكرى كروسة لتوصله الى جنينة رستم باشا متصرف جبل لبنان سابقاً وترجعه الى بيروت ثانياً وشارط صاحب

الكروسة على ذلك واعطاه الاجرة بتمامها بعد ان وصل الى المحل المذكور واتفق معه على الرجوع اليه قبيل الغروب فمضى الوقت ولم يحضر صاحب الكروسة فبعد ان انتظره زماناً نزل الى المدينة ماشياً وحكى هذه القصة في السهرة بمنزل عزتلو محيي الدين افندي حماده رئيس البلدية وانقضى المجلس على ذلك غير ان الافندي المذكور سأل عن نمرة هذه الكروسة فأفاده ابراهيم افندي عنها فما شعر ونحن في السهرة عندهم الليلة الثانية الا والسيد محيي الدين يخرج من عبه ريالاً مجيدياً و يعطيه لابراهيم افندي و يقول له خذ حقك وهو اجرة الكروسة وقد حاكمنا الرجل واعترف بالتأخير واخذنا منه الاجرة والجزاء النقدي ايضاً

فاعجب لهذا الامر الذي لا يمكن ان يراه النائم عندنا في النوم بمصر فلا حول ولا قوة الا بالله واضيعتاه على مصر وا سفاه عليها حكام ظلام متكبرون متجبرون لا يظنون انهم محاسبون ولا معاقبون ولا موقوفون بين يدي احكم الحاكمين قد انتزعت الرحمة من قلوبهم وقست حتى صارت كالحجارة او اشد قسوة كل من تولى وظيفة منهم فكانما اخذها خالدةً تالدة لا عزل ولا نقل ولا عقل

﴿ نبذة في بعض عوائد اهل بيروت في افراحهم واتراحهم وغير ذلك ﴾

وعلى هذه المناسبة نذكر نبذة من احوال بيروت واهلها ومواسمهم وعوائدهم واعيادهم فنقول :

ان من عوائدهم في اعيادهم ان يصلوا ثم يرجعوا و يزور بعضهم بعضاً في بيوتهم فيقدمون للزائر شيأ من الحلواء على صينية صغيرة في يد الخادم (اما) من الحلواء اليابسة الجافة فيتناول الضيف منها بيده قطعة او قطعتين و يأمر الخادم بالانصراف (واما) من الحلواء الرطبة المسما بالمربى من الاترج او السفرجل او المشمش او الاجاص اوغيرها موضوعة في اواني البلور ومعها الملاعق والشوك

وكوبة الماء فيأخذ المعيد ملعقة او ملعقتين او جانباً يسيرا بالشوكة و ينصرف الخادم المسمى عندهم بالصانع و يشربون القهوة و ينصرفون وهذه عادتهم الآن

اما عادتهم قديماً فانهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد سيدنا يحيى وهو مسجد البلد الكبير الجامع و يعيّد بعضهم على بعض فيه قبل خروجهم الى بيوتهم ولا يذهبون للتعييد خارجه الا لنحو امير او قريب او رحم فقط وهذه كانت من العوائد الحسنة لو دامت

واما عادتهم في الافراح فهي نشر اوراق الدعوة اولا لبعض الامراء والوجوه والاقارب لحضور كتب الكتاب (العقد) وسماع قراءة المولد الشريف النبوي نهاراً فيحضر كل من دعي في محل متسع يعدونه لذلك و يفرشونه بالفرش الجميلة و ينصبون للعالم الذي يقرأ المولد كرسي القراءة مسجى بالحرير والديباج او الكشمير وحين مايريد القراءة يرفعون الاراجيل (الشيش) التي يشربون فيها التنباك و يتركون شرب الدخان و يبدؤن قراءة المولد بعشر من القرآن فينصت الجمع و يصغون نحوه السمع و بين كل فاصلة من فواصل القراءة ينشدون الاشعار النبوية والموشحات والادوار المولدية الا انهم لا يعرفون الالحان الجديدة بل على الطريقة القديمة التي كانت بمصر منذ زمان قديم وكذا قراءتهم القرآن ليست كما ينبغي في التجويد والجودة فاهل بيروت بل واهل الشام عموماً احوج مايكون الى القراء المجودين والمنشدين المطربين فلا ينقصهم من التمدن شيء الا هذان الامران والكمال لله ثم بعد فراغ المولد على هذا النسق يقدمون اليهم قراطيس من اللوز الملبس بالسكر و يدورن عليهم بالشربات او بشيء من الفاكهة ويحضر ولي الزوج وولي الزوجة او وكيلاهما بين يدي القاضي والمفتي ومن معهم من العلماء والامراء ويسمون المهر و يعقدون عقد النكاح ويقرؤن الفاتحة بتمام الخير والصلاح

وينصرف الجمع ثم بعد ذلك اذا ارادوا البناء (دخول العروس على عرسه)
ينشرون اوراقا كاوراق الدعوة الى العقد يدعون فيها من الوجوه والاعيان
والاصحاب والاخوان اكثر من الدعوة الاولى ويجتمعون في بيت وسيع بعد
الغروب ويشرعون في الباس العروس بدلة الفرح الجديدة كل على حسب عادته
في الملبس وقدرته في اليسار والاعسار ويكون الذي يلبسه من اهل الخير والصلاح
من العلماء واهل الطريق ويدعون له بالرفاء والبنين والتوفيق ثم يؤذنون في جماعة
ويصلون في جماعة صلاة العشاء الاخيرة ويشتغلون اما بقراءة المولد على الاسلوب
الماضي او بالنوبة والدق على العود والغناء كل على حسب مطلبه ومشربه وتدور
عليهم الشربات والقراطيس التي يبدونها ويخفون كثيرا ويوزعون عليهم ايضا
شموعا كل احد بشمعته صغيرا كان او كبيرا حقيرا او اميرا لاجل ان يوقدوها ويمشوا
بها في الزفة لا يستنكفون من حملها تجملا مع صاحب الفرح وجبرا لخاطره
وبعد فراغ القراءة او الغناء يقرؤن الفاتحة ويخرج العروس للزفاف ويخرج معه
هذا الجمع حاملين الشموع موقودة والشمعدانات وصحب الشمع ويشتغل اولاد
الليالي وهم المؤذنون والقراء في التسليمات التي يستعملونها في الاذان على المنائر
ويطلقون السهومة النارية التي تسمى عندنا في مصر بالسواريخ في جو السماء ملونة
بالاحمر والاخضر والاصفر والازرق على اشكال وانواع منوعة ويسيرون بهذه
الحالة والنساء مطلة عليهم من الاسطحة والشبابيك وعلى جوانب الطريق الى ان
يصلوا الى بيت العروس فيقدم شيخ من اهل العلم ويدعو له بالدعوات الصالحة
ويختمها بسر الفاتحة ويرجع كل فريق في طريق

ولقد اعجبني هذا الصنيع في قلة الكلفة والغرامة الموجبة للحسرة والندامة
لا كما يفعل اخواننا المصريون من السرف والتلف والتبذير وقلة العقل والتدبير

فمن زوج ابنه او ابنته فقد افتقر فقراً لا غنى بعده وربما انه مع كل ذلك لا تدوم عشرة الزوجين فيرجع من فرحه بخفي حنين

واما عادتهم في المآتم فهي خفيفة الكلفة ايضاً يموت الميت فيجهزونه ويحضره من كان يريد ان يشيعه اما في البيت او في المسجد الجامع وموعدهم الصلاة اما الظهر واما العصر فاذا قضيت الصلاة المكتوبة وصلاة الجنازة خرجوا به من المسجد وامامه الفقهاء والقراء فالبعض يقرأ القرآن والآخر يقرأ البردة واهل الطرق يقرؤن في اورادهم واحزابهم ويذكرون الله تعالى والنساء خلف الرجال سكوت لا يرفعن اصواتهن بالصراخ ولا العويل بل يبكين من غير رفع صوت وكشف وجه وعليهن الازر البيض لا السود فاذا وصلوا به الى المقبرة وواروه التراب انصرفوا الا اهل الميت وبعض الوجوه فيدعوهم احد الكبار من اهل البلد او الاقارب للميت الى منزله فيكون الغداء عنده نهاراً او العشاء والسهرة ليلاً ولا يكلفون اهل الميت بشيء في الايام الثلاثة او السبعة الا انهم في تلك الايام يخرجون الى التربة نحو الساعة الثامنة ويجتمع القراء فيقرؤن ما تيسر من القرآن ويختمون الختمة بالاسماء الحسنى وكذلك يفعلون في بيت الميت بعد الغروب او في اقرب مسجد اليه الى تمام الايام الثلاثة او السبعة

فاذا جاءت الاربعون خرجوا على التربة ظهراً كما تقدم ودعوا الناس الى البيت ليلاً لحضور القراءة والذكر والطعام فمتى فرغوا من القراءة والذكر دخلوا الى اودة السفرة وعليها من انواع الكنائف والقطائف والبقلاوة ما شاء الله ان يضعوا وخرجوا فرقاً فرقاً فمن الناس من يأكل ومنهم من يقعد رسماً فقط ولا يأكل ولا يفعلون في مياتمهم من التكلفات الزائدة التي ينطبق عليها المثل السائر بينهم فيقولون (موتة وخراب ديار) وكل من جاءهم للتعزية لا يتناول الا القهوة

والارجيلة ولا ذبح ولا مليح وعلى كل حال فانهم ليس لهم كبير اهتمام بشيء من الافراح او الاحزان او العزائم او الولائم ولا يخافون لومة لائم ترى الرجل منهم يصنع الوليمة للوالي او المشير او الامير ولا يظهر على وجهه اهتمام ولا يتكلم بكلام مشغول في تجارته يبيع ويشتري في بضاعته ولوازم المطبخ قد ارسلها الى الدار مع الصانع في بكرة النهار وقد اوصى على صدر من الكنافة يملأ العين والصدر ويكفي العدد الكثير من ذوي المقامات والقدر واعتناؤهم باللحوم قليل جداً فالرطل الشامي يسد مسداً ويكفي العدد الكثير عداً ومنتهى رغبتهم وجود انواع الحلواء في المائدة فيقولون قدم لنا المحلي والتطلي وبعد وجود هذا الطعام فعلى الدنيا السلام فهذا غاية المرام ولا يظهر على الرجل منهم كآبة الحزن والترح ولا تلألأ وجهه بالسرور والفرح فهم رجال لا تلهيهم عن معاشهم افراح ولا اتراح فليت اهل مصر يتشبهون بهم والتشبه بالرجال فلاح

(واما عادتهم) في ملبوسهم ومأكولهم ومشروبهم وغير ذلك فهم في الملبس على اقسام (قسم) وهو الكثير الغالب الآن يلبس الطربوش الافرنجي والسترة والبنطلون ويحلق لحيته ويبقي شعر رأسه (وقسم) يلبس القنباز (القفطان) في اصطلاح اهل مصر وفوقه الجبة او المضربية او السترة الطويلة ويلبس كل من القسمين في رجله الاستيك (الجزمة) واما المركوب او الصرمة فقليل من يلبسها من الناس الا الفقراء جداً (وقسم) يلبس البدلة العثمانية القديمة وهي الدمير والشروال الكبير الواسع وعلى رأسه الطربوش الاسكندراني بالزر الكبير هذا ملبس الرجال منهم اما النساء فأقسام ايضاً (قسم) يلبسن الازار الابيض الناصع او الملاءة الحرير الحمرا او المناويش او الخضراء او الصفراء او الزرقاء وعلى وجوههن المناديل الرقيقة الاسلامبولي وفي ارجلهن الاستيكات (الجزم) الافرنجي ولا يظهرن من

ابدانهن شيئاً وهن نساء المسلمين خاصة (وقسم) يلبسن الفساتين الواسعة من الشيت
والصوف الافرنجي والحرير الملون وعلى رؤسهن الطرح الرقيقة او المناديل فقط
وهن مكشوفات الوجوه ليس عندهن احتشام ولا يرين بأساً في المرور بالاسواق
والشوارع والحارات ومحادثة الرجال الاجانب في الطرقات والبيوت وهن نساء
النصارى اللاتي لم يقلدن الاوروبيات حق التقليد (وقسم) كنساء اوروبا تماماً في
ارخاء الذيول ولبس الاعراف والبرانيط على رؤوسهن ولا يفترقن منهن الا
باللسان واللغة فمتى رأيتهن لا تشكنَّ في انهنَّ من نساء الافرنج وهذا لبس غالب
نساء النصارى المقلدين لهم في كل احوالهم واطوارهم حتى ان الرجل منهم وهو
مولود في بلاد العرب ومربي بين اظهرهم بل وربما كان من اهل الفلاحة وسكان
جبل لبنان ينزل الى المدينة ويتعاطى اسباب التجارة فيصير زنجيناً (غنياً
مواسيراً) فيتخلق في اقرب وقت بالاخلاق الافرنجية ويبني له قصراً على طرز بلاد الافرنج
ويمشي هو وامرأته في الطريق يده في يدها ويتحادثان بمرأى ومسمع من الناس
واكثرهن جميلات الصور بديعات المنظر نفتتن بهن الرجال ولا عليهن في ذلك
من باس ولقد ساعدهن على ذلك كثرة الاموال وسخافة عقول الرجال فانهم
يرون ان الشرف والمقام في بروزحريمهم متبرجلت بالزينة ليرى الناس اثر النعمة
والرفاهية عليهن فيقابلن الرجال بدلاً عن ازواجهن ويجالسنهم ويجانسنهم بالمحادثة
والمضاحكة ويكون الرجل في ذلك الوقت مشغولاً باشغال تجارته وزراعته
وبهذا التبذل الذي يظنونه تمدناً اشتبه الحال وزاد الاختلال فلا يدري حال
المرأة وهي مارة بالطريق مع رفيق اهي مع حليلها ام خليلها ومع كل ذلك فانهم
يشدون النكير على المسلمين في منع نسائهم من كشف الوجوه ويقولون انه حصر
لطبيعتهن وهن من الجنس اللطيف والعبرة بحفظ الباطن وما دروا ان الظاهر

عنوان الباطن والنظر بريد الزنا فما اختف عقولهم يجعلون محاسن الدين عيوباً وحسنات اهل الاسلام ذنوباً تمشي نساؤهم في الاسواق عرضة للعشاق وذوي الاشواق من الفجار والفساق كقطيع الظباء او كنعاج الفلا تعسفن رملاً ويقولون هذا التمدن والظرافة والحرية وهي خصلة باسم عدم الغيرة والناموس حرية ولا اظن ان في المدن الاسلامية من يضاهي نصارى بيروت في تقليد الافرنج وخلع العذار وترك الازار

(نعم) ان في اهل مصر الآن خروجاً عن الآداب وتهتكاً فاحشاً في الارتكاب الا انهم لم يزالوا على رسومهم الاصلية في الملبس الا قليلاً منهم لكنهم زادوها تنميقاً وتزويقاً فقط ولم يغيروا الزي القديم فالرجال بعمائمهم وجببهم الا انهم صغروها وضيقوها والنساء بحبراتهم وبراقعهم الا ان في قلب البراقع عقارب كما تقول العامة (تحت البراقع سم ناقع) فكان هؤلاء يظنون ان تقليد الافرنج هو ادخل في باب النصرانية من البقاء على الفطرة الاصلية لا بل هو يفك عرى دينهم ويوجب الشك في يقينهم

(واما عوائدهم) في المأكل والمشرب فهي لطيفة جداً ينزل الشخص منهم في بكرة النهار الى السوق فقبل ان يفتح مخزنه او دكانه يذهب الى اللحام (الجزار) فيشتري منه اللحم والى الخضري فيشتري منه الخضرة متممة بحامضها وليمونها وفاكهتها وسلطتها ويضع ذلك كله في سل (سبت) ويرسله الى البيت مع صانعه ان كان ممن لهم صانع وقليل ما هم او اجير يعطيه مصريتين ويذهب بهذا السل الى البيت فيوصله الى ربة المنزل او الصانعة التي عندها ويذهب الرجل بعد ذلك الى محل شغله حتى اذا فرغ منه قريب الغروب ذهب الى منزله فرأى العشاء حاضرا ناضرا فياكل وينام الى مثله من اليوم الثاني وهلم جرا وقد يخرج بعد

العشاء الى القهوة فيشرب الارجيلة والقهوة الى ان يمضي من الليل نحو ثلاث ساعات او اقل او اكثر و يرجع الى بيته

واما السهر عندهم في البيوت فلا يكاد يوجد الا مع الاهل والاقارب او على سبيل النذور في بيوت بعض الامراء والذوات كبيت السيد فتيحه وبيهم وما اشبه ذلك

ومن الخصال الحميدة في هذه المدينة انه لا يوجد فيها تجاهر بالمعاصي اصلا كشرب خمر وزنا وغير ذلك بالنسبة للطائفة الاسلامية مع كونهم منغمسين في وسط الامة النصرانية وهم دائمًا في شرب وسكر وايضاً فالقهاوي الموجودة بها بل و بغالب مدن الشام لا توجد فيها اشياء من المسكرات او المخدرات كالحشيش والشيرة والبسط التي عمت البلوى بها في مصر فذلك مما تغبط عليها اهل بلاد الشام صانها الله مما يشينها وجميع بلاد الاسلام بجاه النبي عليه الصلات والسلام

ومما يغبطون عليه ايضاً كثرة المدارس وادخالهم الاولاد فيها ذكورا كانوا او اناثًا لاجل التعليم فيتعلمون فيها المبادي الدينية اولا وجانباً من القرآن العظيم والخط والحساب والهندسة والجغرافيا واللغة التركية وبعض الالسن الافرنجية فتارة يبقى التلميذ في المدارس يتدرج من واحدة الى اخرى حتى يتم تعليمه وتارة يخرج منها اذا كان يحتاجه ابوه لمساعدته في اشغاله فيخرج ذكياً فطناً حسوباً كاتباً ماهراً فيحفظ دائرته ويلم شعثه وكذلك البنت فانها تخرج قارئة كاتبة متعلمة من الصنائع ما تقدر ان تمون منه نفسها بل وزوجها ان ارادت

ولقد حضرنا امتحان الجميع في مدارسهم في الامتحان العام في اواخر كل عام فرأينا فيهم من النجابة والاجابة ما يملأ القلب مسرة والعين قرة ولا سيما مدارس البنات فهن في غاية الثبات في الحساب والاعراب والقراءة والتجويد في القرآن

وجودة الصنعة في الخياطة والاتقان ولقد عرضت مصنوعاتهنَّ في مجلس الاحتفال بفحصهن للمبيع فاشتريت باغلى القيم ولو رأيت ما يحصل في الفحص السنوي من الاحتفال المهول الذي تجتمع له اكابر البلد وامراؤها ووجوهها وعلماؤها لهبت هذا المجمع الحاشد وظننت انك لا تقدر ان تقوم فتنطق فيه ببنت شفة ومع ذلك تقوم البنت منهن فترقى منصة الخطابة وتلقي على الحاضرين خطبة بليغة بلسان ذرب فصيح من غير هجنة ولا تلعثم ولا لكنة فجزى الله خيراً من سن هذه السنة واجزل له العطاء والمنة وجعل مقر روحه الجنة

واما حالة اهل بيروت في الماء فاهل الثروة يدخلون الى بيوتهم الماء في حيات من الرصاص و يصنعون لهم البرك اللطيفة من الحجارة والرخام وفي وسطها النوافر تصب طول الليل والنهار فيها و يشترون هذا الماء من الكبانية الاوروباوية الموجودة بها الى الآن واصله من نهر يسمى (نهر الكلب) منبعه قريب من محل يقال له (ضبيه) على نحو ساعتين من البلد يصل اليها في قساطيل الحديد ويمشي في طرقاتها وشوارعها في تلك القساطيل تحت الارض وقد عمل في كل حيّ من احيائها مجمع للماء على حساب البلديه فيقال له عندهم (الحاووز) يعني البركة الكبيرة مطلق الحظر لكل من يتناول منهم من الفقراء وغيرهم كانه مسبل و كذلك في كل مسجد من مساجدها او زاوية من زواياها بركة من الماء على حسابها ايضاً و يدفع ثمنه للكبانية بمقادير يسمونها (الامتار)

فمن الناس من يشتري قدر نصف متر ومنهم من يشتري متراً كاملاً ومنهم الاكثر فالاكثر على قدر حاجته في شرب او سقاية ارض

ولقد وصل ماء نهر الكلب الى بيروت حديثاً بواسطة الكبانية اما ماؤها الاصلي فموجود الا انه غير كاف للشرب والسقاية كهذا النهر ويحتاج في تصليحه

وجعله كافياً الى غرامة عظيمة واهل البلد في غني عنها الآن وموجود منه جانب عظيم يجري اليها في مجري تحت الارض الى ان يصب في الحوض الكائن بباب الدركة المشهور قريباً من باب يعقوب المسمى (باب السور) ولها باب آخر يسمى (باب ادريس) في الجانب الغربي منها

واما البابان السابقان فهما من جانب القبلة اي الجنوب وشمالها البحر ولها باب آخر من الغرب يقال له (باب البزركان) ومن الشرق (باب السراية القديمة) وقد احدثوا الآن سراية جديدة في غاية المتانة والظرافة وصارت الآن مشتملة على دوائر الحكومة كلها من ضابطة ومجلس بلدية ومجلس ادارة ومجلس تجارة ومجلس قضاء ومحل ولاية ولها ثلاث طبقات عليا ووسطى وسفلى وجعلوا امامها بخشة (جنينة) ظريفة منتظمة لها سور من حديد وفي طرفيها (بركتان) للماء فيهما نوفرتان وفي وسطها قبة ظريفة مرخمة للجلوس وفي جميع نواحيها الكراسي لاستراحة المتنزهين فيها مجاناً بدون مقابل وشرع في كل هذه الدوائر بعد قدومنا الى بيروت وتمت على احسن نظام فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين حسن الختام امين

مطلب في ذكر اسماء اخواننا المصريين المنفيين

واعلم ان الذين وردوا الى بيروت من المصريين المنفيين من مصر بواسطة الحادثة العرابية هم الفقير العاجز واخوه والاستاذ الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الرحمن عليش واحمد بك فرج وحضرة احمد بك عبد الغفار (ميرالاي) وحضرة مصطفى بك عبد الرحيم (كذلك) وحضرة حسن بك جاد (كذلك) وحضرة خليل بك كامل (كذلك) وحضرة خضر بك خضر (قايمقام) وحضرة محمد بك الزمر (كذلك) وحضرة فوده بك حسن (كذلك) وحضرة عيد بك محمد (كذلك) وحضرة محمود افندي احمد (ساقول اغاسي) وحضرة ابراهيم افندي اللقاني (من الملكية) وكان

مستخدماً في الداخلية وحضرة حسن افندي الشمسي (محرر جريدة المفيد) وحضرة السيد عبد القادر افندي الغرياني من اعيان تجار الاسكندرية وحضرة الشيخ امين ابي يوسف من طلبة العلم بدمياط والشيخ يوسف اسماعيل الصغير من بني احمد بمديرية المنيا والشيخ علي حسين من نزلة حسين بالمنيا ايضاً وحضرة احمد افندي رشوان الدشناوي من مديرية قنا وكان في العهد القديم (ناظر قسم اول الجيزة) ومحمد افندي الصدر وشيخ العرب حسين مطير يد والشيخ مصطفى الكردي وآدم اغا الارنؤطي ومصطفى بك النجدي

فاما الفقير واخوه فلم نبرح من ولاية سوريا اصلا منذ دخلناها غير اننا توجهنا الى صيدا واللاذقية وطرابلس ويافة والقدس والشام الكبيرة لغرض الزيارة والتفسح وتبديل الهواء فقط وسنأتي على ذكر هذه السياحات في موضع آخر من هذا المجموع ان شاء الله تعالى

واما اخواننا المصريون فقد سافر منهم الى الاستانة حضرة خليل بك كامل وعيد بك واحمد بك فرج ثم رجعوا منها الى رودس وازمير الى ان انقضت مدة احدهم وهو احمد بك فرج فرجع معه من ازمير حضرة صهره وعيد بك وبقي بها خليل بك كامل الى الآن

وتوجه احمد بك الى مصر وبقي عيد بك معنا في بيروت الى الآن

وسافر حضرة الشيخ محمد عبده الى باريس ببلاد فرنسا واجتمع على استاذه الشيخ جمال الدين الافغاني وانشاء جريدة عربية يقال لها (العروة الوثقى) جل مقالاتها في التنديد على سياسة الانكليز في مصر والتقبيح لما صنعوا فيها من بث الدسائس ومخادعة الدول في شأنها ولا سيما الدولة العلية والغرض تنبيه الافكار على ما اضمروه تحت الاستتار واظهار الاصلاح والراحة لاهل مصر ولم يظهر من

تلك الجريدة الا نحو السبعة عشر عدداً ولم تساعده الاقدار في الزيادة على هذا المقدار اذ من المعلوم ان لكل خير مانعاً بل موانع والله عن عباده العاجزين يدافع وقل ما شئت في جودة هذه الجريدة وعبارتها البارعة المفيدة المشتملة على المقالات الفريدة البديعة المثال التي لم ينسج بعد لها على منوال ثم توجه حضرة الشيخ محمد عبده الى لندره عاصمة بلاد الانكليز واجتمع بكبار الوزراء بها ثم رجع الى باريس ومنها الى تونس الغرب ومنها الى بيروت وهو الآن مقيم بها (وقد انقضت مدة نفيه) الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً وسافر مصطفى بك النجدي الى الاستانة فهو مقيم بها الى الآن وتوجه الشيخ عبد الرحمن عايش الى دمشق ونزل ضيفاً مكرماً على حضرة الامير السيد عبد القادر الجزايري اسكنه الله فسيح الجنان فاكرم مثواه وبالغ في قراه الا انه لسوء البخت ونحوسة الوقت عاجله المنون فلعبت به الظنون وتوهم مالا يكون فرجع الى بيروت ثانياً عنانه وتوجه الى الاستانة واقام بها مدة في ارغد عيش ثم دعت الحال الى انتقاله الى رودس فسافر اليها واقام بها الى الآن

وتوجه احمد افندي رشوان الى الشام مراراً واقام بها مدة طويلة وفي ضواحيها وسافر منها الى حمص وحلب وحماه وانطاكيه واللاذقية وطرابلس وسافر معنا ايضاً الى صيدا وصحبنا في التوجه الى دمشق وفي مرورنا على الناصرة وطبرية وما زال يقضي الايام والليالي بالسياحة والسفر والتنزه الى ان مضت مدته فتوجه في هذا العام الى مصر

وكذلك محمد افندي الصدر بعد مضي السنة التي هي مدة نفيه رجع الى وطنه

وكذلك الشيخ علي ابو حسين وشيخ العرب حسين وآدم اغا بعد مضي

السنتين اللتين هما مدة نفيهم سافروا الى مصر

وكذلك ابراهيم افندي اللقاني وحسن افندي الشمسي والشيخ امين ابو يوسف الدمياطي بعد انقضاء الثلاث سنوات التي هي مدة نفيهم رجعوا الى بلادهم

وباقي الجماعة الذين لم تفرغ مدتهم التي هي ما بين اربع سنوات او خمس او ثمان باقون في محلات اقامتهم الى ان تفرغ المدة او يأتيهم الفرج الالهي من عند الله القادر على فرج العبيد الفعال لما يريد وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير

وحيث كان هذا النفي عقيب الحادثة واشتعال لهيبها واشتغال القلب بها واحتراق الفؤاد بما حصل بسببها من الاهانات والتعذيب والتبعيد والتقريب كان كل من الجماعة الملكية والجهادية ينسب هذا الاثر المحزن المسيء للطائفة الاخرى ويقول كان الاولى في المسألة هكذا وهكذا

وبهذه المقالات حدثت هناك حزازات في نفوس هؤلاء الذوات وقلما اجتمعوا في مجلس الا واشتعل نارها وانتشر شرارها ومع كل ذلك فانه لا يغني حذر من قدر وقد تم الامر وانقضى ولا يعاد ما مضى ولا يجدي كثرة القيل والمقول بعد الوقوع والنزول وبالحقيقة فليس احد منا الا وقد دخل في هذه المسألة اما اولاً واما آخراً والمقاصد والنيات يعلمها عالم الخفيات والدرجات ايضاً متفاوتة في قوة الحركة وضعفها والمباشرة وعدمها (وما ابرئ نفسي) من الدخول وانما ابرئها من قصد السوء فما كان القصد لنا في التداخل اخيراً الا مجرد المدافعة عن الاهل والوطن والملة والله اعلم بالسرائر وهو المطلع على ما في الضمائر

وبالجملة فلولا هذه الاحقاد في الفائت بدون طائل لكانت اقامتنا بهذه المدينة تعد من الفرص التي ينتهزها الانسان عند التغرب عن الاوطان وتقلبات الازمان فقد استحصلنا على معارف كثيرة من العالم ومشاهدة مشاهد ومعاهد ومعالم

ومناظر طبيعية فائقة وجبال عالية شاهقة . واوقفتنا هذه الرحلة على كثير من اخلاق الناس وعوائدهم بما لا نقف عليه ونحن بمصر في طول عمرنا . فياليت هذا النفي كان صافياً من كدر هذه المنافرة ليكون مشتملاً على محض الفوائد الوافرة ولكن الوقت غير قابل لنصحنا ولا مسعف بالوفا . شعر

ومكلف الايام ضد طباعها . متطلب في الماء جذوة نار

وعلى كل حال فالاقتصار في المقال اولى من التمادي في هذا المجال والا انجررنا الى الوقوع في الغيبة اذا استقصينا ماوقع في هذه الغيبة ولم تزل الاشراف تبتلى بالاطراف من قديم الزمان والله المستعان على ما كان

(ذكر الذهاب الى صيدا وغيرها من البلاد الشامية)

قد علمتم ماوقع بين الاخوان من كثرة القال والقيل فعند ذلك قلنا قد وجب الرحيل وطلب التحويل فاستخرنا الله سبحانه وتعالى وعزمنا على التوجه الى صيدا (لانها اقرب مدينة امينة الى بيروت) بقصد تمضية بعض ايام بها ترويحاً للروح وتنفيساً عن النفس واستجلاباً للسرور والانس وكنا اذ ذاك في دار قريب من منزل السادات حماده ودار سعادة تغري بك المصري ابن محمود باشا متسلم بيروت سابقاً وكان ناظر المالية المصرية اسبق من ذلك وتلك الدار منسوبة لرجل يقال له الشيخ صالح طبارة دار محفوفة بالاشجار فيها بركة ماء مدرار وعلى جميع اسطحتها دوالي العنب دانية الجنا حلوة المجتنى بحيث ان الجالس في حذاء شبابيكها يتناول قطوف العنب وثمر الليمون وغيره وزهر الورد والياسمين و باقي الرياحين فلما ان صممنا على السفر اغلقنا باب الدار على مافيها من الاثاث والمتاع خوفاً عليه من الضياع واستأجرنا خيولاً من المكارية وسافرنا الى صيدا صباح اليوم فما وصلنا الا وقد صارت الساعة عشرة او اكثر وطريقها على شط البحر او

قريب منه وفيها محلات للاستراحة يقال لها في اصطلاحهم (الخانات) تنزل الركاب فيها للاكل والشرب لان فيها حوانيت لبيع الاشياء التي تلزم للمسافرين من خبز ولبن وعلف للمواشي وفي اثناء الطريق قريباً من صيدا خان مشهور بخان سيدنا يونس عليه السلام وفيه مزار له يقال ان هذا المحل هو الذي خرج فيه من البحر بعد التقام الحوت له والعلم عند الله تعالى

ولقد نابنا في هذا الطريق مشقة شديدة من السير لصعوبة الارض بالنقارات. التي فيها وهي كناية عن صخور واحجار صغار وكبار معترضة في وسط الطريق المسلوك وليس هناك طريق آخر غيره الا طريق الجبل وهي ادهى وامر وما زلنا نتعجب من هذه الطرقات الى ان سافرنا الى القدس فعلمنا ان طريق صيدا بالنسبة الى الطرق التي في جبال القدس والخليل ونابلس من اسهل ما يكون في تلك البلاد ثم اننا في اثناء السير وصلنا الى نهر يقال له (نهر الدامور) ينحدر الماء منه نازلا من الجبل انحداراً شديداً ولقد سمعنا قبيل سفرنا من بيروت انه غرق في هذا النهر رجل شامي وولده اخذهما التيار والقاهما في البحر لكونهما ارادا قطع النهر من قرب مصبه في البحر المالح ولذلك ابعدنا عن المصب وقطعناه الى الجانب الآخر ونزلنا بصيدا في بيت الحاج ابراهيم الديماسي احد الاخوان الصاوية من تلامذة الشيخ محمد الجسر الطرابلسي تعرفنا به في بيروت من حضرة السيد محيي الدين حماده وقد ارسل له وصية في جواب من طرفه يعرفه فيه بقدومنا وارادتنا النزول في داره وقد حصل ودخلناها فوجدناها على شط البحر مشرفة عليه واخلى لنا منها الدور العلوي بتمامه لاجل جلوسنا ونومنا ومن معنا من الاتباع .

وصار الرجل وولده الشيخ احمد وعياله في خدمتنا ليلاً ونهاراً وتواردت علينا اهل البلد للزيارة والتسليم

فمنهم قائمقام صيدا اذ ذاك وهو حضرة احمد بك شكري

ومنهم رئيس البلدية بها وهو حضرة ابراهيم اغا الجوهري واولاد اخيه

ومنهم مفتي البلد حضرة الفاضل الحاج عثمان افندي الزين

ومنهم قاضيها اذ ذاك حضرة العلامة سليمان افندي خسبي

ومنهم العالم العامل الصالح الورع الشيخ زكريا (خليفة الصاوية) فيها من تلامذة الشيخ محمود الرافعي وحضرة اخيه الفاضل الكامل الشيخ ياسين احد المدرسين بها المنتفع به فى التعليم

ومنهم السيد الشريف العالم العامل الشيخ احمد افندي الزين نقيب الاشراف بها وسبق له مجاورة بالجامع الازهر قديماً وحضر على الاستاذ الباجوري وغيره من افاضل الوقت

ومنهم حضرة حسين افندي السوري واخوه

ومنهم عبد السلام افندي الحلاق وولده عبد الغني افندي الاول خبير بالجراحة والطب ظريف المسامرة لطيف المحاورة والثاني ساعاتي فى السوق بجوار البحر كثيرا ما كنا نجلس عنده في دكانه لكونها في ممر الناس ومفارق الطرق منشطه مبسطه

ومنهم الوجيه الحاج محمود المجذوب دعانا الى منزله العامر وصنع لنا وليمة فاخرة

وكذلك جناب مفتي افندي الحاج عثمان الزين دعانا الى منزله في طرف البلد من الجانب الشرقي مطل على الجناين والبساتين وتناولنا عنده طعام العشاء

وكذلك حضرة ابراهيم اغا الجوهري دعانا الى منزله بالبستان فرينا محلاً ناضراً زاهياً زاهراً

وفي صيدا من المشاهد والمزارات المشهورة مزار سيدنا يحيى بن زكريا في اعلى الجبل في محل مشرف على البلد والبحر في غاية النضارة بين البلد وبينه نحو النصف ساعة كلها بساتين وجناين وهو من الجانب القبلي وقريب منه بيت الشيخ عبد الرحمن السن رجل مشهور بالصلاح والخير تلميذ الشيخ محمود الرافعي ولمولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان حسن اعتقاد فيه والتفات اليه ولقد زرته في مروري على طريق سيدنا يحيى فرأيته رجلاً خمولاً ذا انكسار وخضوع

ومن مزاراتها ايضاً مزار سيدنا شمعون في الجانب الشرقي منها على يسار الذاهب اليها في طريق بيروت قريباً من العمران على شاطئ البحر يخرج اليه اهل البلد في الغداة والعشي لشم الهواء وفي الجانب الغربي منها مزار الشيخ ابي روح خارج السور على بسيط من الارض بجانب البحر ايضاً وهو محل نشيط جدا وفي وسط البساتين من جهة القبلة مزار سيدنا صيدون يقولون انه من الانبياء ايضاً وبها قلعة في البحر متصلة بالعمارة بواسطة جسر مبني من الحجارة يسمى في اصطلاح اهل مصر بالقنطرة وهي قديمة جداً وفيها مدافع من الحديد يرى عليها انها قديمة العهد جداً وفيها مدافع اخرى مركبة على عجلات مكتوب عليها اسم محمد علي باشا تركها المصريون فيها من ايام دخولهم البلاد الشامية مع ابراهيم باشا المصري وصيدا هذه بلدة صغيرة الان بالنسبة لباقي مدن الشام وان كانت في قديم الزمان مدينة مهولة كما يدل لذلك التاريخ والآثار وبها من البساتين ما يروق الناظر ويدهش الخاطر تشم في ايام الربيع زهر الليمون والبرتقان وروائحه الزكية من مسافة بعيدة وانت داخل على البلد او وانت في داخل المدينة وبالجملة فهي بلدة عذبة الماء جيدة الهواء خصوصاً في ايام الربيع لطيب نفح زهرها البديع

وفي الجنوب الغربي منها على نحو ساعة مزار (لسيدنا داود عليه السلام) في اصل جبل عال على رأس وادي هناك به اشجار ومزارع يصب في بركة (امام المزار) ماء نبع غزير في رأس الجبل شديد البرودة ثم يسيل من تلك البركة الى الوادي فيسقي منه الشجر والزرع

وفي الجنوب الشرقي في رأس جبل هنالك مزار يقال انه قبر (شرحبيل الصحابي الجليل) فكنا مدة اقامتنا بها نأخذ الغذاء منها بكرة ونذهب الى مزار من تلك المزارات ونمر على البساتين ذهاباً واياباً ونقضي مدة النهار خارج البلدة الى ان يرجعنا اليها الليل والمبيت لما نجده من الانشراح في الغدو والرواح

وفيها عدة مساجد ظريفة الا ان الطفها بنياناً واعظمها اتقاناً واحسنها موضعاً واتمها موقعاً الجامع الكبير العتيق الذي جددت فيه واصلحت بعض خلله والدة خديوي مصر السالف (اسماعيل باشا) بواسطة المرحوم الشيخ ابي خليل اباظة فانه من اهالي صيدا ولم يزل بيته فيها من اعظم البيوت واولاده مقيمون بها الى الآن ولكنهم في هذا الوقت مستخدمون في خدامات الدولة العلية برتبة القائمقام بقضاوات ولاية سورية وكان ذهابنا اليها ورجوعنا منها في سنة ١٣٠١ الف وثلثمائة وواحد ولم نزل مقيدين ببيروت الى تاسع شهر ذي الحجة الحرام من سنة ١٣٠٢ الف وثلثمائة واثنين

ثم عزمنا على السفر الى طرابلس الشام للتفسح وزيارة مشايخنا واخواننا الطرابلسيين الذين كنا نعرفهم في مدة المجاورة بالازهر لان كل من حضر منهم الى بيروت يلح علينا في التوجه الى زيارتهم في بلدهم وكذلك من لم يحضر اليها يرسل الينا بطلب ذلك وعند ارادة السفر لم نجد الا الوابور العثماني متوجهاً بدولتلو المرحوم (احمد باشا حمدي) الوالي الى اللاذقية فلم ننكث العزم لذلك

بل قصدنا زيارة السلطان (ابراهيم بن ادهم) فانه بجبله الكائنة بجوار اللاذقية وتوكلنا على الله سبحانه وتعالى ونزلنا الوابور وسار بنا تلك الليلة وبتناها كليلة الملسوع من شدة قيام البحر وقعود همة الوابور فما اصبح الصباح وانتشر الضياء ولاح الاوقد وصلنا مينا اللاذقية وكان في الظن ان ندرك صلاة عيد النحر بعد الخروج من البحر فلم يساعدنا الحظ المنكود مع بذل غاية المجهود ومن شدة كبر البحر في ذلك اليوم كان البعض من الركاب في الوابور يلقونه الى الفلايك رمياً لبعد ما بينهما و بين سلم الوابور فمرة تراها مرتفعة مع الامواج ومرة منخفضة عن السلم وما زلنا نطلب من الله السلامة الى ان خرجنا الى البر فوجدنا شاطئ البحر غاصاً باهل البلد المقابلين لجناب الوالي الافخم واستقبلنا حضرة (السيد محمد) الاسطى الطرابلسي الاصل فانه كان مستخدماً بتلك الجهة وله منزل باللاذقية وكان معنا في هذه السفرة حضرة (السيد محمد علي) الخوجة اخو (السيد محمود) الخوجة فكتب الى هذا الافندي تلغرافاً يفيده فيه عن قدومنا فاستقبلنا الرجل بكل اكرام واجلال واحترام وذهب بنا الى منزله واشتغل بملاقاتنا وخدمتنا عن ملاقاة الوالي وخدمته واقمنا بمنزله نحو الثلاثة ايام وجاءنا من وجوه البلد وعلمائها من لا نعرف اسمائهم جميعاً الا انا نعرف منهم حضرة الاستاذ الشيخ (عبد الفتاح المحمود) من اعظم اهل العلم نفعاً بها وله نظم الاظهار وشرحه في النحو اهدي الينا نسخة منهما فوجدناهما في غاية الظرافة والسلاسة والانسجام وكذلك الشيخ الفاضل العالم الكامل (محمد افندي صالح) اديب شاعر ناظم ناثر وخطيب مسجد الولي الكبير والعلم الشهير الشيخ (محمد المغربي) صاحب الكرامات الباهرة والاسرار الظاهرة جاء من بلاد المغرب واقام باللاذقية من عهد غير بعيد وما زال بها مشتغلاً بالارشاد والتعليم الى ان انتقل الى دار النعيم ودفن في اعلى بقعة في البلد كانت محل قلعة قديمة

فترى على مسجد هذا الولي وضريحه من البهجة والرونق والنور الواضح المشرق ما يدركه كل ذي نظر ولا يخفى الا على فاقد البصر والجالس في هذا المزار المتلألئ بالانوار يرى البلد والبحر اسفل منه في غاية النضارة

ومن جملة من اجتمع بنا فيها حضرة قاضيها ومفتيها وحضرة الاستاذ الشيخ (عبد الوهاب الصوفي) وولده وهو رجل عالم فاضل صالح حنفي المذهب كان مجاوراً في الازهر مدة استاذنا الشيخ (الباجوري) وكان له مرتب عظيم في الازهر نحو الالف القرش الا انه زاد به الشوق والحنين الى وطنه فلم يستطع صبراً على الاقامة بمصر فترك دروسه ومرتبه ورجع الى بلده ولقد رأيناه وحاله في الدنيا حال الفقراء ولورعه وصلاحه لا يرضى بالدخول في الحكومات الا انه من بيت شهير يقال له بيت الصوفي منهم الشيخ (محمد صالح) المتقدم الذكر والشيخ عبد اللطيف الصوفي اخوه موظف في الحكومة بوظيفة لا اذكرها الآن

واخبرني الشيخ (عبد الوهاب) المذكور انه في مدة مجاورته بالازهر اجتمع بحضرة الوالد وتلقى عنه طريقة الخلوتيه ولم يزل مشتغلاً بعهد الاستاذ الوالد ووِرده الى الآن لا يترك ذكره وقراءة الفواتح والدعاء الصالح له ولاولاده عقب كل صلاة ولقد فرح بنا هذا الشيخ فرحاً شديداً وكلفنا دخول منزله لقصد حصول البركة من حسن عقيدته مع اننا والله مفتقرون لدعاء مثل هذا الشيخ والتبرك بمقابلته ومصافحته وله ولد اسمر اللون مشتغل بالعلم اخبرنا انه من جارية تسرى بها في مدة المجاورة فرزق منها بهذا الولد النجيب

ومن جملة اعيان البلد اولاد هارون عائلة مشهورة دعونا الى منزلهم وصنعوا لنا وليمة عظيمة وزادوا في الاحتفال والاجلال وكذلك (محمود بك) الخازندار جاء لزيارتنا مراراً عديدة

ومدينة اللاذقية هذه اشبه شيء ببلاد مصر في بساتينها ولون ارضها ووجود الطواحين الشبيهة بطواحين بلاد مصر على الخيول وكذا النواعير اسي السواقي وبعد ان اقمنا بها ثلاثة ايام تركنا جناب الوالي في اشغاله وتنظيماته واستأجرنا دواب من المكارية وتوجهنا لزيارة السلطان (ابراهيم) بن ادهم في بلد قريب منها يقال لها جبلة وكان معنا حضرة (محمد افندي علي) الخوجه (وابورضا السيد عبد القادر) كروان من تجار دمشق وذلك بعد ظهر الجمعة وصلاتها في مسجد الاستاذ (المغربي) فما وصلنا جبلة الا قريب الغروب ونزلنا في بيت (محيي الدين) افندي صهر الخوجه محمد علي وبعد الغروب توجهنا لزيارة ضريح ابن ادهم رضي الله عنه وارضاه فوجدناه مزارا عالي المنار واضح الانوار يدهش الناظر وينعش الخاطر تظهر عليه ابهة الملك والسلطان والفتوة والاحسان وفي مسجده من الآثار والبنيان والاتقان ما يشهد لهذا السلطان بأنه قد خدمته ملوك الزمان

ففي دوائر الحرم عدد كثير من الخلوات المعدة لنوم الغرباء والنزلاء برحابة الرحب والواردين على مورده الزلال المذوب والوافدين على بلاد الشام من الهند والسند والعرب والاعجام وفي دائرة الحرم حمام عذب الماء مجرب للشفاء وفي وسطه بركة ماء كبيرة جدًّا وحولها من شجر السرو شجرات كأنها في العلو منارات وكنا في مدة الاقامة بجبلة نصلي غالب الاوقات بمسجده الشريف ومزاره المنيف ونبسط اكف الضراعة والابتهال في التوفيق لصالح الاعمال وبلوغ جميع الآمال ولقد انشأ الفقير قصيدة استغاثية وشكوى حال واقعية وجعلتها في صورة عرضحال بسبب ما وقع لنا من الغربة والارتحال وقدمتها لجنابه والقيتها في رحابه متوسلا الى الله بكمل احبابه ومفاتيح ابوابه وها انا

اذكر لك هذه القصيدة بتمامها وان لم اكن قد اجدت في نظامها فان الشيء يحسن بحسن موضوعه والتابع يشرف بشرف متبوعه وهي هذه

جئت وانوقت بالمكارم اظلم ابتغى العون من جناب ابن ادهم

الامام الـهمام رب المعـالي بازخ المجد في الطراز المقدم

مأمل الآملين في كل خير ملجاء الخائفين ان افرط الهم

معدن الجود في الوجود فزره فحماه للكل مغنى ومغنم

حرم الأمن كعبة اليمن لكن بيتـه الوفود غير محـرم

قطب غوث يغيث من حل فيه ويحل المقـود ما لم يحتم

ما اتي حيه طريد خطوب يشتكيها الا واجلى وانعم

بحر فضل يعم فيض عطاه كل راج لذلك اليم يمم

جئت في حالة افتقار وذل وانكسار والله بالحال اعلم

وفؤادي على الضريح ينادي يما لهذا الجريح غيرك مرهم

مسني الضر من عوادي زمان وقد الجمر في الضمير واضرم

من مجيري ان جار دهري جهارا واجترى عاديا علي واجرم

فالتفت سيدي لعبد ذليل وتعطف واسمح له وتكرم

رد عنه كيد الزمان وادرك ارض مصر فالكرب فيها تجسم

حل فيها من العداة عوادي قد تعدى عدوهم وتحكم

والزمان الخؤن اخنى عليها واحال الغريم لكن لمغرم

يا امام العلوم انجد مريداً هو بالحب في جنابك مغرم

قد عرضنا عليك قصة حال ثم ننهي في الحال عما نقدم

فهي عندالسلطان ترفع شكوى وهو احنى على الرعايا واحلم

جئت ضيفاً في حيكم ونزيلا زائراً ذلك المقام المعظم
فارتحالي للشام غير حالي وانتحالي اوهى فؤادي واوهم
انت باب للفتح والمنح حقاً والنوال العميم منك اتقد عم
فتحنن يا ابن الكرام علينا علنا من حوادث الدهر نسلم
شد يا ادهم الرجال عليهم خيل عزم على النزال مصمم
واعترضهم ان جئت عارض رمح هو اقوى على الدفاع واقوم
عظم الكرب والبلاء علينا وعزيز الاسلام بالذل سلم
فالنزال النزال واجلب عليهم وابدهم بجيش سر عرمرم
بشرتني بشائر الظن فيكم ونسيم القبول لما تنسم
وتغنى حادي الركائب يشدوا بسرور على صفاه وزمزم
يا فريدا في الزهد والمجد جمعاً يا وحيدا في الجود مثلك يرحم
فتعطف ياقطب وارحم ودافع عن نزيل وقل مرادك قدتم
صلى ربي على المشفع طه احمد الرسل والكريم المكرم
وعلى الآل والصحابة طرا وعليهم رضوان ربي وسلم

وقد انشأ حضرة اخي الشيخ احمد قصيدة استغاثية لجنابه ووضعها في رحابه وهي هذه

الى علياك كم جزنا البوادي وجبنا كل منعطف ووادي
اتينا للكرامة من بعيد فانك ذو الكرامات البوادي
دخلنا للحمي وسوف نحمى من القوم العدا ومن العوادي
احاطت للخطوب بنا جيوش اضرت بالجسوم وبالفؤاد
وحاربنا الزمان بكل كرب على جرد من البلوى جياد

رمى فاصاب منا كل شهم	وما طاشت سهام الاعادي
وجرد سيف عدان وبغي	واغمده باعناق العباد
واغرى اهله بذوي المزايا	فبدد شملهم في كل نادي
ولم يزل الزمان على عتو	يعاملنا بانواع العناد
ومن كان الزمان له طريدا	تقهقر عن متابعة الطراد
وما نال المؤمل من دفاع	وهيهات الوصول الى المراد
توجهت القلوب اليك غوثي	وحاشا ان ترد بغير زاد
رفعنا قصة الشكوى خضوعاً	بخفض جناح ذل واعتقاد
ومن حق اليقين نرى قبولا	وسرا جازماً بالاستناد
نصبنا راية الفوز المرجى	على الاعدا بحسن الاعتماد
ومن كانت شكايته لمولى	هو الاستاذ يظفر بالمعادي
هو السلطان ابراهيم نجل	لادهم والجواد ابن الجواد
غياث المستغيث وعون عان	ومأمن خائف واجل هادي
امام في العلوم وفي المعالي	وبحر في المعارف والايادي
همام كامل بطل شجاع	كريم كافل غوث المنادي
تحدث عن مكارمه وبالغ	وداوم ما استطعت على التمادي
فانك عاجز ما دمت حيا	ولو افنيت انواع المداد
وكيف ينال من يومي بارض	نجوماً وهي في السبع الشداد
وكن بشفاعة المختار راج	بلوغ القصد في يوم المعاد
عليه الله صلى ما اعيدت	الى علياك كم جزنا البوادي

ولقد زارنا من اهل جبلة حضرة مفتي افندي الشيخ طه من وجهاء البلد

واعيانها المعتبرين وله شهرة بالسخاء والفتوة وهو ناظر وقف السلطان (ابراهيم) الذي يدير حركة الضريح والمسجد والحرم و يقري الضيفان والوفود بأنواع الكرم ولذا قال فيه الشيخ (حسن افندي) الدجاني مفتي (يافا) عندما زار مقام السلطان (ابراهيم) وسئل عن اهل جبلة

يا سائلي عن جبله ومن بها من الكرام
قلت له مقتصراً طه افندي والسلام

ولقد اجتمعنا في حرم السلطان (ابراهيم) برجل من اكابر (علماء الافغانستان) على جانب عظيم من الورع والزهد والتجرد عن الدنيا اسمه الشيخ (عبد الرحيم) وان كانت شهرته باسم (عبد الباقي في اصل بلده نوشهر من عمالة (باشاور) الداخلة الآن في حكومة الانكليز وقد زارنا في القايات بعد مدة طويلة من السنين ولم يزل كل هذا الزمن متذكرا لاسمائنا واسم البلد حتى جاء الى بلاد مصر وسأل عن البلد وحضر عندنا في سنة ١٣٠٧ في ١٠ شعبان مكث عندنا ثلاثة ايام وتوجه الى الاقطار الحجازيه من طريق القصير ولقد دعوناه للاقامة فلم يرض الا بهذه الايام الثلاثة فقط فسبحان العليم بحال عباده الصالحين

وتعرفنا من اهل جبله بحضرة الشيخ محمد سعيد افندي امام ضريح السلطان الادهمي ومدرس بمسجده الشريف وهو رجل صالح دين ظريف على اكمل الاخلاق المرضية والاوصاف الكاملة المحمدية ثم بعد ان اقمنا بها نحو الثلاثة ايام حضر الوالي الافخم في وابوره المخصوص واجرى مايلزم اجراؤه عن المكاشفات والملاحظات لاحوال ذلك القضاء و بات ليلة عند القائمقام وسافر صباحاً ونحن معه الى طرابلس فمر بالطريق على قضاء المرقب ونزل بها نحو ساعة وهي بلدة صغيرة الآن الا ان بها قلعة قديمة تدل على انها كانت في الزمان السالف من البلاد

الحصينة ولها مباني وقلاع متينة ثم نزل ايضاً على طرسوس وهي مدينة كبيرة على شاطئ البحر يظهر على صورتها القائمة انها كانت قديماً من المدن الشامية ذوات الشأن الا اننا لم ننزل من الوابور الى البر في هذين الموضعين بل رأيناهما ونحن بالبحر فبعد ان نزل بها الوالي ايضاً واقام بها نحو الساعة ايضاً رجع وسافر الوابور بنا فمررنا على جزيرة ارواد وهي جزيرة في وسط البحر في محاذات طرسوس تماماً وليس فيها ارض خالية من البناء فعجيب لهؤلاء القوم يقيمون بين امواج متلاطمة واهوال متعاظمة لاسيما في ايام الشتاء وتزايد الاهوية والانواء كيف تسكن لهذه السكنى قلوبهم ولا تتجافى عن المضاجع جنوبهم ولقد سمعنا بان تعيشهم من الغوص على اخراج السفنج من قاع البحر ويلقون بانفسهم الى التهلكة في هذه المخاطر المهلكة ولكن الله سبحانه قد اقام العباد فيما اراد ثم لم نزل سائرين في البحر الى ان وصلنا عشاء الى مينا طرابلس وخرج جناب الوالي الى البر باحتفال لا يقدر قدره ولا يمكن حصره ووجدنا حضرة السيد (عمر افندي الملا) منتظراً لملاقاتنا على شاطئ البحر فسرنا معه الى ان ركبنا في كروسة الترمواي المعدة هناك لركوب المسافرين وغيرهم ونقلهم من المينا الى البلد بارخص اجرة واهية فان اجرة النفر من المينا الى البلد او من البلد الى المينا قرش واحد فقط وهذا من مزايا طرابلس العظيمة ولما وصلنا الى المدينة ذهبنا معه الى منزله واقمنا به الى ان تناولنا طعام العشاء ثم حضر على الفور بعد بلوغ خبر الحضور جناب العالم العلامة والحبر البحر الفهامة مفرد عصره ووحيد دهره الاستاذ الكبير والعلم الفرد الشهير والكوكب الازهر المنير شيخ العلماء بطرابلس بلا نكير الشيخ عبد الغني افندي الرافعي وحضرة الاستاذ الامجد والملاذ الاوحد نسل الاماجد الكرام وسلالة الافاضل الفخام جناب الشيخ عبد الرزاق افندي الرافعي نجل العالم العامل الولي الكامل

الشيخ محمود الرافعي وحضرة الوجيه الافخم والسيد الاجل الاكرم الشيخ علي افندي الميقاتي نجل العالم المرشد والعلم المفرد مربي المريدين صاحب العلم والدين الشيخ رشيد الميقاتي واستدعانا الشيخ الاكبر عبد الغني الرافعي الى الذهاب معه الى المنزل فتوقف في ذلك صاحب البيت الاول وهو حضرة عبد القادر افندي الملا وما زال يستعطف خاطر الشيخ في البقاء عنده فلم يجد نفعاً معه وكان في نيتنا قبل الوصول الى طرابلس بل قبل القيام من بيروت ان يكون نزولنا في منزل حضرة الشيخ عبد الرزاق لسالف العهد بمعرفته في الجامع الازهر ولسابق المعاهدة معه عند ما شرف الى بيروت في العام قبله ولكن الجميع لم يقدروا على معارضة الشيخ عبد الغني في مرغوبه ومطلوبه فان الجميع اهل البلد بمنزلة الوالد والولد فذهبنا معه الى داره العامرة الذاهرة المنورة بانواره الظاهرة فما زال يلاطفنا بجميل ملاطفاته ويتحفنا بلطائف معلوماته وبديع نظمه الغريب ونثره الفايق العجيب حتى حان وقت المنام واستأذن القوم للقيام وانقضى ميقات السهر وان كنا لم نقض بعد واجب ذلك السمر الذي هو الذ مفاكهة من جنى الثمر فتركنا وطلع الى الحرم ونحن في شوق الى طلعة هذا المحترم نتلو شكرا فضل ايناسه ونستضيء بسناء نبراسه فلما لاح الفجر وضاء الصباح ونادى المؤذن بحي على الفلاح نزل وايقظنا بنفسه من النوم وبدأ بنا قبل اولئك القوم فتوضأنا وصلينا معه في جماعة وحمدنا الله شكرا على التوفيق لهذه الطاعة ولم تزل تلك حاله وحالنا حتى آن سفرنا وارتحالنا وكان من طيب اخلاقه الكريمة واعراقه الفخيمة يتولى في بعض الاوقات شؤوننا بنفسه المرضية وذاته الرضية وكان في غالب الاوقات يسمعنا في كتب التصوف وكلام القوم ما هو اطيب في النفوس من لذة الطعام والشراب والنوم ولا يدع انفاسه تذهب سدى الا في موعظة

او ارشاد او هدى ولا يترك الوقت يضيع فيما يورث المقت من لهو الحديث او حديث اللهو او الكلام اللغو او الغفلة والسهو حتى انتفعنا برؤية احواله كما انتفعنا بسماع اقواله بلغه الله في الدارين غاية آماله ومن حرصه على لزوم منزله كان لا يسمح لنا في اجابة الدعوة لاحد من اهل البلد حتى نسترخص منه حتى حضرة الشيخ عبد الرزاق ابن عمه

وجاءنا للسلام جملة من العلماء الاعلام والامراء الفخام منهم الشيخ حسين افندي الجسر نجل العالم العامل والولي الواصل الشيخ محمد الجسر الذي اشتهر في البلاد الشامية بالكرامات الواضحة والاعمال الصالحة مثل الشيخ محمود الرافعي والد الشيخ عبد الرزاق والشيخ حسين المفتي الدجاني في يافا فالثلاثة كانوا نوابغ وقتهم في القطر السوري كما حكى لنا الثقات الذين عاشروهم وعاصروهم عم بهم النفع واقتدى بهم الجمع وكانوا في المحبة والاخاء كالاخوة الاشقاء يعاضد بعضهم بعضاً في المناصرة ولم تؤثر فيهم نفاسة المعاصرة ودعانا ايضاً حضرة الشيخ حسين افندي المذكور الى منزله المعمور واكرمنا غاية الكرامة وحضرنا حضرة الذكر عنده فكانت كرامة ثانية وكذلك حضرنا مجلس الذكر في بيت الشيخ عبد الرزاق امام ضريح والده الاستاذ الشيخ محمود الرافعي فرأينا من حسن هذين الذكرين ما تقر به العين وينجلي به عن القلوب نقطة الغين ادام الله النفع بهذين الفاضلين والطف بنا وبهم في كلا الدارين

ومنهم الاستاذ الكبير والمرشد الشهير استاذنا الشيخ (محمد القاوقجي) فانه تنزل وجاءنا زائراً على ضعف قواه وعظم تقواه وتقدمه في السن وبعد منزله فجزاه الله عنا كل خير وصرف عنه كل ما يخشى من الضير

ومنهم السيد علي افندي العمري صاحب الشهرة الكبيرة والكرامات

الشهيرة التي تغني شهرتها عن الذكر ويحار في فهمها العقل والفكر

و بالجملة فانه رجل منسوب الى عالي الجناب سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب وانعم بهذا النسب فهو من اعلى الرتب

ومنهم الشيخ عبد الفتاح الزغبي عالم فاضل من سلالة الافاضل من آل بيت السيد الجيلاني بيت شريف القدر والمباني والجماعة الزغبية في تلك النواحي لهم شهرة بالصلاح والولاية الى الغاية نفعنا الله بسر عباده الصالحين الى يوم الدين

ومنهم حضرة الشيخ احمد افندي سلطان رجل كبير القدر والعمر ظريف النثر والشعر محنك مجرّب مدرب مهذب مؤدب له عشرة تامة بحضرة مولانا الشيخ عبد الغني افندي وكان قد تولى نيابة البلد سابقاً وعزل وهو رجل ظريف النادرة لطيف المسامرة ومن كلامه خطابا لبعض اصحابه

لما تعالت عن الاشباه صورته   اضحى بشرع الهوى قلبي يوحده

اراد قتلي بسيف اللحظ من مقل   اولا فاني على الحالين احمده

ومنهم الشيخ عبد الله الصفدي عالم ازهري صالح ورع محبوب عند اهل البلد سليم الصدر من كل احد ومحل سكنه بالمينا فدعانا اليه مع جناب الاستاذ الشيخ عبد الغني فتوجهنا اليها في كروسة الترمواي عصر النهار فما رجعنا الى البلد الا بعد صلاة المغرب بجامع المينا وحصل لنا فى الذهاب والاياب غاية النشاط والانبساط برؤية البساتين عن يمين الطريق وشماله ونضارة الارض في الطول والعرض وكانت هذه الوليمة من اعظم الملاذ لا سيما بصحبة هذا الاستاذ و يا نعم الملاذ

ومنهم العالم الكبير والعلم الشهير البالغ غاية الذكاء والنجابة الذي لا يماثل في التعليم ولا يشابه حضرة الشيخ (محمود افندي) نشابه فلقد تفضل بزيارتنا

بمنزل الشيخ (عبد الغني) وزرناه في الجامع لاجتهاده في التعليم واشتغاله في اغلب احواله بالتدريس على مذهب الامام بن ادريس ادام الله النفع بهم اجمعين

ومنهم الشيخ العالم الفاضل الازهري (درويش) افندي التدمري صاحبنا في المجاورة ايام الطلب وكان من اخص تلامذة استاذنا الشيخ (الاشموني) ولما رجع الى البلاد اشتغل بما يتعيش منه وهو الوكالة في الدعاوي والمرافعات وقد تغيرت هيئته الخلقية والخلقية عن حاله الاول فصار ضخماً سمين البدن مشهور بالاسن بعد ما كان نحيفاً لطيفاً خمولاً ضعيفاً وترك العلم والتدريس وضيع ذلك الوقت النفيس فسبحان الذي بيده التغيير والتبديل وهو الهادي الى سواء السبيل

ومنهم الشيخ (عبد القادر) الكلاس العالم الازهري المنفي في الحوادث الاخيرة الى بلده واجتمع بنا في بيت الشيخ ثم زرناه في المدرسة فوجدناه مشتغلا بالقراءة والتعليم وعنده طلبة يأخذون عليه في كتب متعددة ومدرسته المقيم بها مدرسة ظريفة جداً مطلة شبابيكها على بستان عظيم مثمر وكذلك مدارس طرابلس كلها عظيمة من بناء الملوك القدماء من سلاطين مصر والشام

وجامع البلد الكبير في متوسطها له صحن واسع مثل صحن الازهر او اكبر وفي دوائره اروقة ولواوين من كل جانب وخلاوي للمعلمين والمدرسين واعظم خلوة به خلوة الشيخ (علي افندي رشيد) فيها مكتبة عظيمة وساعات دقاقة لمعرفة الاوقات حيث انه الموقت المعد لاعطاء المؤذنين النداء على اوقات الصلاة ودخولها وخطيبه حضرة الشيخ عبد الفتاح الزغبي وهو فصيح اللسان واضح البيان يخطب من انشائه لا من دواوين غيره فلله دره من خطيب ماهر لبيب حضرنا صلاة الجمعة عنده بالمسجد الجامع بحضور والي الولاية الاكرم حضرة دولتلو (احمد باشا حمدي) الافخم فاطنب في الوعظ حتى خشع الجمع وانصتوا له السمع وحث على

الطاعة والتقوى والتمسك بما هو السبب الاقوى من استعمال العدل والانصاف وترك الجور والاعتساف حفنا الله واياه بجميل الالطاف وحفظنا والمؤمنين من كل ما يخاف

ومنهم الشيخ عبد الحميد الحفار احد اخواننا الازهريين كان مجاوراً هو وعمه العلامة الشيخ (عبد القادر) الحفار بالجامع الازهر مدة من الزمان حتي حصلا كتب الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة والمعقول ولقد كان حضرة الشيخ (عبد القادر) المذكور يحضر معنا على شيخنا العلامة الشيخ (الانبابي) كتاب سلم العلوم فى المنطق ولم يكن يعرفه احد في الازهر اصلاً ثم جاور بالمدينة المنورة واشتهر بالعلم فيها وهو جدير بهذه الشهرة لمزيد فضله وذكاء عقله وصنع لنا ابن اخيه الشيخ عبد الحميد المذكور وليمة فاخرة دعا اليها كثيراً من المشايخ والاحباب جزاه الله عنا اجزل الثواب

ومنهم الشيخ محمود منقاره واخوه وهما من اهل العلم والفضل مشتغلان بالقراءة والتعليم في مدرسة من مدارس البلد العامرة بالعلماء والطلبة فان مدارس طرابلس بالنسبة لغيرها من باقي مدن الشام ماعدا دمشق معمورة مأهولة بأهل العلم فترى غالبهم مختصاً بمدرسة لجلوسه وقراءته وتعليمه واجتماعه على اخوانه واخدانه زيادة على اشتراكه مع اهل العلم في الجامع الكبير

ومنهم الشيخ عبد الله المسقاوي واخوه الشيخ عبد القادر المسقاوي فالاول من الطلبه الازهريين والآخر حضر ببلده وتقلد اخيراً وظيفة خوجه في المدرسة السلطانية ببيروت وكان في معية حضرة الشيخ (حسين افندي الجسر) لما توظف في تلك المدرسة بوظيفة مدير المدرسة السلطانية ونعم المدير في ذلك الوقت ونعم المدار فلقد ظهر على التلامذة في تلك المدة الوجيزة من النجابة وسرعة الاجابة

ما لا يدرك في زمان طويل الا انه لسوء الحظ لم تساعده صحته على الاقامة ببيروت وحصل له انحراف في مزاجه فتوجه ثانياً الى طرابلس ليشتغل بعلاجه ورزقه الله الصحة والعافية وجعل مدة عمره وافرة وافية

ومنهم الشيخ (محمد الحسيني) طالب علم ازهري اجتمع بنا ايضاً في بيروت حين ما جاء اليها زائرا لرحمه فيها حضرة الشيخ عبد الغني افندي البنداق وصار يتردد علينا معه مدة الاقامة بها واخذ من الفقير منظومتي في المقولات المسماة بغاية النشر فى المقولات العشر وصنع عليها شرحاً وجيزاً الا انه كاف بالمراد واف بالمفاد شاف للفؤاد وارسله الى بيروت قبل سفرنا الى طرابلس فلما قدمنا على بلده احتفل بنا غاية الاحتفال واقبل على مؤانستنا اتم اقبال

ومنهم الشيخ محمد صالح الرافعي ابن اخي الشيخ عبد الرزاق شاب شريف مكب على طلب العلم اناء الليل واطراف النهار ذكي الفطنة يشتغل على الشيخ الجسر الذي هو وحضرة الشيخ محمود نشابه لا نظير لهما في الاشتغال وتربية الطلبة فيجد الطالب عند كل منهما ما رامه من الفنون وطلبه وقد صار الآن الشيخ حسين انفع الاثنين

ومنهم عدد كثير من السادة الرافعية لا يحضرنا الآن ذكر اسمائهم جميعاً منهم اولاد الحاج علي الرافعي واولاد الشيخ سعيد الرافعي واولاد الشيخ عبد الرزاق الرافعي والشيخ حامد واخوته واولاد الشيخ عبد الغني وهم الذكي الالمعي الشيخ محمد والشيخ عبد الفتاح واخواتهما فان جميع هؤلاء لرؤيتهم حالة المشايخ معنا في شدة الالتفات الينا والاعتناء بنا كانوا لا يتأخرون عنا ولا يقصرون في مراعات خاطرنا وكان حضرة الشيخ عبد الغني بنفسه يرغب ان يذهب معنا الى منتزهات البلد مثل المحل المسمى عندهم (بالتل) وهو في الحقيقة

تل مشرف على ارض حمراء و بساتين خضراء ومياه زرقاء ومحل دوار القارب في خارج البلد قريب من التبابة في الشمال الشرقي من البلد على شط غدير صغير وعليه جسر نضير وحواليه بساتين زاهرة ناضرة تقر به كل عين ناظرة ومحل القلعة موضع عال مشرف على سائر بيوت البلد واسواقها ومساجدها و بساتينها ومزارعها وفيه قشلاق للعسكر ومقبرة قديمة بها قبور السادة الزعبية والجالس فيه يرى البحر والمينا وما بينهما من المساكن والجناين فهذا كله سبب في نضارة هذه القلعة وعدها من منتزهات البلد وفي منخفض الوادي من الجهة الجنوبية منها محل نضير فيه تكية تسمى تكية المولوية من اعظم المنازه ايضاً لانها على شاطئ الوادي وتحتها الانهر المنحدرة الى البلد وعليها طواحين كثيرة واشجار نضيرة وفي هذا المحل نفسه بركة ماء بنوفرة عظيمة ترى المياه منها دائماً مدفوعة لامقطوعة ولا ممنوعة

وبالجملة فقد حصل لنا من الانشراح والسرور والافراح النافيين للهموم والاتراح بالاقامة في تلك البلد مالا يقدر ان يعبر عنه احد وذلك من عدة جهات

(اولاً) من الاكرام والتوجهات والاعتناء من اهلها والالتفات

(وثانياً) من الاجتماع باهل العلم والجنس اذ في ذلك راحة الروح والنفس وكما لا يخفى (الجنس للجنس اميل) وصحبة العلماء اكمل وافضل

(وثالثاً) من كون الشيخ لم يدعنا في غالب الاوقات نضيع الزمن بدون المطالعات وقراءة كتب الآداب الجامعة والوصايا النافعة فكنا نجمع بين ادب الدروس وادب النفوس

ومن جملة ما سمعناه منه في حال مجالسته وخلال مؤانسته قوله منشأ مرتجلاً وقد خطر به خاطر عند القيام من النوم

اما والذي تعنوا النواصي لقهره ... وتخضع اجلالاً لعز جنابه

لما لذت في ضري وفقري وفاقتي ‏ ‏ ‏ وفي كل حاجاتي الى غير بابه

وكتب لحضرة سعيد افندي الاسطواني احد علماء دمشق ووجوهها الكبار حينما كان بطرابلس ونحن بها وتوجه اليه الاستاذ لزيارته فلم يجده في المنزل

سعينا على قصد الزيارة بكرة ‏ ‏ ‏ لنقضي حقوقاً يقتضيها الهوى العذري

فلم نحظ من سوء الحظوظ بؤنسكم ‏ ‏ ‏ فهل انت يا تاج العلا قابل عذري

ولقد عاود زيارته مرة اخرى ونحن معه فاجتمعنا به فوجدناه رجلاً كامل العقل كبير القدر كبير السن

(وقال) رداً على حضرة الشيخ عبد الودود معلم اولاد سلطان المغرب لما اجتمع به في الحج الشريف وهو بمعية اولاد السلطان وقال له المعلم المذكور في فضل المغرب

للغرب فضل شهير ‏ ‏ ‏ ولي بذاك ادله

الشمس تغرب فيه ‏ ‏ ‏ ومنه تبدو الاهله

فاجابه الاستاذ على البديه بقوله

للغرب فضل شهير ‏ ‏ ‏ والشرق افضل منه

تسعى الدرازي اليه ‏ ‏ ‏ والشمس تصدر عنه

وكتب لحضرة الشيخ درويش التدمري الطرابلسي وقد نسي الاستاذ عنده مجموعاً وقد نسي الآخر عنده كراساً

بيني وبينك في المحبة نسبة ‏ ‏ ‏ قد اظهرتها حكمة التوزيع

عندي لكم كراسة من ودكم ‏ ‏ ‏ تذكي الغرام وعندكم مجموعي

فاجاب محاولاً في الجواب

مجموعك الظرف البديع بهجتي ‏ ‏ ‏ احني عليه من الغرام ضلوعي

وحفظتموا كراسة من ودنا ما ضركم لو كان ثم جميعي

وكتب الى الامير عبد القادر الجزائري وقد اهدى اليه ماء زهر

ولما رأيت الدهر عاكس ذا الحجا تجاهلت حتى ظن اني لا ادري

وجئت بماء الزهر اهديه نحوكم وكنت كمن يهدي المياه الى البحر

وله وقد اهدى لآخر بردقانًا وماء زهر الليمون

ولما رمت ان اهدي اليكم قليلاً من جني بعض الجنان

تقاطر زهرها عرقًا حياء ولاح البردقان ببردقان

وانشدني لبعضهم

لا تفخروا ياذوي الانساب في نسب مع الذنوب التي لا ترضي مولاكم

اما سمعتم لقولي ان اكرمكم عند المهيمن يوم العرض اتقاكم

ومما انشدنيه من كلام السلطان سليم ردًا على الرافضة في قولهم

نحن اناس قد غدا طبعنا حب علي بن ابي طالب

يعيبنا الناس على حبه ولعنة الله على العائب

فاجابه

ما عيبكم هذا ولكنه بغض الذي لقب بالصاحب

وكذبكم فيه وفي بنته فلعنة الله على الكاذب

ولحضرة الاستاذ الشيخ عبد الغني نظم رقيق فى الطبقة العليا من الشعر الا انه للآن لم يجمع ولقد حملت ولده الشيخ محمدا على جمعه وجعله في ديوان خاص خشية الضياع وعدم الانتفاع فانه من احسن الذخائر التي تشتمل عليها الدفاتر فكم له من قصيدة نبوية واشعار مدحية ومقاطيع غزلية ومقالات فائقة ومقامات رائقة سيما في كلام القوم ولقد اهدانا بكتاب له فى آداب الطريق اصله من

جمع الشيخ ابي حامد القصبي السيد حسن والد السيد الامام القصبي الطنطاوي شيخ العلماء بالجامع الاحمدي ولعدم مساعدة الوقت له على ترتيبه اعطاه لحضرة ولده في الطريق للسيد رشيد الميقاتي والد الشيخ علي افندي رشيد المتقدم ذكره آنفاً في علماء طرابلس وهو ايضاً لم يساعده الزمن على تهذيبه فاعطاه لحضرة الشيخ عبد الغني المومى اليه فلم يزل عنده في ضمن الاوراق الى ان رجع في سنة ثلاثمائة بعد الالف من اليمن حيث كان فيه موظفاً بوظيفة رئيس مجلس في صنعاء اليمن واقام بمكة المشرفة مجاوراً بها عدة شهور فخطر على باله ان يشرع في ترتيبه وتهذيبه في حرم الله فشرع في ذلك امام الكعبة المشرفة وبعد ان اكمله سماه (ترصيع الجواهر المكية في تزكية الاخلاق المرضية) وارسل نسخته الى مصر فطبعت واحضرها معه ولده الشيخ محمد فاعطانا نسخة منها هدية وفي وقت مناولته النسخة اياي اخذ القلم وكتب من رأسه تحت الطرة هذين البيتين والاسم الكريم

يا ابن عبد الجواد ياتاج هذا الـ ... ـمصر مجداً وواحداً في المفاخر
هاك هدي الجواهر الغر فضلاً ... فبحق للتاج تهدى الجواهر

ولقد كنت وانا في زمن المجاورة بالازهر رأيت له شرحاً بديعاً على (بديعية الصفي الحلي) ضمنه قصائد غراء من كلامه ومقاطيع حسناء من درر نظامه فسألته عنه فاجابني بانه فقد منه ولا وجود له عنده وذلك لأن حضرة الشيخ الآن صار معظم شغفه بمطالعة كتب التصوف وآداب النفوس لا آداب الطروس

ومن زارنا من اعيان طرابلس حضرة عبد العزيز بك نجل صالح بك السلكة وحضرة محيي الدين بك ناجي نجل عبد القادر باشا وحسن افندي كرامة اخو مفتي افندي طرابلس حالا وجملة آخرون من الافندية لايحضرني اسماؤهم الآن

ومن التجار حضرة الحاج محمد الفرق رجل كامل محب للعلماء والفقراء دعانا الى منزله وضيافته ليالي واياماً فلم نجب دعوته الا في ليلة العزم على السفر فبتنا عنده تلك الليلة واصبحنا مصممين على التوجه الى بيروت في الوابور بطريق البحر فما نشعر الا وقد حضر الشيخ علي افندي رضا شيخ القلمون سياسة وتفقها وتجارة فالح علينا في التوجه معه الى بلده لسابق تعرفه بنا في بيروت فلم نجد بداً من اجابته ولا سيما وقد توسط عندنا بحضرة الشيخ وغيره من الاخوان والمشايخ فاحضر لنا دواب للركوب وركب معنا ايضاً مولانا الشيخ عبد الغني الرافعي وبعض المحبين من اهالي طرابلس وسرنا حتى دخلنا بلده قريب الظهر ومسافة ما بينها وبين طرابلس نحو الساعة فوجدناها بليدة صغيرة على شاطئ البحر في احسن موضع واظرف موقع والسمك بها كثير جداً لان اهلها مشغولون بصيده ولهم مراكب مختصة بهذا الامر فاقمنا عنده يومين في غاية الانس وارتياح النفس

الا انه قد تأخرت عنا التحارير والبوستة من مصر في تلك المدة التي اقمناها بطرابلس فصرنا في قلق وطيش ولم يصف لنا بها العيش ولولا ذلك لاطلنا مدة الاقامة لحصول الانس والكرامة ولكن ابت المقادير الا ان تجرى مجراها ونسأله تعالى تحسين عقباها فحينئذ التزمنا القيام من تلك البلد ولكراهتنا الركوب في البحر استكرينا دواب من المكارية وسرنا على طريق البر في جبال شاهقة وانخفاض وارتفاع وحصل لنا من المشقة ما ابعد علينا هذه الشقة حيث ان الطريق وعر جداً ومررنا على محل عال يقال له (المسيلحه) صعدنا فيه نحو النصف ساعة وانحدرنا منه نحو النصف ايضاً وكان وقت اجتيازنا به وقت الظهيرة واليوم صائف جدا فما فرغنا منه الا وقد قاربنا على الهلاك من شدة الحر والعطش والصعوبة ولم يكن به شجر يستظل به المسافر اصلاً فحين ادركنا

ظلال الشجر وقعنا على الارض كالاموات ولما حصلنا على الافاقة نوعاً توجهنا الى جهة (البترون) ومررنا على ضياع كثيرة منها (ذكرون) (وشكه) (واتنه) (والجبة) (والجدايل) (وعمشيت) وتغذينا في (البترون) ومررنا الى ان دخلنا في وقت الغروب (جبيل) وبتنا في خان من خاناتها في الجانب الغربي منها خارج البلد في اول الدرب وقمنا منه ليلا نحو الساعة الثامنة وسافرنا فما زلنا ترفعنا انجاد وتخفضنا وهاد وركبنا غارب الخطر في هذا السفر ولم يستتم السير الى الصباح ونزلنا في خان على جانب الطريق لما ادركنا من المشقة وغلبة النوم فنمنا الى صباح اليوم وسافرنا حتى وصلنا بلدة على شاطئ البحر في سفح الجبل يقال لها (جونيه) وهي بلدة ناضرة زاهرة بها عمارات على الطرز الجديد كعمارة بيروت الآن وما زلنا سائرين الى ان وصلنا الى اصل (نهر الكلب) الواصل الى بيروت ومنبعه في رأس جبل شاهق شاهدنا الماء منحدرا منه الى الارض وفي اصل الجبل محل شغل الكبانية ومجمع المياه وآلات كبسها حتى تجري بقوة الكبس الى بيروت ومنها توزع في قساطل من حديد الى البيوت والمزارع والحياض العمومية التي هي على طرف البلدية كما تقدمت الاشارة اليه ثم مررنا على مزرعة بالقرب من المدينة بنحو الساعتين يقال لها (ضبيّه) انشئ بها الآن عدة قهاوي ولوكندات وصار هذا المحل يعد من المنتزهات الظريفة في الصيف لما فيها من المياه الجارية والمزارع النضره والنباتات الخضراء ودخلنا المدينة في الساعة الحادية عشر من ذلك اليوم واقمنا بها في ارغد عيش صافي وازيد انعام من الله الكريم وافي الى ان دخل موسم زيارة القدس الشريف وكنا في كل عام نتقاعد عنه بالتسويف

مطلب زيارة القدس ونواحيه

فشددنا ركائب العزم والحزم وركبنا مطايا التصميم والجزم وحدا بنا حادي

الغرام والشوق حتى اثار كامن القوة والطوق ونزلنا عصر يوم الجمعة في جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ الف وثلثماية واثنين من الهجرة في وابور الخديوية المصرية المسمى بالرحمانية تفاؤلا بالرحمة الربانية فمكثنا طول الليل به الى الصباح فوصلنا (يافا) عند ما اضاء نور النهار ولاح وكانت من فضل الله حركة البحر في المينا ساكنة وركاب الفلوكات فيها مطمئنة آمنة مع ان العادة في تلك المينا ان يكون البحر في هياج واختباط وتلاطم امواج ولكن قد ادركتنا فيها الالطاف الخفية فوصلنا البلد بغاية الامنية وقصدنا منزل الاستاذ العالم العامل الشريف الكامل حليف التقوى والصلاح واليف الهدى والنجاح حضرة الشيخ ابراهيم افندي ابي رباح من اهل طريق الصوفية الاكابر الوارثين لها كابرا عن كابر فقابلنا بالاكرام والترحاب وحططنا رحلنا في ذلك الرحاب وبادر للسلام علينا كثير من الاحباب والاخوان والاصحاب ولا سيما صاحب الفضيلة والخلال الجميلة والمراتب الجليلة ولدعمه ذي المناقب الشيخ علي افندي ابي المواهب نجل القطب الرباني الشيخ حسين افندي الدجاني احد المرشدين العارفين من رجال الطريقة الغارفين من بحار العلم والحقيقة وكان حضرة الشيخ ابراهيم والشيخ علي المومى اليهما من طلبة العلم بالازهر في ايام مجاورتنا به ونعرفهما و يعرفاننا بدون اجتماع متعارف وكانا من اهل الذكاء التام والمعارف يشتغلان بعلوم الآلات والآداب ولهما على تحصيل العلم التفات وانكباب فاقمنا عند الاول الليلة الاولى ودعانا الثاني في الليلة الثانية وبيوتهما متجاورة بل متلاصقة فبتنا هاتين الليلتين في اكمل سرور وحبور وقرة عين وتذكرنا بهما عهودا بالحمى وقضينا ذلك الوقت بحسن المحاضرة ولطيف المذاكرة التي هي ارق من نسيم الصبا مرَّ على زهر الربى

واجتمع بنا في منزليهما كثير من اهل العلم والادب والحسب والنسب ولا

سيما بلدينا المصري الدمياطي حضرة مصطفى افندي الارنوطي من جملة المنفيين معنا فى الحادثة المصرية واقام ببندر (يافا) لقربها من ثغر دمياط حتى يكون ذلك انجز لمقصوده في ادارة حركة التجارة فى البضاعات المصرية مثل الأرز وخلافه واقرب للمواصلات اللازمة لتلك الجهات وفضلا عن ذلك فقد نال من لطف هؤلاء السادة ما اذهب عنه وحشه الغربة وانساه بلاده ولقد صنع لنا حضرته وليمة عظيمة عالية المقدار غالية القيمة ودعا اليها حضرات المشايخ العلماء وبعض التجار والامراء فجزاه الله عنا احسن الجزاء وبعد ان اقمنا هذه الليالي الثلاث فى غاية الانس عزمنا على التوجه فى الكروسة الى القدس وكنا خمسة اشخاص بدون انتقاص فاستكرينا كروسة مخصوصة بليرة انكليزية يجرها ستة من الخيل وسادس ركابها سايق العربة ومدير سيرها وسافرنا فى ضحوة النهار ولم نزل سائرين فى ارض سهلة الى ان وصلنا الى (الرملة) فنزلنا بها لاجل استراحة الدواب وعلفها واشتغلنا في هذه البرهة بزيارة من بها من الصالحين ومزارات من قيل بدفنهم فيها من النبيين ورؤية بعض آثار السالفين من الامراء والسلاطين فاخذنا رجلاً من اهلها العارفين بها وما زلنا ندخل معه مشهداً بعد مشهد ومعهداً عقب معهد الى ان حان اوان الذهاب واستراحت تلك الدواب فكان من ضمن من دخلنا مزاراتهم وحظينا بزياراتهم حضرة سيدنا الفضل ابن العباس في ضريح على يسار طريق الذاهب الى القدس من يافا وهو لعمر الحق مزار مشرق جلي الانوار وضريح زين العابدين وضريح الشيخ ابي العون وضريح الشيخ العليمي وضريح السيدة ام العباس ومزار نبي الله ايوب عليه السلام وغالب هذه المزارات في وسط المزارع والاشجار وعما قريب يحدث عليها الاندثار ولا يبقى لها آثار ومنها مزار نبي الله صالح وهو بجانب الجامع الابيض المشهور ومنارته الغربية

الشكل المربعة الاضلاع التي هي في غاية المتانة والكبر والارتفاع وهي والمسجد من بناء السلطان (ابن قلاوون) من سلاطين مصر في سنة ٧١٨ سبعماية وثمانية عشر كما رأيناه مكتوباً على حائط المنارة بالحفر والخط بارز ولم يبق من الجامع الآن الا حائط السور وبعض اروقة وهو مبني على مسجد آخر مثله في الشكل الفوقاني كالتحتاني فتأمل غريب هذه المباني وهكذا المسجد الاقصى الظاهر من على وجه الارض بناء بني أمية على حذاء البناء الاصلي تحت الارض ويقال انه من بناء نبي الله سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام

(والرملة) هذه هي المشهورة في التواريخ بفلسطين تسمى بها ولاية عظيمة في الملك من قديم الزمان ولعدم طول مسافة المكث لم نستطع استيعاب المزارات والآثار كلها ولم نتمكن من دخول البلد بل خرج الينا منها بعض اهاليها من طلبة العلم الذين كانوا في مصر مجاورين بالازهر من ذرية الشيخ خير الدين الرملي صاحب الفتاوي الخيرية المشهورة في مذهب الحنفية

ومنهم اخو الشيخ القاضي بيافا الآن كان يوم خروجنا من يافا واصلا اليها حاضرا من الاستانة العلية وجاء التلغراف من بيرت يفيد حضرة الشيخ المفتي ابي المواهب بقدومه في ذلك اليوم وهو ايضاً من طلبة العلم الازهريين الا انه لعزمنا على السفر للقدس الشريف لم ننتظر حضوره ومقابلته ثم بعد ذلك توجهنا الى القدس في انكروسة ترفعنا جبال وتخفضنا اودية لم نر في عمرنا جبالا مثل هذه ولا كنا نظن ان على ظهر البسيطة نظيرها فسبحان الخلاق العظيم الرزاق الكريم ومن شدة علوها لم نستطع في بعض الاحوال رقي تلك الجبال ونحن راكبون على الكروسة فكنا ننزل ونمشي حتى نقطع تلك القطع الشاهقة ولم نزل بتلك الحالة الى ان دخلنا القدس ليلا بعد الساعة الرابعة ولم نجد بالبلد

محلا صالحًا للمبيت الا مزار سيدنا داود على نبينا وعليه السلام فانه كما اخبرنا بعض الناس في يافا والقدس معد لنزول الزوار واهل الاسفار من سائر الاقطار فحملنا رحالنا ونحن ملطخون باوحالنا لنزول الامطار وماثها المدرار على خلاف العادة الجارية في غالب السنين الماضية وطرقنا باب المزار على من فيه من الخدمة والزوار فكأنهم كانوا على انتظار ففتح لنا الباب ودخلنا الرحاب فوجدناه مزدحمًا باجناس من الناس رجالا ونساء وصغارا وكبارا فجلسنا معهم كاحاد الفقراء والدراويش فجاء قيم المزار قبل الاستقرار وطلب منا الصعود الى محل عال في اودة يقال لها (الابراهيمية) من بناء ابراهيم باشا المصري ايام كانت البلاد الشامية في ضمن الحكومة المصرية فرأينا ديوانًا واسعًا مفروشًا وفي جواره بيتًا اود صغيرة ومرافق لقضاء الحاجة فبتنا تلك الليلة بغاية المشقة الزائدة من شدة البرد واتساع المحل وتغطينا بكل ما معنا من الاغطية والملابس فلم يجد نفعًا ولم نجد به دفءًا فلسوء الحظ الناقص جاء على خلاف العادة هذا البرد القارس

ولما طلع النهار واضاء المحل واستنار جاءنا رئيس الخدمة الداودية وهو حضرة الشيخ محمد كمال الدين الداودي وسلم علينا ورحب بنا وطلب لنا القهوة فرأينا عليه لوائح المروءة والنخوة وامر الخداميين بتهيئة محل في الدور التحتاني بجوار ضريح نبي الله داود (عليه السلام) واعدلنا فيه ما يلزم من الفرش والاغطية الفاخرة فجزاه الله عنا كل خير في الدنيا والآخرة وجاءنا للسلام اقاربه الكرام واعيان المحل الفخام السيد بكري افندي واولاده والحاج علي واولاده والشيخ عبد الرؤف الداودي الذي كان في الازهر معنا مجاورا وله معرفة بنا في ذلك الوقت وهو اخو السيد بكري المتقدم فبالغ الجميع في اكرامنا والقيام بما يلزم من الخدم لنا فرأينا ذلك من اكبر نعم الله علينا حيث وجدنا في كل جهة توجهنا

اليها من يعرفنا في مصر وكان من اشدهم حرصاً على مراعاة خاطرنا حضرة الشيخ عبد الرؤف المذكور وحضرة الشيخ حسن بن الحاج علي فانه من اهل العلم المشتغلين بالطلب وكما لا يخفى من ان الجنس للجنس اميل ثم توجهنا في ذلك اليوم الى زيارة الحرم المقدس والمسجد الاقصى الانفس فالفينا به راحة الروح وقرة العين وطيب النفس ومحل سيدنا داود هذا خارج سور البلد في الجهة الجنوبية

وقد بنى هذا السور السلطان سليمان فاتقنه غاية الاتقان وشيد اساس ذلك البنيان بما لم ير مثله في قديم الزمان

فاما المسجد الاقصى فمحاسنه لا تحصى وهو في مقابلة قبة الصخرة من الجانب القبلي وهو قبلة اهل الشام وتحته المسجد القديم ينزل اليه بدرج كثير وهو مسجد كبير وفيه من العمد العجيبة الشكل اليسير بخلاف المسجد الفوقاني فان عمده من الرخام الملون ورؤسها مطلية بالذهب الاحمر الوهاج في غاية الرونق الانيق والابتهاج مكتوب على محرابه بالخط الكوفي (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) ومنبره اعجوبة من اعاجيب الدهر وخطيبه من قديم الزمان يكون من عائلة مشهورة هناك يقال لهم بيت ابن جماعة ويخطب في جمعة الموسم بذكر قصة الاسراء والمعراج وكذلك يقرأ في الصلاة من سورة الاسراء فيحصل للمصلين من هذه الخطبة وهذه القراءة اثر عظيم من الخشية والاتعاظ بتلاوة هذه الالفاظ

واما قبة الصخرة فهي شمال المسجد فبعد ان تخرج من الاقصى تمشي في رحبة واسعة جدا مفروشة بالبلاط وفي وسطها بركة ماء وافرة الكبر وعن شمالك

شجر الزيتون وفيه شجرة قديمة جداً يزعمون انها من عهد بناء المسجد ولا اظن ذلك صحيحاً وبعد ذلك تنتهي الى درج صاعد الى محل الصخرة يبلغ نحو العشرين درجة فاذا طلعت فوق هذا الدرج وجدت رحبة اكبر وانضر من الرحبة الاولى وعليها بلاطات واسعة كثيرة عليها محاريب من بناء بعض الملوك تسمى مصلى (ثم ترى قبة الصخرة) هائلة منقوشة بالذهب وقطع الصيني الملون بالاخضر والازرق والاحمر في اكمل البهجة والنضرة والحسن الاوفر

ولما دخلناها قابلنا بها حضرة رئيس الخدمة الشيخ عبد الله افندي الدنف رجل كبير السن عليه هيئة السلف فاظهر لنا مزيد الحب والشغف وامر بعض اقربائه بمرافقتنا وتعريفنا محلات الزيارة في الحرم وما احاط به من قبة السلسلة وقبة المعراج

ومهد سيدنا المسيح في محل منخفض في شمال المسجد الاقصى من الشرق وباب التوبة وباب الرحمة وهما الآن لطول الزمان قد اشرفا على الانهدام ولذلك بني عليهما بنيان متين بالحجارة ومحل كرسي سليمان (وباب حطة) والقبة التي هناك ومحل ربط البراق عند باب المغاربة وعنده مسجد في داخل الحرم يقال له مسجد المغاربة ايضاً (وهؤلاء المغاربة موجودون بالقدس الشريف ينتسبون الى ابي مدين الغوث وذلك زيادة عما في نفس الصخرة وقبتها من الآثار الشريفة فان فيها قطعة بلاطة زرقاء اللون تضرب الى الخضرة على باب القبة الجوانية يقال ان تحت قبر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وفيها مسامير غائصة في الحجر لم يبق منها الا نحو الاربعة يقول العامة عنها انه في آخر الزمان لا يبقى من هذه المسامير شيء ظاهر الا غاص في هذا الحجر ولا ندري هل لذلك الكلام صحة ام لا

واما ذات الصخرة فهي الآن مرتكزة على بناء حولها من الجوانب الاربع وتحتها خلاء ومحراب يقف الزائرون فيه و يصلون و يدعون فقد صلينا ودعونا والحمد لله فنسأل الله تعالى القبول ونيل المأمول

وهي قطعة حجر واحد في طول عشرين ذراعاً وعرضها قريب من ذلك وسمكها نحو الثلاثة اذرع وفيه اثر القدم الشريف وآثار اخر يقال انها محل يد جبريل والعلم عند الله تعالى

وحرم البيت المقدس واسع الخطة جداً يقول بعض الناس انه اوسع من الحرمين الشريفين (حرم مكة والمدينة) لو دخلا فيه لوسعها

وفي اسواره منارات كثيرة وابواب مثل باب المغاربة المتقدم وباب القطانين والباب العتم والباب الشمالي ومن داخله جملة مدارس وزوايا ولووقة وفي وسطه اسبلة وبرك للوضوء وسقاية الماء وجملة اود وخلاوي في رحبة قبة الصخرة من فوق وجملة اود ايضاً في الساحة السفلى المنخفضة تحت القبة من الشمال الغربي يسكنها المجاورون في المسجد الاقصى لطلب العلم وكذلك الاغراب المسافرون من الزوار وقد عرضوا علينا اخذ اودة منها فلم نرض بمفارقة محلنا في الداودية لكثرة السيول والامطار الفائقة الحد في ذلك الوقت وغالب الحرم مكشوف ليس عليه سقف ومن اخواننا الازهريين المشغولين بالقراءة في الحرم الشيخ علي العوري واخوه الشيخ ابو السعود افندي وله اودة مجاورة للصخرة في غاية الظرافة والنضرة عزم علينا باخذ مفتاحها على الدوام لنستريح فيها عند مجيء الحرم فلم نر حاجة الى ذلك

وبالجملة فحرم القدس (وهو كما لا يخفى ثالث الحرمين الشريفين ولا تشد الرحال لغيرها) لا يتمكن الواصف من وصفه فكلما دخل اليه احد ظهر له من المحاسن

فيه ما لم يكن ظهر له من قبل فسبحان من وضع فيه هذا الجمال وحلاه بحلية البها والجلال وجعل عليه من الانوار ما يخطف بالابصار ويذهل العقول والافكار ويورث الخشية والاعتبار

ولقد ارسل اليه الآن مولانا السلطان الاعظم (عبد الحميد خان) سنة عشر الف ليرة لتصرف في ترميم بلاطه وتبليط الخالي من البلاط وراينا هم في وقت الموسم مشتغلين بهذا الترميم ولكن الظن ان هذا المقدار لا يفي بقدر النصف من مساحته مع ان الباقي الآن بدون شغل كله خال من البلاط بالكلية لا جديد فيه ولا قديم وقد نبت العشب والحشيش في ارضه فنسأل الله سبحانه تعالى ان يوفق له اهل الخير من المسلمين فيكملونه او يطلبون له من حضرة امير المؤمنين زيادة عما انعم به اسبغ الله نعمه عليه واجرا الخير الجزيل على يديه

وفي اثناء اقامتنا بالقدس الشريف مررنا يوماً على كنيسة النصارى المشهورة (بالقمامة) او (القيامة) وحولها من نصارى الشام وقبط مصر ونصارى اوروبا خلق كثير يتكبدون من المشاق مالا يطاق في سبيل هذه الزيارة لتلك القمامة او القيامة التي لا تجدي نفعاً لهم يوم القيامة ولا سيما وموسم القدس في غالب السنين يوافق فصل الشتاء وما فيه من الامطار والسيول وبرد الهواء فسبحان من اشقاهم بهذا العناء في زيارة ذلك البناء الخالي عن كل شيء الا التصاوير والنقوش (التي هي صنعة ايديهم) ورؤية النور المجسم المحرق في يوم سبت النور المشهور فيما بينهم فما اسخف هذه العقول التي لا تدرك ادنى امر معقول

واذا ضلت العقول على علم فماذا تفيده النصحاء

ثم انه بعد صفا الجو وهو كما يقولون الطقس وخفت الامطار نوعاً ركبنا الدواب وتوجهنا لزيارة المعاهد الموجودة (بطور زيتا) وهو جبل عال جداً مشرف

على القدس وحرمه فالواقف عليه يرى القدس وحرمه الشريف كأنه بين يديه وفيه من المزارات محل ارتفاع السيد المسيح الى السماء وكما يزوره المسلمون يزوره النصارى ايضاً وفيه مزار في مغارة منخفضة وعليها قبة على ظاهر الارض يقال انها ضريح سيدنا سلمان الفارسي الصحابي الجليل

وفيه مزارات اخرى لم اتذكرها الآن وفي قبة الجبل ايضاً كنيسة لدولة المسكوف بنوها في عهد قريب بغاية الزخرفة وبعد نزولنا من الطور رأينا في اسفل الجبل بناء على شكل قبة يشتمل على نحو الخمس صخرات فقط والصخرة العليا محدبة مرتفعة تسميه العامة بطرطور فرعون وهو على شاطئ الوادي المشهور بوادي جهنم في شمال الحرم من الجهة الشرقية وكذلك هو ايضاً في شمال الداودية التي فيها مزار سيدنا داود على جبل عال في الجانب القبلي من القدس خارج السور كما تقدم وفي اسفل هذا الجبل عين مشهورة بعين ايوب يستدلون بفيضانها في ايام الشتاء على استكمال المطر النافع لاراضي الشام في ذلك العام وقد فاضت ونحن بالقدس في ايام الموسم ففرح الناس فرحاً شديداً واستبشروا بالخصب والرخا فهي عندهم كالنيل بمصر اذا وفى كفى وفي مقابلة هذه العين عين اخرى تسمى عين سلوان ذكر صاحب انس الجليل في تاريخ القدس والخليل انه ورد فيها حديث بانها من الجنة وماؤها اشبه المياه بماء زمزم نزلنا اليها وشربنا من مائها ولله الحمد شكراً على هذه النعمة وقلت فيها ونحن على اعلى الدرج النازل اليها هذين البيتين

ان لم ارد في رحاب القدس مورده	فياجفائي وهذا عين سلواني
لكنني فيه لم اصدر بحر ظمى	واصدرتني رويا عين سلوان

وزرنا المقبرة التي بجوار سور الحرم من الشرق وفيها بعض الصحابة والعلماء الاقدمين وقريب منها قبر السيدة مريم ابنة عمران والمقبرة التي بالداودية

وفيهما من العلماء والصالحين خلق كثير ولكن كثر تداول الايدي من النصارى والاسلام واليهود على هذه البقاع وتقادم العهود صير المعاهد بها مجهولة مشتبهة الا المشاهد التي لايمكن اخفاؤها ولاجحدها ولو تقادم عهدها فهذه هي التي تزار الى الآن وعليها ما يحفظها من البنيان وكل من عليها فان ولقد حضرنا هناك في الحرم الاحتفال بطلوع الصنجق (البيرق) لسيدنا الكليم واجتمع الناس من الامراء والذوات والعلماء والباشاوات واصطفت العساكر على الجانبين من باب الاقصى الى باب قبة الصخرة ومعهم سعادة رؤف باشا متصرف القدس وخرجوا به من الباب الشمالي وركب معه المفتي لكون خدمة مولد سيدنا موسى الكليم على بيت الحسيني من قديم وهو منهم بل اكبرهم وبعض الامراء والتجار فصار الحرم مزدحماً بالزوار وارباب الاشارات ويقال لهم السيارات وكذلك الطرقات في حوالي الحرم وكان طلوعه بعد صلاة الجمعة في اول الموسم ومارجعوا الا في الجمعة الثانية وبعد صلاتها عمل له احتفال كالاول واصطفت العساكر على هيئتها النظامية من باب المسجد الاقصى الى باب قبة الصخرة وكنا اذ ذاك واقفين على الباب مع حضرة شيخ الخدمة الشيخ عبد الله الدنف وكبار اهل البلد فساروا بالصنجق الى ان وصلوا الى قبة الصخرة ودخلوا به اليها ودخلنا معهم وقفل الباب خشية الازدحام وكان هذا الختام وبعد ذلك انصرف الناس الى بلادهم وجبالهم

واما زيارتنا لحضرة سيدنا موسى الكليم فكانت في الجمعة التي بعد طلوع الصنجق وقبل نزوله فخرجنا من القدس ضحوة النهار وركبنا دواب من المكارية من اقبح دواب البرية فسرنا تحت الامطار والاخطار الملجئ لذلك كون طريق الكليم لا تسلك ولا تؤمن الا في ايام الموسم وما زلنا في جبال واودية الى ان وصلناه قبيل الغروب ودخلنا للزيارة في شدة الزحمة ونزول الرحمة وطلعنا الى

ديوان عالي مشتمل على عدة اود معدة للزائرين في تلك الايام ووجدنا مفتي القدس جالساً معهم في احدى الاود فاستقبلنا بغاية كل اكرام واحترام واخرج لنا ولكافة الحاضرين عشاء من مطبخه ولما حان وقت النوم ارسل الينا فرشاً والحفة للغطاء وبات غالب الزوار في الصحراء تحت المطر لان البناء الموجود حول ضريح سيدنا موسى غير كاف لايواء هؤلاء الجمع وفيه هناك بعض خيم صغيرة يسمونها شوادر لاتكفي ولا تدفي بل بلغنا ان بعضها اقتلعه الهواء فلم يعرف بعد الى اين ذهب وفي اي موضع وقع وذلك لشدة الرياح العاصفة والاهوية القاصفة وبتناها ليلة نابغية نعاني جهد البلاء ونتلوى من شدة اللاواء ولما طلع النهار واستنار ركبنا دوابنا بعد ان زرنا الضريح الانور في جانب الكثيب الاحمر وتوجهنا تجاه القدس ولم تزل الامطار تنزل علينا كافواه القرب وقد ايقنا بقرب العطب لما شاهدناه من هذه الكرب ولكن الله سلم وتفضل وانعم ولايمكنني ان اصف لك ما حصل للزوار في صعود تلك الجبال الشاهقة وكل نفس ذاهقة وكل رجل زالقه حتى كنت في بعض الاحيان يحصل لي الاياس وتضيق مني الانفاس وانقطع في السير عن الناس وارى ان ترك المشي والوقوف اولى من السير مع هذا العناء الذي آخره كما كنت اظن الفناء ولقد بلغنا ان بعض الزوار انقطع في الطريق من التعب والبعض حل به العطب ومات جملة من شدة البرد وارسل المتصرف من طرفه عساكر وغيرهم للتفتيش على من تخلف بالاعياء او الموت واحضروهم الى القدس في اليوم الثاني

وكيف اصف لك المشي على رؤس الجبال وتحتها الاودية البالغة الغاية في الانخفاض التي لايستطيع الانسان ان ينظر اليها والا اخذته الدوخة والاغماء فضلا عن ضيق الطريق وامتلائه بالاحجار وتزحلقه بكثرة ماء الامطار

وصارت الشمسيات لا بقاء لها في الايدي ولا ثبات وضاع اغلبها في الاودية من الهواء

و بالجملة فما دخلنا القدس الا بعد الغروب وتفرقنا فلا يلوي احد منا على احد ولا والد على ولد وصرنا من اول النهار الى اخره في ماء واصل الى الابدان لم تدفعه كثرة الثياب الثقيلة فلا حول ولا حيلة ولما اردنا تغييرها في القدس لم نستطع خلع بعضها الا بشِقِّ الأنفُسِ اوشَقِّ الأنفَسِ ومكث ما كان معنا من الفرش والغطاء منشوراً مدة من الايام لا يجف ولا يخف ومضت علينا ايام الموسم ونحن من كثرة الارياح في المساء والصباح وتراكم الغيث الغزير المدرار اناء الليل واطراف النهار لا نستطيع الوصول الى الحرم الا في بعض اوقات اذا حصلت في ذلك الحال فترات حتى ان جناب الفاضل الاكرم والصديق الانخم والشهم الاوحد والكريم الامجد حضرة الشيخ يوسف افندي الفاهوم نجل العلامة الهمام والسيد المقدام جناب الشيخ امين افندي الفاهوم صاحب المقام المفهوم مفتي الناصرة في الحالة الحاضرة جاء في هذا العام لزيارة القدس ولم يسبق له زيارة في غير هذه السنة مع قرب البلاد وتوفر الاهبة والاستعداد وذلك لان حضرة المشار اليه اسبغ الله نعمه عليه كان رفيقنا في ايام الحضور بالجامع الازهر وكنا نحضر التحرير والمنهج على شيخنا واستاذنا المرحوم المغفور له الشيخ خليفة السفطي فمنذ ما شعر بقدومنا الى الديار السورية واقامتنا في بيروت ارسل الينا تلغرافياً على يد حضرة عزتلو عبد القادر افندي القباني يستدعينا للوفود اليه والقدوم عليه لاجل الضيافة والاكرام وزيارة القدس الشريف معه في ذلك العام فلم يساعدنا الوقت على ما طلب وان كان ذلك عندنا غاية الارب فارسلنا اليه بابداء الاعذار في التاخر عن هذا المزار وهكذا صار

يدعونا في كل عام الى ان يسر الله المرام وعزمنا على التوجه العزم التام فعند ما اردنا القيام من بيروت حررنا له جواباً نفيده فيه ان موعد الاجتماع بكم ان شاء الله تعالى موسم القدس الشريف بدون تسويف فحضرنا نحن الى بيت المقدس قبل حضوره بيوم او يومين وقدم هو في يوم الجمعة وقت طلوع الصنجق فرأيناه على بعد في ذلك المجمع فاشتبه علينا باديءَ الامر لكثرة شيبه وظهور الكبر عليه مع عهدنا به شاباً غض الشباب ممتلئ الاهاب فاخذنا من حاله الاستعجاب

وبعد ان سلمنا عليه طلب منا الاقامة معه في دار بجوار الحرم كان قد ارسل من قبل قدومه تلغرافاً لبعض اصدقائه فاستكراها له ولمن معه من الاصحاب والخدم وكان في معيته جملة من الخيالة نحو العشرة او يزيدون فلم نرض بهذا الطلب مراعاة لخاطر الجماعة الداودية ولا سيما الشيخ محمد كمال الدين فانه لما سمع بان الشيخ يوسف الفاهوم حاضر العام الى القدس لاجل الزيارة والمقابلة معنا لسابق المعرفة معه من مصر بادر بوصيتنا والتأكيد علينا في عدم الخروج من مزار نبي الله داود ورجعنا الى منزلنا الاول واقام هو بداره مع جماعته وحال بيننا وبين الاجتماع به شدة الامطار والوحل في الطريق فكنا لا نجتمع به الا على سبيل الندرة في المسجد الاقصى او في قبة الصخرة الى ان عزمنا على زيارة الكليم فرافقنا في الذهاب والاياب وكذلك حين ماعزمنا على زيارة الخليل اشار علينا بالمبيت اول ليلة في بيت لحم حتى نزور مولد السيد المسيح ويخف علينا السير ونستريح فكتب له بعض اعيان النصاري في القدس وصية منه الى رئيس الدير في بيت لحم وارسل بها مخصوصاً قبل قيامنا من القدس فركبنا من عصر اليوم ودخلنا بيت لحم قبل الغروب فاستقبلنا اهل الدير وادخلونا الى محل الولادة وموضع النخلة في جانبه وقد زخرفا بانواع الزخارف البديعة ومحل الولادة عليه صحائف الفضة

مدورالشكل في وسطه دائرة منخفضة عما حولها يسيرورأينا في الدير كثيرامن طوائف النصارى يدخلون طائفة بعد طائفة ومعهم الحرس من عساكر الدولة العثمانية خوفاً من وقوع بعض فشل او خلل ورأينا صورة المسيح موضوعة في الواح معلقة على حوائط الدير من كل جانب وقد صنعوا فيه من التمثيل ما تنفر من رؤيته النفوس وتقشعر منه الابدان ويشعر بالاهانة والامتهان كتصويره مصلوباً وفي بطنه وبدنه ورجليه مواضع دق المسامير وتصويره على حجر امه عرياناً مهاناً مائل العنق والرأس وبعض بدنه ملقى على الارض وتصويره واليهود يضربونه ويمثلون به والدم سائل من جميع اعضاء بدنه وتصويره طفلاً رضيعاً بادئ السوأتين مكشوف العورة وتصويره طفلاً مشدود الوسط في خدمة يوسف النجار يعلمه صنعة النجارة وعلى رأسه قبعة اي (برنيطة) مثل اهل اوروبا فما الذي اعلمهم بأن هذه كانت من ملبوس ذلك الزمان وتصوير امه العذراء البتول وفي جانبها صورة يوسف النجار وهي تنظر اليه من طرف خفي فلعمري ما هذا التحقير اهو لاجل التذكير وابقاء الآثار لاجل الاخذ بالثار فان كان الامر كذلك فيغني عنه وجوده في كتبهم مسطوراً وعلى السنة قسسهم مذكوراً ولكن كيف يصنع الانسان فيمن ابتلي بسخف العقول وغاب عنه الامر الواضح المعقول

ثم ان الرئيس امر لنا بالمسافرخانه المعدة للمسافرين فدخلناها فوجدنا فيها لكل واحد تختاً وناموسية وكرسياً للجلوس وكرسياً آخر عليه شربة ماء وطشت وابريق للوضوء ثم دعينا لتناول طعام العشاء فنزلنا لأودة السفرة فرأينا فيها طرابيزة وعليها انواع الطعام من لحوم واطبخة وحلواء فاكلنا ورجعنا الى محلنا الاول ونمنا الى الصباح ثم خرجنا الى خارج الدير وقد اعد لنا الخدم الركائب وسرنا على بركة الله متوجهين الى جهة الخليل نصعد في جبل وننحدر في وادي حتى وصلنا

الى الخليل الا ان طريقه اسهل سلوكاً من طريق الكليم وبعد ان خرجنا من بيت لحم مررنا في الطريق على يمين الذاهب الى الخليل بضريح السيدة راحيل ام سيدنا يوسف الصديق وعليه قبة صغيرة فزرناها ومضينا في صوب مقصدنا حتى وصلنا الى عين ماء على يمين الطريق يقال لها (عين سارة) امرأة سيدنا ابراهيم وبعدها على نحو ساعة او اكثر من البلد دخلنا في بساتينها ومزارعها ووجدنا كروم العنب فيها لا تحد ولا تعد ومن ذلك كان العنب بها رخيصاً جداً فان الرطل الشامي بها يساوي عشرين فضة وهو مقدار نحو خمسة ارطال مصرية ونصف ودخلنا الخليل قبل العصر ونزل بنا الشيخ يوسف على قاضي البلد الشيخ محمد افندي علي وهو رجل من اهل العلم الازهريين كان له معرفة به في ايام الطلب بالازهر وبعد ان استقرت ركائبنا في منزله وكان في محل شغله خارج المنزل ارسل اهله اليه يعلمونه بمجيئنا وتوجهنا نحن لزيارة خليل الرحمن فدخلنا المسجد وهو كما قيل من بناء سيدنا سليمان وآثاره باقية فيه الى الآن فرأينا على ضريحه قبة وبابه من فضة وعليه من المهابة والاجلال مالا يفي بذكره المقال

ومن داخل هذا الضريح المسجد وقبة ضريح سيدنا اسحاق وفي محاذاته ضريح زوجته (رفقة) وعليها قبتان ومدفنهما في داخل مغارة تحت الارض لها منور مفتوح من الجانب الغربي

واما سيدنا يعقوب فهو وزوجته في محل آخر من المسجد في مقابل ضريح الخليل وسيدنا يوسف في محل آخر ايضاً في الجهة القبلية منفرد في جانب على حدته وعليه من الجمال اليوسفي والمحاسن البهية ما يبهر عقول البرية دخلناه فوجدنا به المصاحف الجميلة وهي موضوع عليها العلامات في سورة يوسف فقرأت السورة بتمامها في رحابه واهديتها لروحه الكريمة زيادة في ثوابه ولما صلينا بالمسجد

صلاة العصر وجدنا به بعض دروس منعقدة في تعليم العوام وبلغنا ان حضرة الشيخ خليل افندي التميمي قريب الشيخ التميمي الازهري الذي كان قديماً مفتي الديار المصرية من ذرية الصحابي الجليل سيدنا تميم الداري يقرأ دائماً دروس العلم في ذلك المسجد وفي بيته ايضاً وكان في ذلك الوقت منحرف المزاج فتوجهنا نحن وحضرة الشيخ يوسف افندي لزيارته وعيادته تبركاً به والتماساً لدعوة خير منه فانه مع كونه مقلداً ابوظيفة الافتاء فى الخليل الا انه انزه نفساً عن ان يتعاطي شيئاً من حطام الدنيا فيه ادني شبهة من حرام وهكذا يصفه اهل الشام بزيادة الورع والعفة فلما دخلنا عنده قابلنا مقابلة عظيمة ورأينا عليه مخايل الصلاح والتقوى لائحة وهو من التقلل والخمول في جانب عظيم مع كمال الدراية والمعرفة لا سيما في فقه ابي حنيفة وما زال يؤانسنا و يلاطفنا و يقص علينا بعض احواله في ايام المجاورة فى الازهر وهو في صحبة بلديه الشيخ التميمي المفتي بمصر اذ ذاك ولما ان اردنا الانصراف خرج معنا الى خارج الدار ولسانه منطلق بالدعاء والابتهال في صلاح حال مصر وبلاد الاسلام وفى الصباح توجهنا من الخليل راجعين الى القدس ومررنا في الطريق على بلدة يقال لها (حلحلول) وفيها ضريح نبي الله يونس عليه السلام فدخلناه للزيارة فوجدنا به عمارة جديدة لم تكمل بعد والبلد على ربوة عالية وهي على يمين الذاهب الى القدس وتحتها عين ماء عذبة جداً جارية على الدوام ليلاً ونهاراً يقال لها عين الدروة ثم وصلنا الى القدس في يومنا ذلك واردنا بعد اكمال هذه الزيارة الرجوع الى محل الاقامة فالح علينا حضرة الشيخ يوسف افندي فى الذهاب معه الى بلدته الناصرة ونحن لما شاهدناه من صعوبة الطريق في تلك البلاد لم ينشرح صدرنا لهذا الامر الا انه ابدى رغبة شديدة وظهر لنا من حاله اننا اذا لم نذهب معه وجل قصده في حضور الموسم في هذا العام انما هو الدعوة يحصل له تغير خاطر

وكسوف طبع بين اهل البلاد فتوكلنا على الله واجبنا دعواه واستكرى لنا دواب من القدس وتوجهنا على طريق نابلس ومررنا على ضياع كثيرة منها سلواد وعين بيرود وسبسطة بلدة صغيرة فيها مشهد لسيدنا يحيى الحصور في مغارة وعليها بناء قديم جداً يقال انه من بناء الملكة هيلانة و يدل على ذلك ما فيه من الصور والصلبان وغيرهما والله اعلم بالحال

ونزلنا في وقت الظهر للغذاء بخان فى منتصف الطريق بين القدس ونابلس وما دخلنا البلد الا بعد ساعتين ونصف من الليل وقد وهت منا القوى والحيل وضعفت عزائم الخيل وذلك بسبب وعر الطريق فتصعد عالياً وتنزل وادياً والصخور معترضة فى وسط المسالك تعوق كل مار وسالك وتورطه فى سبيل المهالك ولولا الطاف السيد المالك لما خلصنا بلا ريب من ذلك فنزلنا في هذه المدينة على بيت اولاد الشيخ زيد من السادة القادرية ولهم شهرة قديمة بالصلاح والتقوى والعلم فاستقبلنا احدهم وهو الشيخ سيف الدين وادخلنا داره الخاصة به دون اخوته وهم الشيخ احمد زيد والشيخ منيب افندي واولاد عمه

ومنهم الشيخ عبد الغني افندي رجل من العلماء الصالحين له معرفة تامة بعلم الفلك والميقات ولم نلبث الا قليلاً وقد حضر العشاء لكونهم كانوا على استعداد من قبل بواسطة تلغراف ارسله لهم الشيخ يوسف من القدس يعلمهم فيه بالخروج منه في ذلك اليوم والحضور عندهم فيه بناً على تكرار الدعوى منهم له فى القدس مراراً عديدة بالتحارير والتلغرافات وقد حضر لملاقاتنا وزيارتنا في بيت سيف الدين المذكور عدد لا يحصي من امراء البلد وعلمائها ووجوهها

فمنهم الشيخ امين افندي المفتي الازهري وجناب سعيد افندي الحسيني من بيت عبد الهادي من مشاهير العشائر في سالف الزمان حتى قيل انه السبب

في حماية ابراهيم باشا المصري في ايام حرب الشام والمحاصرة له ولولاه لما خلص من غوائل اهل الشام وسعيد افندي المذكور رجل كبير السن كبير القدر كريم النفس صاحب مروءة تامة ولطف اخلاق وطيب اعراق ولذلك انه لما راى علينا اثر الاعياء والتعب والشعوثة والغبارة من وعثاء السفر امر باخلاء الحمام تبعه ليلا واخذلنا الاذن من الحاضرين بالمجلس من ذوات وامراء وذهب بنا الى الحمام في حذاء داره وغيرنا فيه ثيابنا ورجعنا الى المنزل الاول وصنع لنا في الليلة الاخرى وليمة حافلة دعا اليها جناب المتصرف خليل بك الاسعد ورجال الحكومة معه وغالب الوجوه والامراء والقاضي والمفتي وكانت ليلة مشرقة مرونقة لسماحة نفس هذا الرجل واقاربه ودعانا في الليلة الثانية حضرة الشيخ امين افندي المفتي وبالغ في تهيئة العزومة فوق ما يلزم ودعا كل من كان حاضرا في الليلة السابقة وزيادة ومع كل ذلك لم نغير مركزنا الاصلي في النوم فكننا بعد انقضاء السهرة نرجع الى بيت سيف الدين ونراه وانجاله وعياله في الانتظار قائمين بكل خدمة بغاية الادب والحشمة مجتهدين في كل ما يدخل السرور علينا فيذهبون بنا الى مزارات الصالحين ومدارس المعلمين والمتعلمين فزرنا في هذا البلد ضريح الاسباط اخوة سيدنا يوسف وعليه من النور مايشرح الصدور وفيها ايضاً محل حزن يعقوب وفيها ضريح ابي يزيد البسطامي وفيها مسجد كبير عمري ومسجد آخر فيه العلماء المدرسون وطلبة العلم المشتغلون من مذهب ابي حنيفة ومذهب الامام احمد بن حنبل فان الحنابلة في نابلس وجبالها كثيرون جداً دون غيرها من بلاد الشام وشيخ الحنابله الآن عندنا بمصر من تلك الجهه ويسمى الشيخ يوسف تعلم ايضاً في نابلس ثم ثانياً في دمشق كما اخبرونا عنه بذلك وزرنا حضرة الشيخ مصلح افندي نايب رئيس شعبة المعارف بها في خلوة في ذلك

المسجد معدة لقراءة دروسه ومطالعتها وهو ممن سبق له طلب علم بالازهر ورأينا غيره كثيراً من الطلبة الازهريين

ولما دعينا لزيارة المدرسة البلدية وتوجه معنا حضرة الشيخ مصلح افندي المومى اليه ودخلنا اليها قابلنا الخوجاوات والمعلمون بالاكرام وعملت التلامذة لنا اناشيد بانغام مطربة تحية للقدوم واجرت المعلمون معهم صورة الامتحان بين ايدينا لابداء ما عندهم من المعارف في القراءة والنحو والصرف والحساب وغير ذلك فظهرت عليهم علامات النجابة والنجاح وامارات التقدم والفلاح واخبرونا ان عدد تلامذة هذه المدرسة نحو الستمائة تلميذ وكلهم في مدرسة واحدة الا ان مواضع التعليم متعددة فكل صنف منهم في محل خاص وسررنا برؤية هؤلاء الاولاد وما ابدوه من المهارة لا زالت بلاد الاسلام تتقدم في التمدن والعمارة وسمعنا بها شابين من حفاظ القرآن لم نر مثلهما في بلاد الشام تجويداً وصوتاً وحسن قراءة احدهما يدعى الشيخ احمد والثاني الشيخ حسن وتفرجنا فى نابلس على معامل الصابون المسماة بالمصابن فرأيناها شيئاً عجيباً لم نره فى بلاد مصر

ودخلنا بيت طوقان عائلة من العائلات المشهورة بنابلس بل و بلاد الشام ومصر و بلغنا ان واحداً من هذا البيت كان والياً فى مصر قديماً من طرف الدولة العلية فرأينا هذا البيت غاية فى الكبر والتشييد والمتانة

ودخلنا بيت النمر الذي كان ينزل فيه حضرة سيدي عبد الغني النابلسي الاصل الدمشقي المولد كما ذكر ذلك فى رحلته القدسية فوجدناه ايضاً من البيوت العظيمة والدور الواسعة القديمة وهذه المدينة محاطة بالجبال العالية وهي فى وهدة و بيوتها من الطرز القديم مبنية كلها بالاحجار وفيها ماء الينابيع غزير مدرار فسبحان الفاعل المختار واهلها كعشائر العرب في الهمة والمروءة والنخوة والجراءة

جعلها الله وسائر بلاد المسلمين عامرة زاهرة آمين ثم اننا في صبيحة الليلة الثانية ركبنا
دواب من المكارية ايضاً وتوجهنا صوب الناصرة نمشي في جبال وعقبات مهولات
واودية منخسفات الى ان وصلنا الى (جينين) قبيل الغروب ونزلنا في بيت شرقي
البلد من بيوت آل عبد الهادي وزارنا فيه القاضي والمفتي وقائمقام القضاء لان
مركزه بها وهي بلدة صغيرة و بها مدرسة جديدة زرناها وفحصنا حال التلامذة بها
ولم نسافر من تلك البلد الا بعد ان تناولنا طعام الفطور بها ضحوة النهار وركبنا
وسرنا الى الناصرة فمررنا على مرج ابن عامر وهو ارض سهلة واسعة بسيطة لم نر
في بلاد الشام ارضاً هي اشبه بارض مصر الا هذا المرج وسهلة البقاع فلم نزل سائرين
الى ان قابلتنا جبال الناصرة فصعدناها في نحو الساعة وقطعناها في ساعة اخرى
ونزلنا بساتين الناصرة وينابيعها المنحدرة اليها ولما اشرفنا عليها وجدناها في سفح
جبال من كل صوب وليست في الوادي بالمرة ولا فوق قبة الجبل بالمرة وقابلتنا
اهاليها مشاة وركباناً ولا سيما اخوة حضرة الشيخ يوسف وانجاله واعمامه بغاية
الترحاب والتأهيل والاكرام والتبجيل ودخلنا الى بيوتهم العامرة ودورهم الزاخرة
فوجدنا دارا عالية المباني كاملة المعاني وهي في وسط الدور تشرح الخواطر والصدور
منتظمة كنظام هذه الاعوام مفروشة بالرخام وفيها ديوان مشيد مسقوف بالقرميد
وفى اطواقه وشبابيكه انواع الزجاج فى نضارة تامة وابتهاج وفيه حمام ظريف
وجملة اود فيها التخوت والسرر والناموسيات معدة للمسافرين والضيفان و بعد ان
استقر بنا المجلس حضر الينا والده الاكرم الشيخ امين افندي فرأيناه رجلاً كبير
السن يبلغ الثمانين من العمر ومع ذلك هو اقوى بنية واشد همة من ولده الشيخ
يوسف بصره صحيح حاد واسنانه كما هي اما ولده فقد سقطت اسنانه وصارت
لحيته بيضاء الا القليل وذكر لنا انه في ايام ابراهيم باشا نفي الى مصر واقام بها

مدة من الزمان ثم عفي عنه ورجع الى الشام وان افتاء الناصرة كانت في بيتهم قديماً ووالده كان فيه من قبله

وعنده من الكتب القديمة جملة وافرة صار يطلعنا عليها ويحادثنا في الاخبار السالفة وما وقع في البلاد الشامية من الحوادث كأنه تاريخ وعنده من النساء ثلاث او اربع واولاد صغار ويركب الجياد من الخيل ويشرب الدخان في الشبكات على عادة القدماء قبل هذا الجيل وعليها التراكيب من الكهرمان واخوه الشيخ عبد الحميد افندي رئيس بلدية الناصرة الآن وولده الشيخ عباس خطيب مسجدها وله المام بالعلم واخوه الشيخ عبد اللطيف افندي مشغول بامر الزراعة وكذا ولده الشيخ خضر والشيخ يوسف له شركات في الزرع واراضي واسعة جداً وهذا سبب زيادة ثروته العظيمة التي لا تضاهي في تلك النواحي وله معاملات وديون على كثير من مشايخ العشاير واعيان البلدان هناك ولذا كان كبير المقدار عندهم مسموع الكلمة فيما بينهم مهاباً معتبراً عند الحكام وله ولد كبير يتولى بعض شؤن المنزل يسمى عمر يقرأ ويكتب ويحسب وولد اصغر منه يقال له راغب وغيرهما ومع كثرة الخدم والحشم والعبيد تراه يخدم الضيوف بنفسه واولاده واخوته ولا يفرق بين ضيفانه بالغناء والفقر بل الكل على مائدته سواء يطعم الجميع من اللحوم وانواع الحلواء واقمنا عنده مدة اثني عشر يوماً فلم نتناول طعاماً عند غيره الا مرتين مرة عند عمه الشيخ عبد الحميد افندي ومرة عند علي اغا شاويش واخيه عمر افندي من اولاد ضافر المشهور في تلك البلاد بالشجاعة والقوة وكان اميراً من امراء العشائر في نواحي عكا وغيرها

﴿ مطلب ذكر محل اقامة المسيح بالناصره ﴾

وزرنا في الناصرة محل اقامة السيد المسيح وامه السيدة مريم فانهما اقاما بها

نحو السبعة عشر سنة ومن ثم قيل لاتباع المسيح نصارى نسبة الى هذه البلدة كما هو مذكور في الكتب والتواريخ وعلى هذا المحل دير كبير للنصارى دخلناه ورأينا موضع سكن السيد المسيح ووالدته السيدة مريم وهو عبارة عن مغارة فيها موضعان منقوران من الجبل متصل احدهما بالآخر وهما باقيان بحالهما الى الآن

واما البناء الذي فوقها في الدير والكنيسة فهو في غاية الزخرفة والتزويق بالنقوش والمعادن الذهبية والفضة وغيرها وقبل ان نزور ذلك الموضع حضر لزيارتنا رئيس الدير والمطران الموجود بهذه البلدة المقدسة عند النصارى وذلك اكرام منهما لحضرة الشيخ يوسف حيث اننا ضيوفه من الاقطار المصرية واهدى الينا الرئيس تنكا من صفيح فيه نشوق من صنعة اهل الدير ورهبانه يزرعون دخانه عندهم ويسوّونه بايديهم وهو عجيب اللون والنكهة جداً

ثم لما اردنا السفر تكدر حضرة الشيخ يوسف غاية الكدر وشدد علينا في الاقامة عنده الى انقضاء المدة فلم نجبه الى ذلك وابدينا اليه الاعذار التي (منها) اخذ الاخبار وتناول التحارير والمكاتيب الحاضرة لنا من العيال بسهولة لداعي كون البلد مرسى الوابورات على الدوام

ومنها اننا مستأجرون بيتاً في بيروت والباقي من الايجار مدة طويلة

ومنها اننا الفنا تلك البلد واهلها ووافقت سكناها صحتنا من اول الامر الى هذا الوقت

واما هواء بلدكم وماءها فلم نرهما موافقين لصحتنا مثل تلك فحينئذ رخص لنا في السفر الا اننا ترددنا في التوجه الى بيروت رأساً او الى دمشق ثم اليها وسألنا عن المسافتين في طريق البر فاخبرونا انهما سواء

﴿ مطلب التوجه الى دمشق ﴾

فصممنا على زيارة الشام اولاً بالمرة فانتظرنا سفر القافلة واستكرينا دواب منها وسافرنا الى جهة (طبرية) فدخلناها قبيل الغروب من ذلك اليوم ومررنا فى الطريق على ضيعة يقال ان فيها مزار سيدنا يونس عليه السلام فدخلناها ومعنا اهلها بخيولهم يتسابقون عليها على عادة اهل مصر فى استقبال العزيز عليهم وكذلك اخوة الشيخ يوسف و بعض رجاله وخيالته ووجدنا ذلك المزار عبارة عن قبة صغيرة ومن داخلها غار يقال ان فيه قبر نبي الله يونس فزرناه ودعونا الله بما اردناه من خيري الدنيا والآخرة وشربنا عندهؤلاء القهوة وسافرنا الى طبرية ومعنا هؤلاء المودعون حتى انزلونا في دار الحاج محمد الطبري وهي دار معدة لنزول الضيوف والمسافرين وصاحبها من بيت علم قديم واجداده من اكابر العلماء وعندهم مكتبة عظيمة لا نظير لها كلها بخطوط الافاضل والمؤلفين ولكن لطول الزمان عليها تمزق غالبها وتشتت واقتسمتها تلك العائلة اقتسام الطعام صبرة فصبرة فان قريبهم الشيخ عبد السلام (مفتي طبرية الآن) دعانا في اول ليلة للنوم عنده فاطلعنا على ما ادركه من هذه المكتبة ووقع في قسمه منها فرأيناه مما يرثى عليه و يؤسف من حاله فانك تري المجلد فيه عدة قطع من عدة كتب وهو مشغول بتصليحها وترتيبها

(ولن يصلح العطار ما افسد الدهر)

ومن زيادة لطف هذا الشيخ عزم علينا بكل ما نختاره من هذه المكتبة فلم نرض ومع ذلك اعطانا كتاب (المرقاه في اسمائه صلى الله عليه وسلم) تأليف الامام جلال الدين السيوطي وقد قرأه عليه جماعة من العلماء وكتبوا ذلك في آخره وصدق عليه المؤلف بخطه الشريف وكذا في غالب اوراقه كتابة بخط الشيخ يقول (بلغ قراءة في تاريخ كذا كتبه مؤلفه) و بعض زيادات بخطه ايضاً

واعطانا (شرح لامية العجم) للشيخ ابي البقا العكبري و بعض رسائل اخر ودعانا الشيخ عبد السلام المذكور للمبيت عنده الليلة الثانية فاجبناه رغبة فى الاستراحة والاستحمام في حمام طبرية المشهور وهو خارج البلدة بمسافة نصف ساعة فركبنا دوابنا وتوجهنا اليه ظهر اليوم الثاني بعد صلاة الجمعة في مسجدها الذي على شاطئ البركة فرأينا هناك جماعة من الافندية النابلسية ومنهم شاب ظريف من طلبة العلم بالازهر يعرفنا من مصر فبالغ هو واصحابه في كرامتنا وخدمتنا في دخول الحمام والتوصية لقيم المحل علينا واحضروا لنا بشاكير نظيفة من عندهم ندخل فيها فلما دخلنا الى الحمام وجدنا بركة عظيمة مستديرة من الرخام وعليها نحو الخمسين رجلاً او ازيد وكأنه لم يكن فيها احد وفي جانب هذه البركة (اود) صغيرة وفيها برك كذلك فمن اراد الانفراد سلخ ثيابه فيها واقتصر على الاستحمام بها الا ان البركة الكبيرة انفع واقل سخونة لكثرة النازلين فيها ومع هذا لم نستطع نزولها الا بشق الانفس لشدة حرارتها الفائقة الحد ولولا صب الماء البارد عليها و كثرة اغتسال الناس فيها لما امكن نزولها لمثلنا اصلاً فسبحان الصانع الحكيم

و يقال ان الذي بنى هذا الحمام الجديد على هذه العين المعدنية الحارة خلقة حضرة ابراهيم باشا المصري ايام حكمه في بلاد الشام وفيه هناك محل استحمام قريب من هذا يقال انه من بناء سليمان

وفي جنوب طبرية بناء قديم فيه عمارة جديدة الآن يقال انه ضريح السيدة سكينة ابنة الحسين رضي الله عنهما وقد زرناه والحمد لله

واخبرني بعض اهل طبرية انه في مدة قريبة رأى في بيته اثر بناء قديم فوجد فيه لوحاً من حجر ابيض وعليه كتابة بالعربي محصلها (هذ ضريح ابي هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) فتوجهنا لزيارة هذا المحل ورأينا هذا

اللوح بانفسنا

وهذا ربما خالف ماذكرناه في هذه المجموعة من ان مزار السيد ابي هريرة موجود في طريق بغداد على شاطئ نهر الفرات ولا يعلم الحقيقة الا الله سبحانه وتعالى

واظن انه يمكن التخلص من مثل هذه المعارضة بان تعدد المزارات يكون سبب تعدد المعاهد لهذا الميت فالبعض منها محل ولادة والبعض محل اقامة وسكنه والبعض محل تعبد مثلاً والبعض محل دفن و بعضها محل له نفسه و بعضها محل لاحد ذريته او سميه

وبحيرة طبرية هذه ماؤها عذب خفيف على المعدة وفيها سمك عظيم وهي قريبة في المقدار من بركة قارون التي في الفيوم بالبلاد المصرية والبلد نفسها ليست كبلاد الشام في البرودة بل كبلاد مصر في الحرارة ثم بعد اقامة يومين في طبرية توجهنا الى دمشق ومررنا على جب يوسف عليه السلام فرأيناه فوق ربوة عالية كالبئر مردوم منه نحو النصف وتحت هذا الجبل خان قديم وقشلاق عسكرية خارب الآن في الجانب الشرقي من مدينة (صفد) ولم نزل سائرين الى ان وصلنا الى نهر الشريعة قبل الغروب بنحو الساعة و بتنا في ذلك المحل عند القنطرة المسماة (بجسر بنات يعقوب) وفي هذا الجسر قول السيدة عائشة الباعونية

بنى سلطاننا برقوق جسراً   بامر والانام له مطيعه
مجاز في الحقيقة للبرايا   وامر بالمرور على الشريعه

ونهر الشريعة هذا هو (نهر الاردن) المذكور في التواريخ القديمة

وفي الصباح توجهنا في الطريق ومررنا على (جبل الجيلان) وكانت (جبا) عن يميننا من الجانب الجنوبي واسفنا على عدم مرورنا عليها لاجل زيارة الشيخ

سعد الدين الجيباوي المشهور بالولاية والكرامات

ورأينا في هذا الجبل خياماً كخيام الاعراب فسألنا عنهم فقيل لنا (انهم اكراد) نازلون في هذا المنزل من قديم الزمان ويظن انهم نزلوا فيه مدة السلطان صلاح الدين الايوبي ولم نزل في السير الى ان وصلنا الى القنيطرة بلد قديمة كانت خراباً فاعطتها الدولة الآن للشراكسة المهاجرين من بلادهم يعمرونها ويزرعون فيها ودخلناها في وقت الظهيرة الا ان المسافة بينها وبين البلاد المعمورة طويلة جداً فلم نجد بداً من المبيت بها تلك الليلة فنمناها بقهوة حادثة النشأة لعدم وجود محل فيها لنزول المسافرين

ورأينا على شاطئ نهرها زهر البابونج المعروف في الطب فجمعنا منه جملة وافرة وفي الصباح توجهنا الى جهة (سعسع) وهي مدينة قديمة خربة ليس فيها كثير من الناس بل افراد قليلة من الاعراب وعندها مياه غزيرة وارضها صالحة للزراعة لكن لقلة العالم في تلك البلاد تجد كثيراً من الارض الواسعة والمسافات الشاسعة خالية من الزرع والشجر لخلوها من السكان ولو كانت في بلاد مصر لكانت مزارع عظيمة غالية القيمة

ولم تزل الامطار تنزل علينا من وسط النهار الى الليل فدخلنا بلدة بالقرب من دمشق يقال لها (عرطوس) و بتنا في خان غير نظيف خوفاً من المشي ليلاً مع الجهل بالطريق وتراكم الامطار وطلبنا من صاحب الخان خشباً او حطباً نوقده للتدفي عليه وتجفيف ثيابنا المبتلة فاحضر لنا الحطب ومكثنا طول الليل في تنشيف الثياب الى ان طلع النهار وآن اوان الذهاب فركبنا الدواب وسافرنا الى دمشق فدخلنا من ذلك الوقت فى ضواحى المدينة حتى وصلنا ضيعة بجوارها يقال لها (المزه) فنزلنا في قهوة بها وشربنا القهوة واسترحنا نوعاً من عناء هذا السفر

ثم ركبنا ودخلناها ضحوة النهار ونزلنا في بيت الحسيب النسيب السيد سعيد افندي الكيلاني من امراء دمشق واعيانها كان رئيس مجلس البلدية بها وتعرفنا به في بيروت حين كان بها لتبديل الهواء لانحراف صحته رزقه الله الصحة والعافية والمعيشة الهنيئة الصافية فاستقبلنا هذا الامير بكل اقبال وبشر واجلال وجاءنا للسلام علينا كثير من العلماء والامراء والتجار الكبار وكان اول مبادر حضرة شيخ العلماء الاعلام ورئيسهم بدمشق الشام رجل التدريس والتعليم حضرة استاذنا الشيخ سليم كبير آل بيت العطار اهل المجد والشرف والفخار من السادة الاكابر كابراً عن كابر وهو شيخ متقدم في السن عليه ابهة العلم وامارات الذكاء والفهم وعليه تادية وظيفة علمية في جامع السليمانية في الاشهر الثلاث رجب وشعبان ورمضان .

واقد حضرنا درسه يوم الخميس به وهو خارج البلد قريباً من (المرجة) وسمعنا قراءته في صحيح البخاري وعليه اكابر اهل البلد يحضرون

فابتدأ المقرئ في قراءة الحديث الاول وثنى حضرة الاستاذ بتفسيره والكلام عليه تعليقاً بدون مطالعة في كراس على عادة القدماء من المشايخ الا ان المقري والشيخ طولا في الديباجة والمقدمة التي تعمل قبل قراءة الحديث الشريف تطويلاً فوق العادة فما مضى ثلثي ساعة الا وقد كمل الدرس واقبل عليه الحاضرون لتقبيل يده ولما وقع بصره حفظه الله تعالى على الفقير واخيه امرنا بالقرب منه فجلسنا بجانبه في الحلقة وفيها من المشايخ الكبار المتقدمين في السن اصحاب الوجاهة خلق كثير وجم غفير وبالجملة فهو مجلس حافل منور مراعى فيه حرمة الحديث حق المراعاة وهكذا دروسهم جميعاً

وجاءنا ايضاً حضرة الاستاذ الشيخ منيني افندي عالم كامل اديب فاضل من بيوت العلم والشرف خلفاً عن سلف يقرأ هو ايضاً صحيح البخاري تحت قبة

النسر بالجامع الاموي

وحضرنا درسه ايضاً بعد ظهر يوم الجمعة وتوجهنا الى داره قريباً من المسجد اجابة لدعوته السابقة فرأينا منزلاً كبيراً واسعاً وبركة عظيمة في صحن الدار محاطة بالاشجار والازهار ودخلنا الى مندرة فى الصدر وبها مكتبة شريفة مشتملة على كتب قديمة من آثار اجداده ومؤلفاتهم واطلعنا على كتاب فى اللغة يقال له سبعة ابحر من تأليف جده جمع فيه كثيرا من مواد اللغة التي فى الكتب المتداولة كالصحاح والمصباح والقاموس

وكان مولانا الشيخ سليم العطار اول من فتح لنا باب العزومات كما انه اول من بادر بالتسليم والزيارات

وجاءنا حضرة الشيخ سليم افندي الكثبري نجل الشيخ مسلم الكثبري نجل الشيخ الكثبري محدث الشام قديماً وعليه المعتمد في صحة الحديث والسند فهو من بيت علم قديم مشهور بالحديث والتدريس والتعليم

ولقد حضرنا على حضرته درس البخاري بعد صلاة العصر تحت قبة النسر ايضاً وحضره خلق كثير

وكان المقري في مجاسه اخاه الاصغر وهو مجلس مبارك ببركة اجداده منور وهو ايضاً دعانا الى منزله وبالغ فى الترحاب والاكرام وتنويع الطعام شكر الله همته واجزل عليه نعمته

وجاءنا ايضاً جناب الشيخ امين افندي النابلسي من ذرية القطب الشهير والبدر المنير العلم المفرد والعلامة الاوحد صاحب المدد القدسي والفتح الانسي سيدنا الشيخ عبد الغني النابلسي نفعنا الله بسره وبركاته واعاد علينا من نفحاته وهو ايضاً صنع لنا وليمة دعا اليها اكابر العلماء والامراء وزاد في تأنقها وحسن رونقها ولا غرو فهو من بيت السماحة والكرم ولطف الشمائل والشيم

وزارنا ايضاً حضرة الاستاذ العلامة والقدوة الفهامة السيد الكامل المعتبر حضرة والدنا الشيخ عمر من سلالة آل بيت العطار وخلاصة اصلهم الذكي المعطار ولقد كنا تشرفنا برؤية جنابه والاجتماع به في بيروت في العام الماضي وقضى معنا بها شهر الصيام واستأنسنا برؤيته ومحادثته في تلك الايام .

وحضرنا بعض دروسه في الزاوية التي على شط البحر المشهورة (بالمجيدية) فرأينا منه علماً باهراً وجواباً حاضراً وذهناً وقاداً وفكراً نقاداً وكريم اخلاق ذكية اذكى من النفحات المسكية ومعرفة تامة بعوائد المصريين ولا سيما الافاضل الازهريين فانه اقام بمصر مدة من الزمان وكان يجتمع فيها بحضرة الشيخ اكرم الافغاني وتلقى عنه بعض العلوم كالتصوف وغيره

ودعانا الى منزله ايضاً كباقي المشايخ واكرمنا اكراماً كبيراً وصار يتودد الينا ويتردد علينا كثيراً ويذهب بنا الى بعض المزارات بنفسه ويجتهد في اذهاب الوحشة عنا بانسه

ومنهم العالم الصالح التقي الناجح الشيخ بكري العطار نجل صاحب الهيبة والوقار الشيخ حامد العطار وولده النجيب حضرة الشيخ اديب والشيخ ابراهيم العطار

ومنهم نجل المرادي الشهير صاحب القدر الخطير والفضل الكبير كان في بيتهم قديما افتاء دمشق ولهم المآثر والمفاخر فيها.

ومن اجدادهم مؤلف تاريخ القرن الثاني عشر (المسمى بسلك الدرر) وهو تاريخ كبير في مجلدين

وكان الشيخ احمد البربير العالم الشهير الذي هاجر من بيروت لعدم صفاء العيش له فيها (وصنع في هجو اهاليها بيتين خمسهما من غير اسمه ابي ابراهيم

البربير وهما ·

بيروت مقبرة العلوم وحفرة   اضحت على اهل العلوم سعيرا
كم عالم قد مات من ضغطاتها   ورأى هنالك منكراً ونكيرا

(نزيلا على بيت المرادي) وهو الشيخ عبد الرحمن افندي مفتي الشام اذ ذاك وعمل مقالة فى المحاكمة بين الماء والهواء على رسمه

وله رسالة ايضاً في البحر العروض سماها (اقتباس اي القرآن في مدح عين الاعيان) كلها مدائح فى الشيخ المرادي منها في بحر الطويل

لقد شرف الله المرادي سيدي   بخلق عظيم بات كالزهر الغض
واورثه مجد السراة جدوده   (ولله ميراث السموات والارض)

ومنها في البسيط

اعداء سيدنا مفتي دمشق بغوا   فضيق الله في الدنيا اما كنهم
واقفر الله منهم شامنا زمناً   (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم)

وعندي هاتان الرسالتان بخطي كتبتهما من احد اقارب البربير ببيروت

وممن زارنا من اعلام العلماء ومشايخ الطرق والفقراء وان كانوا فى الحقيقة السلاطين والامراء حضرة والدنا الشيخ محمد الخاني عالم عامل وورع كامل وولده الاديب الاريب الفاضل النجيب الشاعر الناثر المجيد حضرة صديقنا الشيخ عبد المجيد كانت له سابقة المعرفة بنا من قبل في بيروت وقد كان حضر بها لمصالح تخصه فاجتمع بنا وصار يتردد علينا فرأينا فيه من الادب والانس ما تقر به العين وتطيب به النفس فتسلينا بما يلقيه علينا من مفاكهة الآداب وكلماته الرقاق المذاب عن مجاورة الاحباب والاتراب وعددنا التعرف به من اعظم المعارف لانه علم في اللطائف والظرائف فكم له من ضمير مستتر في اشارة وبراعة ظاهرة في عبارة

يهدى الينا من صلاته العوائد جملاً كلها من فرائد الفوائد ومضى على هذا الامر من غير مضارع في ابداع كلامه البديع بديه البدائع

وذكرنا عهوداً بالحمى وابرد غليل القلب من بعد الظما ولكنه ابعد النجعة من بعد ما ابدع وما سلم حتى ودّع ورجع الى مسقط رأسه ومصباح نبراسه واودع القلب غراماً لا ينطفي لهيبه ولا يسكن وجيبه وكيف وقد فارقه حبيبه وباعده طبيبه الا انه لم يزل واصلاً حبال المودة على طول ذلك العهد والمدة فيرسل الينا برسائل الاشواق التي هي وسائل العشاق مشتملة على فرائد الدر المنظم وذخائر الكنز المطلسم فتحرك من اشواقنا اليهما كان ساكناً وتبدى من لواعج الغرام ما كان كامناً فتعجزنا باعجازها وايجازها عن الرد عليه ولا نجد في مجازها طريقاً على الحقيقة يوصلنا اليه ومن تدبر الامر في عدم المكاتبة وجد سببه ما كان يعجزنا به من رقيق المخاطبة وليس هو معاذ الله من الجفا ولا من قلة الوفا ولولا الاستعجال وضيق المجال لحلينا جيد هذه المجموعة بحلي هذا المقال المزري بعقود اللال وهي محفوظة فى الصدور فضلاً عن حفظها في السطور وسنزين بها ان شاء الله تعالى الخاتمة نسأله تعالى حسن الخاتمة

ولنرجع الآن لما نحن فيه من الزيارات والدعوات فنقول

ان حضرة الشيخ الخاني الكبير دعانا للكرامة في محله على لسان نجله فتوجهنا نحن وحضرة السيد سعيد افندي الكيلاني وبلغنا من الانس بهم والمجابرة منهم غاية الاماني

وممن زارنا ايضاً حضرات الاماجد الكرام والاماثل الفخام ذوي الاصل الكريم الفاخر والفرع النضير الزاهر الجمال مولانا الامير السيد عبد القادر وهم حضرة الامير محمد باشا وحضرة الامير محيي الدين باشا وحضرة الامير الهاشمي وزرناهم في

دورهم الناضرة التي هي بالمكارم عامرة

ومنهم السادة الايوبية حضرة الشيخ محمد سعيد والشيخ محمد علي والشيخ خليل افندي وكلهم موظفون في وظائف سامية في باب الحكومة العالية

واما اخوهم صاحب السعادة حضرة احمد افندي مكتوبجي الولاية فكان اذ ذاك في بيروت بمعية جناب الوالي فخامتلو المرحوم احمد باشا حمدي ولما بلغه توجهنا الى الشام ارسل افادة لاخوته حتى يقابلونا بالاكرام والاجلال والقبول والاقبال وقد اوفوا بهذا الطلب وصنعوا معنا فوق مايجب وصنعوا لنا ضيافة في غاية الظرافة ودعوا لها كثيرا من الامراء والعلماء الاعلام وكان فيمن دعوا حضرة قاضي ولاية الشام العالم الهمام جناب صاحب السماحة اسعد بك وكانت عزيمتهم في آخر الليالي كالواسطة في عقود تلك اللالي وفي فجرها اصبحنا متوجهين الى بيروت فى الكروسة التي يسمونها (الدالي جنص) كما سناتي عليه في غير هذا المحل من هذه المجموعة ان شاء الله تعالى

ومنهم العالم العلامة المحقق الفهامة استاذنا الشيخ محمد الطنطاوي المصري الازهري عالم الشام حالاً وقالاً وقبولاً واقبالاً له اليد الطولى في علوم الالات والقدح المعلى في علم الفلك والميقات فله فيه شهرة بلغت السماك فى السما بل رقى عن ذلك بينهم وسما وكنا قد رايناه ونجله الشاب الماهر الشيخ عبد القادر في اول سنة وردنا فيها بلاد الشام في بيروت واجتمعنا به مراراً كثيرة في بيوت كبيرة ودارت بيننا وبينه مذاكرة واحاديث علمية ومحاورة فرايناه عالماً متفنناً وشيخاً متقناً الا ان فيه اعجاباً بنفسه واغراباً فيما يبديه فى درسه ولولا تحتم السفر علينا في يوم قيامنا من الشام بواسطة قطع التذكرة من الكبانية ودفع الدراهم لما قدرنا على الخلوص منه بدون اجابة دعوته مع كثرة تشديده والحاحه فما زلنا به وبنجله

حتى تحصلنا على سماحه فجزاه الله على هذه الفتوة احسن ما جازى به اهل المروة

ومنهم اولاد الشيخ الخطيب وهم حضرة الافاضل الشيخ ابي الخير والشيخ ابي الفتح والشيخ ابي الفرج من العلماء المنتفع بهم في التعليم والقراءة والتفهيم ورددنا الزيارة عليهم فى المدرسة الالباجية

ومنهم الشيخ بدر الدين بن الشيخ يوسف المغربي البيباني (مدرس السنانية الآن) وهو من نوادر هذا الزمان فانه شاب صغير السن لم يشتغل كثيراً على المشايخ في الدروس الا انه لجودة حافظته اشتغل بنفسه وانقطع للمطالعة اناء الليل واطراف النهار فصار من اهل العلم والاعتبار يقرأ الكتب العظيمة الكبار و يلقي على الطلبة جميع الدروس تعليقاً بدون نظر في كراسة او كتاب وحضرناه ليلة وهو يقرأ شرح البخاري فمكث اكثر من ساعة يقرن في المسائل ويشرح الحديث عن ظهر قلب و بعد ان زارنا في منزل السيد سعيد افندي الكيلاني رددنا عليه الزيارة في مدرسته الملازم لها وهي مدرسة (دار الحديث) التي كان يقرأ فيها الامام النووي رضى الله عنه وكانت تخربت واستولى عليها رجل نصراني فانتزعها منه الامير عبد القادر واصلحها بواسطة الحكومة والشهامة النبوية وصارت على ماهي عليه عامرة بالعلم والعمل وطلع فيها بدر الدين وحل بعد ان كان افل منها وارتحل فالحمد لله على هذه النعمة بالحصول على آثار الأئمة والاخذ بثار هذه الامة ولما قصد الامام السبكي زيارة الامام النووي بالشام وسافر من مصر فوجده قد انتقل إلى رحمة الله تعالى فطلب ان يدلوه على محل درسه فادخلوه الى دار الحديث فقال

وفي دار الحديث لطيف معنى — اردد في جوانبها واوى
وارجو ان انال بحر وجهي — مكاناً مسه قدم النواوي

ومنهم الذكي الاديب والالمعي النجيب الشيخ سعيد افندي المنير نجل الشيخ محمد المنير وهو من بيت شهير بدمشق قديمًا وكنا قد اجتمعنا به في بيروت من مدة سابقة هو وجناب الشيخ امين افندي النابلسي واخذت من هذا الاخير كتاب جده المسمى (سحر الاحداق وبث الاشواق) بخط يده الشريفة وطالعته عن آخره وجمعت منه مجموعة من مختار كلامه ودرر نظامه واخذت منه ايضًا كتابًا اخر بخط جده اسمه (زهر الحديقة في ذكر رجال الطريقة) يعني الطريقة المحمدية فمتعت ناظري في رياض ازهاره وقطفت الشهي من يانع اثماره فمما رأيته اثناء المطالعة ماذكره ابن كمال باشا في ترجمة جار الله الزمخشري من كلامه في مدح تفسير (الكشاف)

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ‍ ‍ ‍ وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ‍ ‍ ‍ فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

ومنه ما ذكره في ترجمة (مَعْمَر) بفتح الميمين وسكون العين المهملة بضبط ابن خطيب الدهشة في تحفة ذوي الارب وهو معمر ابن عباد السلمي من القدرية وهم طائفة ينكرون ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة وعلى صفة مخصوصة على حسب ما قدرها سبحانه وسموا القدرية لانكارهم القدر قال النووي وقد انقرضوا باجمعهم ولم يبق احد من اهل القبلة على ذلك والحمد لله نقله التلمساني في حاشية الشفاء وقال النجم الغزي في (حسن التنبيه في التشبيه) المعمرية اصحاب معمر بن عباد السلمي سموا انفسهم اصحاب المعاني وهم اعظم القدرية فرية في نفي الصفات والقدر وقالوا ان الله لم يخلق شيئًا غير الاجسام والعرض من اختراعات الاجسام اما طبعًا كحرق النار او اختيارًا كالحيوان يحدث الحركة الى غير ذلك من مقالاتهم الشنيعة

واجتمعنا في موسم القدس الشريف بجناب نابلسي زاده السيد محمد رشيد من ذرية الاستاذ الشيخ النابلسي ايضاً واطلعنا على كتاب من كتبه بخطه يسمى (الرحلة القدسية) ذكر فيه رحلته من الشام الى القدس ذهاباً واياباً يوماً فيوماً حتى رجعوا الى دمشق وذكر فيه قصائد غرر ونثراً كالدرر فهو لا شك كتاب من كتب الادب وديوان من دواوين العرب وكم لهذا الامام من مؤلفات عظيمة القدر في النظم والنثر

ولقد طالعت وانا في بيروت كتابه المسمى (ديوان الدواوين) وانتقيت من مختاراته مجموعة صغيرة ورأيت له في دمشق ديواناً صغيراً يقال له (مجمع البلابل وسحر بابل) وشرح بديعيته المسماة (نسمات الاسحار في مدح النبي المختار) طبع في الشام على ذمة احد ذريته الاخيار مقابلاً على مسودة المؤلف بخطه

ومنهم الاجل الافضل والامجد الاكمل العالم الشهير والمحقق النحرير الشيخ علاء الدين نجل الشيخ محمد عابدين صاحب حاشية (الدر المختار) المسماة (رد المحتار) وقد اكملها بعد وفاة والده بلغه الله غاية مقاصده وهو رجل من اكابر الوجهاء واعيان الامراء معتبر عند الحكام في تحرير الاحكام

وكذلك زارنا من بني عمه الشيخ احمد عابدين من اكابر العلماء اهل الصلاح والدين وكذلك اخوه الكريم صاحب الخلق العظيم ومنزل الشيخ علاء الدين في القنوات ومنزل الشيخ احمد عابدين في سوق ساروجة كما ان منزل الشيخ سعيد افندي الكيلاني في هذا الحي المسمى بسوق ساروجه

ومنهم الاستاذ الاوحد والعلامة الامجد الشيخ طاهر افندي الجزايري المغربي (مفتش جمعية المعارف بولاية سوريا السنية حالا) وهو من الذكاء والفطنة على جانب عظيم وبواسطته تقدمت المعارف والمدارس في الولاية الى

الغاية فقد سعى في تمهيد طرق التعليم باحداث الطرق السهلة في التفهيم حتى انه جمع كتباً سهلة المأخذ من فنون شتى كالادب والطبيعة والتاريخ وغيرها لتكون اقرب لفهم المبتدئين من التلامذة

ولقد رأينا من الكتب المطبوعة على ذمة المعارف شيئاً كثيراً منه قصص الانبياء وتواريخ ظهورهم ومنه حل المنظوم للثعالبي ومنه (الفوايد الجسام في الكلام على الاجسام) في الطبيعية على طريق المؤلفات الجديدة باوروبا الا انه يتعرض لرد ما عساه يكون مخالفاً للدين الاسلامي ومنه كتاب (مد الراحة لاخذ المساحة) تأليف الشيخ طاهر افندي المذكور واهدانا نسخة منه مطبوعة في مطبعة المعارف وغير ذلك مما لم اتذكره الآن

ومنهم الشيخ محمد بن المبارك المغربي الجزايري عالم ماهر واديب شاعر رأيت له ونحن في بيروت (مقامه) في رثاء الامير عبدالقادر سماها (لوعة الضمائر ودمعة النواظر في رثاء الامير عبد القادر) ومقامة اخرى ظريفة في المحاكمة بين الغربة والاقامة والحضر والسفر وجاءنا في الشام زائراً ومسلماً فرأينا منه رجلا صالحاً كأبيه ذا قدر نبيل وفكر نبيه ولم يزل في عنفوان شبابه يدأب دائماً في تحصيل آدابه

ومنهم حضرة الشاعر الاديب والناثر النجيب الشيخ محمد افندي الهلالي الحموي نزيل الشام وواحدها الآن في الشعر والنظام دخل علينا زائراً في بيت الكيلاني ولم نكن رأيناه من قبل فاخبرنا الحاضرون بانه الهلالي المشهور فقلنا مرحباً به واهلا وسهلا طالما كنا نشتاقه اشتياق الظمآن للماء العذب والمهجور للقرب ولقد جمع الله بيننا وبينه واذهب نواه عنا وبينه وكتبت له على البديه هذين البيتين

في جلق كم رأينا ذا بهجة او جمال

لا سيما اذ نظرنا انوار وجه الهلال (الهلالي)

وكتب لحضرته على البديه ايضاً حضرة اخي الشيخ احمد هذين البيتين

في آخر الشهر جئنا دمشق ذات الجمال

فكان امر غريب وذاك رؤيا الهلال (الهلالي)

فطلب المهلة في الرد لعدم اكتفائه بالقليل من كلامه

فلما اصبح الصباح جاءنا بقصيدة مطولة يحكي بها الحالة مجملة لا مفصلة وكتبها

بخطه مبتدأً بقوله (يا بديع) قبل النظم وهي

مالي وما للقيان وشرب صافي القنان

ياساقي الراح مهلا لقد عقدت لساني

ارح بذكر حبيبي روحي وروح جناني

قد كنت اسمع قدماً ان المدام معاني

يديرها كأس لفظ مرصع في الجمان

حتى خطيت بهذا مشاهداً بالعيان

حققت ان الحميا من بعض سحر البيان

وكان للسحر عهدي في بابل ملكان

مالي ارى لهما في دمشق اعلى مكان

من ارض مصر الى جلق لقد اتياني

كنزان علما وفضلا بحران يلتقيان

لله درهما اذ بالدر قد اتحفاني

واهدياني ولم اسـ تحق ما اهدياني

شعراً على الزهر يسمو بالحسن واللمعان
من فكرة حين ترمي نارا بغير دخان
تكاد تعبدها الـ سامعون شكا وبذان
مدحاً غنيت به عن لبس الطراز اليماني
يحق لي ان اباهي به ملوك الزمان
لاني صرت عبداً لمن هما ملكاني
محمد في الوفا او ل واحمد ثاني
لا بل هما فرسان بالسبق يوم رهان
مذ اشرقا في دمشق مطالعاً غيبا ني
رميت بالشك حتى كاد للورى لن يراني
وهل ينير هلال اذ بدا القمران
يا مفردان ويا عالمان يا علمان
من لي بصيد الثريا او لمسها بالبنان
عذراً لحق اعترافي بالعجز ان تعذراني

وسمعت له تخميساً على بيتي عنترة في الغزل والحماسة وها بتخميسها

انا دون وصلك يا مليحة باذل روحي ولو ان الانام عواذل
هيهات يشغلني بغيرك شاغل ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
لك قامة مازلت اعشق لدنها ولاجلها اهوى الرماح وطعنها
يا ظبية ضحكت فابدت سنها فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وله تخميس آخر على بيتين ها هما بتخميسهما

عودوا المحب ولو بطيف خيالكم   يا قاطعين به حبال وصالكم

ناشدتكم بجميلكم وجمالكم   يا سادتي هل يخطرن ببالكم

من ليس يخطر غيركم في باله

كونوا كما شئتم فلي ظن حسن   بجنابكم ولو انني ذقت المحن

هذا ولئن احترمتموا جفني الوسن   حاشاكموا ان تغفلوا عن حال من

هو غافل في حبكم عن حاله

وحكى لنا هو عن نفسه ان غضب مرة من أبيه فانشده بيت شعر قديم فاشاع الناس عنه انه هجا اباه وليس الامر كما ذكر والبيت هو

لو كان مثلك في زمان محمد   ما جاء في القرآن بر الوالد

وله قصائد ظريفة جداً ومقاطيع في اعلى طبقات البديع لا سيما في المجون

و بلغني ان ديوانه قد جمع في الشام وارسل الى مصر مع ابي خليل القباني رئيس (الكميدا) (التشخيص) المروايات القديمة لاجل طبعه هناك

فلعل الخبر صحيح فتنتشر نسخة هذا الديوان الجديد المنظوم كنظم الدر النضيد

وله قصيدة رائية في هجو اهل حماه في غاية البلاغة والانسجام

وهو رجل خفيف النفس ليس عنده كبر ولا اعجاب بشعر نرجو الله ان يوفقنا واياه لما يحبه و يرضاه

ومن الذوات سعادة محمد سعيد باشا (امير الحاج الشامي) وهو من اكابر اهل الثروة والكلمة بدمشق ونواحيها

ومنهم سعادة هولو باشا والد صاحب العزة احمد عزت بك (مفتش العالية بولاية الشام سابقاً) وقد تقدم ذكره آنفاً وهو ايضاً من مشاهير المياسير ووردنا

عليهما الزيارة في بيوتهما العالية المنظمة على النسق الجديد

واما جناب مفتي افندي الديار الشامية وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الافخم حمزاوي زاده السيد محمود حمزة من بيت الشرف والمجد قديمًا وفيهم نقابة الاشراف من سالف الاعصار حتى ان الشاعرين البليغين ابن كيوان وابن منجك باشا لهما قصائد مديح في جدوده الاكرمين وسلفه الطاهرين

فقد زرناه في داره لداعي انحراف في مزاجه الشريف ولما دخلنا عنده احتفل بنا واكرم مقابلتنا وبالغ في التلطف معنا فجزاه الله عنا كل خير ودفع عنه كل سوء وبأس والبسه من حلل العافية اجمل لباس

وقد كان صنع اخي الشيخ احمد (لغزا) في اسم بلدتنا (القايات) واطّلع عليه جملة من اهل الادب ببيروت واجاب عنه الشيخ محمد الحريري الحموى الآنف الذكر نظماً واخذه حضرة صديقنا الشيخ حسين افندي موسى الحافظ المصري الذي انفرد في هذه البلاد بالصيت والصوت الحسن والاجادة في التجويد وذهب به الى دمشق محل اقامته فاطلع عليه جملة من ادبائها وعلمائها

ومنهم الاستاذ المفتي والشيخ اديب افندي العطار والشيخ عبد المجيد افندي الخاني صاحبنا الاسبق فاجاب كل منهم بجواب

فاما سيادة المفتي فاجاب نظماً وكذلك حضرة الشيخ عبد المجيد

واما حضرة الشيخ اديب افندي العطار فاجاب عنه نثرًا ولولا خوف الاطالة لذكرنا اللغز والاجوبة جميعها كما هي ولكن لابأس بذكر اللغز وجواب الاستاذ المفتي الآن فاما اللغز فهو

وما شيءٌ سباعي تراه	باوله لقد بدأ الهجاء
بلام قبلها الف تجده	تعرف لا يقارنه نداء

وتلقاه لدى الاعلام مما　　اظلته من الارض السماء
واربع احرف منه توالت　　غدت فعلا يقوم به اللقاء
وباقيه على الترتيب ياتي　　مع الياء الاشارة والنداء
وان فككته حرفاً فحرفاً　　تالف ما ضيا منه ابتداء
وثانيه من الافعال ماض　　يرى في قلبه مال وماء
وثالثه من الاعلام فرد　　على كل البلاد له احتواء
وان صحفته تلقاه فعلاً　　على الاسماء لاح له اعتلاء
ثلاثتها حروف باتفاق　　ورابعه واوله سواء
وخامسه ينوب مناب فعل　　وسادسه به وصل البناء
وسابعه لدى التصحيف فعل　　لقابله الاقامة والثواء
وجملته اذا صحفت فيها　　غدت جمعاً لغاية ما نشاء
اجب عما به ابدا ولوعي　　ولي منه ابتداء وانتهاء
وهذا لغز من اضحى غريباً　　ببلدتكم وليس له ذكاء

(واما الجواب فهو)

سلام من محب والثناء　　على شهم له تم الذكاء
اتانا منه لغز لا يضاهي　　على الدر النظيم له اعتلاء
باثم آب من قد رام عنا　　لاحرفه وليس بذا امتراء
على القايات دندن ان ترقى　　من التركيب ما فيه احتواء
وان تحذف ثلاثا اوليات　　بدت ايات حسن وازدهاء
وخامسه اذا ما يرقى يخلف　　لطود قد سما منه العلاء
جوابي باختصار مثل وقتي　　نهاري ضيق وكذا المساء

فسدم فرّا مفيد للبرايا ... وفي القايات تم لك المناه
وعش بالعز موصول الاماني ... ونل من كل خير ماتشاه

وممن جاءنا زائرًا من اهالي الشام حضرة السيد راغب افندي الخوجه ابن السيد رشيد الخوجه وهو اخو حضرة محمود افندي ومحمد علي افندي الخوجه المتقدم ذكرهما في اهل بيروت اقامة لا اصلا لان البلد الاصلي هو الشام وان كان لهما دار عظيمة تعد من السرايات والقصور المشيدة في حي (الباشورة) وكذلك لاخيهما السيد راغب المذكور دار كبيرة من اعظم دور دمشق المزخرفة

واجتمع علينا في الشام خلق كثير لا نحصي عددهم ولا نعرف اسماءهم جميعًا فمنهم السيد ياسين الرشاش والشيخ رضا الدقاق والشيخ عيسى الخالدي النقشبندي الصالحي من العلماء العاملين المشهورين بالورع والدين والشيخ اسعد افندي الصاحب نجل اخ الشيخ خالد النقشبندي المشهور في بلاد الشام وبغداد وبلاد الروم بالعلم والتحقيق والارشاد في الطريق وله مؤلفات تشهد بفضله فمنها رسالته المسماه (العقد الجوهري في الفرق بين الكسب الماتريدي والاشعري) وهي مكتوبة في الكتب عندنا وقد رثي بقصيدة مشروحة مطبوعة يقال لها (مرثية خالد) يوجد شرحها كثيرا بمصر والشيخ اسعد افندي الصاحب هذا شيخ تكية النقشبندية الآن بدمشق

ومنهم ابو خليل القباني صاحب الكميدا (التشخيص) بالشام ومصر

ومنهم ابو احمد الجراح المشهور بفن الجراحة في الشام وكان يسهر معنا في منزل الشيخ سعيد افندي الكيلاني

مطلب ذكر المساجد والمشاهد والمزارات الموجودة بدمشق

ولنشرع الآن في ذكر المساجد والمشاهد والمزارات التي رأيناها وزرناها في دمشق

على حسب الطاقة فنقول

ان اول محل زرناه ورأيناه فيها هو المسجد الاموي الذي هو من بناء بني امية وهو كالجامع الازهر في الاتساع ان لم يكن اكبر منه فيه مقصورة عظيمة بالجانب الشرقي منها مسجد سيدنا يحيى بن زكريا عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام وفيه رأسه الشريف كما ذكره ابن جبير في رحلته المسماة (تذكرة الاخبار عن اتفاق الاسفار) فقد طالعتها باكملها في بيروت سنة ١٣٠١ وقد وقعت لي نسختها مطبوعة في بلاد اوروبا وهي مشتملة على ذكر الشام والعراق والحجاز ومصر ونقلت منها بعض المزارات الشامية والمصرية في اوراق عندي فقال فيها

ان من مشاهد دمشق مشهد رأس سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام وهو مدفون بالجامع المكرم في البلاط القبلي قبالة الركن الايمن من المقصورة الصحابية رضي الله عنهم

ومثله في كتاب (الاشارات الى اماكن الزيارات) لابن الحوراني وهو مطبوع فى مطبعة المعارف بدمشق واهدانا نسخة منه حضرة العلامة الشيخ علاء الدين بن عابدين فطالعته باجمعه ولله الحمد

وفي الجانب الشرقي من الجامع الاموي مشهد رأس الامام الحسين ابن الامام علي ابن ابي طالب وعليه بناء عظيم عال منور الى الغاية وفيه المنارة الغربية التي كان الامام الغزالي يتعبد فيها

وفي امام الجانب الشرقي بركة ماء وفيها نوفرة عظيمة يخرج الماء منها بقوة زائدة فوق العادة ليلاً ونهاراً

وفي امام الباب الغربي دكاكين لباعة الكتب والمجلدين في الطريق الموصل

الى (باب البريد) المشهور الذي قيل فيه قديماً

ما بين جانبها وبين بريدها　　　قمر يغيب والف شمس تطلع

واما الميضة والمرافق فهي خارجة عن الجامع الاموي في الجانب الغربي منه وبينهما طريق مسلوك

ومن اراد ذكر المزارات التي حول المسجد الاموي مفصلاً فليرجع الى (كتاب الاشارات الى اماكن الزيارات) المتقدم ذكره .

ودخلنا مدرسة الملك الظاهر قريباً منه فوجدنا قبة ممتلئة بالكتب المجموعة من الاوقاف التي كانت مفرقة معرضة للضياع وقد جمع الباقي منها وجعل في هذه البقعة حتى صارت مكتبة عظيمة ينتفع بها اهل العلم وعليهامغير مخصوص تحت نظر جمعية المعارف ووجدنا بها في ذلك الوقت حضرة العالم الفهامة الشيخ طاهر افندي الجزائري جالساً بها مشتغلا بالنقل والجمع فصار يطلعنا على الكتب الغريبة القديمة

ثم خرج معنا لزيارة مشاهد الصحابة والعلماء والصالحين الموجودة في جهة (باب توما) و (باب شرقي) فزرنا اولا ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن اهل الاسلام خير الجزاء

وهو ايضاً قريب من الجامع الاموي من جهة الشمال وزرنا في ذلك الجانب من قبور الصحابة قبر خولة بنت الازور الصحابية وشرحبيل ابن حَسَنة كاتب الوحي بقرب باب توما وقبر ضرار بن الازور الاسدي شهد فتح دمشق ومات بها ودفن ظاهر دمشق خارج باب شرقي على جانب الطريق في (محلة الجزما) كما في كتاب الاشارات

وفي مقبرة (باب توما) الشيخ ارسلان الدمشقي المشهور بالولاية وعنده من قبور الصالحين خلق كثير

وزرنا في الجهة الشمالية مقبرة ابي الدحداح وفيها قبر ابي الدحداح الصحابي وقبر عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وغيرهما من الصحابة والصالحين

وزرنا في الجانب القبلي مقبرة (باب الصغير) وفيها كما قال صاحب الاشارات خلق كثير من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين والاولياء والصالحين لا يحصى عددهم

فممن زرناه بها من الصحابة الكرام (أوس بن أوس الثقفي) من اهل الصفة ومنهم سيدنا بلال الحبشي مولى الصديق ومؤذن الاسلام والدعاء في هذا الموضع مستجاب كما في الرحلة والاشارات

ومنهم ابو الدرداء (ومنهم) معاوية بن صخر بن ابي سفيان القرشي الاموي ومنهم معاوية الصغير وقبر السيدة سكينة بنت الحسين وقبر السيدة زينب بنت الامام علي بن ابي طالب وقبر السيدة حبيبة ام المؤمنين وقد نص عليهما ابن جبير الاندلسي في الرحلة

اما صاحب الاشارات الى اماكن الزيارات فذكر انه يقال ان ثلاثة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بمقبرة باب الصغير

وتوجهنا في يوم الجمعة قبل الظهر الى المحل المشهور (بالقدم) لاجل زيارة سيدنا موسى على ما قيل من انه مدفون بذلك المحل وهو في خارج من طريق الميدان فزرناه والحمد لله

قال صاحب كتاب الرحلة (وعلى قدر ميلين من البلد مما يلي القبلة على قارعة الطريق الآخذ الى بلاد الحجاز ومصر (مسجد الاقدام) كان بعض الصالحين يرى النبي فيه يقول (هنا قبر اخي موسى) والكثيب الاحمر بمقبرة من هذا الموضع بين عايله وعويله) كما ورد في الاثر (قال صاحب الاشارات

ومن المزارات الجليلة قبر موسى بن عمران كليم الله عليه السلام بدمشق وقال مكحول (بدمشق خمسمائة قبر من الانبياء وقبر موسى بدمشق) وقال عبد الله بن سلام (بالشام من قبور الانبياء الف قبر وسبعمائة قبر وقبر موسى عليه السلام بدمشق) قاله الربعي في مصنفه

والمشهور في دمشق ان قبر موسى عليه السلام بالكثيب الاحمر بقرب قرية يقال انها (مسجد القدم) وهو معروف مشهور

وللحافظ (الشمس ابن طولون) في ذلك جزء لطيف نحو كراسة جمع فيه اقوال العلماء سماه (تحفة الحبيب باخبار الكثيب) واعتمد فيه ان موسى الكليم بهذا الكثيب المذكور اه المقصود منه والله اعلم

وزرنا مقبرة الصوفية بالجانب الغربي من دمشق وفيها قبر الامام (ابن تيمية) وقبور اخرى · وغالب قبور هذه المقبرة مندرسة الآن

وزرنا قبر سيدنا (دحية الكلبي) في قرية (المزة) غربي دمشق على نحو ساعة منها ثم طلعنا الى الصالحية وجبل قاسيون وتفرغنا لزيارة المشاهد التي بها يوماً كاملاً فابتدأنا بزيارة الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي الطائي) صاحب المقامات والكرامات والمكاشفات الظاهرة والخوارق الباهرة سلطان اهل الحقيقة وشيخ مشايخ الطريقة له في التوحيد القدم الراسخة وفي المعارف الالهية الذروة الشامخة وكم له من مناقب شريفة وفضائل عالية منيفة فرضي الله عنه وعنا به ونفعنا ببركة علومه وقبره في داخل قبة عظيمة لها اطواق وشبابيك مطلة على البساتين والجناين يرى الجالس فيها تلك الاشجار المثمرة والغياض المزهرة ويشم نفحات ازهارها العطرية ويندهش من حسن مناظرها الفطرية فكانه في جنة عالية قطوفها دانية وعلى قبره الشريف مقصورة من نحاس اصفر وكواكب الفضة

المطلية بالذهب الاحمر ولم نر في بلاد الشام ضريحاً يشبه اضرحة آل البيت بمصر الا هذا الضريح الانور والمزار الازهر ومعه في هذه القبة قبر الشهم الهمام والبطل المقدام الامير عبد القادر الجزائري وهذه مزية اختصه الله بها لا يدركها غيره ولو بلغ السها

ومن عجيب الاتفاق ان والد الامير اسمه (محيي الدين) فكأنه دفن مع والده وقد تخيل هذا بعض الشعراء الذين صنعوا له المراثي والمدائح بعد موته رحمه الله تعالى . وأما مسجد الشيخ الاكبر فانه بجوار الضريح وهو من اجمل مساجد الصالحية مشرف على بساتينها وما وراءها من الاشجار والانهار في أرض الغوطة الى مدينة دمشق فسبحان من وهب لهذه البقعة تلك البهجة التي تتروح بها الارواح وترتاح لها المهجة ثم بعد ان خرجنا من زيارة هذا الضريح توجهنا الى زيارة القطب الاوحد والعلم المفرد قدوة أهل الطريق وشيخ المشايخ وطود العلوم الراسخ صاحب المنح القدسي والنفح الانسي الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي نور الله مضجعه وضريحه وروّح روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه - آمين - وهو مدفون في داره بالصالحية ولم تزل عمارة الشيخ بها موجودة الآن . وعلى ضريحه قيم من ذريته . يتولى القيام بخدمته . ويتلقى الزوار بالترحاب . ويفتح لهم ذلك الرحاب . العالي الجناب . الذي هو مجمع الاحباب . ومركز الاقطاب . ومحل الدعاء المستجاب . ومنزل السادة الانجاب . وبعد ان فرغنا من زيارة هذا الامام وأروينا بعض الظما والاوام من موارد النفحات في هذا المقام . والمورد العذب كثير الزحام . وان كان الشخص لا يمكنه ان يفي بواجب الشوق له والغرام . توجهنا لزيارة السادة الاكراد الايوبية في قبة مخصوصة بهم ورأينا قبورهم مسنمة مفتوحة من الجانب

الغربي وتحت هذا القبر المسنم قطن كثير مندوف · واخبرنا بعض من هناك ان رجل أحدهم ظاهرة من تحت القطن وانه لا يمكن تغطيتها اصلاً بالقطن ولو وضعوا ما وضعوا منه فوقها فأعدنا النظر وأمعناه فوجدنا الحال كما ذكر ورأينا الرجل اليسري يعني قدمها ظاهرة باجمعها موضوعة على حائط القبر الشرقي مستندة اليه · وكرامات الاولياء والصالحين لا تنكر · ولا تحصى ولا تحصر ولكن لا نقدر ان نقطع بان هذا الامر منها ولا يعلم الحقيقة الا الله تعالى

ثم بعد ذلك صعدنا في جبل (قاسيون) وزرنا ضريح نبي الله (ذي الكفل) صلى الله عليه وسلم في قبة مخصوصة به عليه السلام وزرنا قبر الامام (ابن مالك) النحوي في حوش تحت مشهد ذي الكفل ومعه جملة من قبور العلماء الكبار ومغارة الدم في أصل الجبل فوق مزار نبي الله ذى الكفل بقليل · قال صاحب الرحلة الاندلسي وفى جبل قاسيون مغارة الدم لقتل (قابيل) اخاه (هابيل) ابن آدم فوقها على نصف الجبل وبها صلى ابراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب عليهم السلام وفي أعلى الجبل كهف منسوب لآدم الا ان العامة يقولون في هذا الزمان انه كهف أصحاب الكهف المذكورين فى القرآن المجيد · وقد علمت ماذكره ابن جبير ووافقه على ذلك صاحب الاشارات فى الزيارات واطنب في مزايا هذين الغارين وفضائلهما مما ينبغي الوقوف عليه · وقال فى الرحلة المذكورة وبين باب الفراديس الى جبل قاسيون مدفن سبعين الف نبي وقيل سبعون الف شهيد · والانبياء المدفونون به سبعمائة نبي والله اعلم

ثم بعد ان نزلنا من هذا الجبل صعدنا فى قبة عالية بها قبة الاستاذ الولي الكبير · والعالم العامل الشهير · الشيخ خالد النقشبندى روّح الله روحه · ونور ضريحه · فزرناه ومكثنا بضريحه حتى صلينا العصر وكنا نرى الصالحية وما فيها

من الجنائن والبساتين ودمشق وما حولها من البساتين ايضا والمزارع وضواحيها ونواحيها كأنها تحت ارجلنا فلله ما ألطف هذا الموضع · وما اظرف ذلك الموقع ·

علو في الحياة وفي الممات وطود شامخ في المكرمات

وبالجملة فمنظر الصالحية من دمشق من احسن مناظر الدنيا وابهج ما يكون منها في الدرجة العليا ووافق طلوعنا للصالحية يوم الزيارة السنوية لمولد الخليل في قرية (برزة) الكائنة بسفح جبل قاسيون فصارت الزوار ترد قافلة من برزة زمرة بعد زمرة ومعهم النساء والاطفال ومشايخ الطرق والسيارات الا ان موالد الشام على العموم ومواسمها في كل امر مرسوم لاتساوي المواسم المصرية في شيء من الامور الدينية والدنيوية ولم نخلص من الزيارات في الصالحية الا وقت الغروب وقد استغرقنا جميع النهار في هذا الامر المرغوب وزرنا في المدينة ضريح السلطان العادل والملك الكامل الفاضل نور الدين الشهيد وفي الاشارات قال بن خلكان في ترجمة نور الدين الشهيد (السلطان نور الدين محمود بن سعيد زنكي بن سيف الدين الملك العادل ابو القاسم اول من بنى دار الحديث على وجه الارض ووقف كتباً كثيرة وكان مسارعاً في الخير وبنى المدارس والمساجد ونشر العلم وقد اوقف اوقافاً وكان يحب اهل الدين وكان حريصاً على الخير وبناء المدارس والمساجد وكان ثابت القدم في الحرب حسن الرمي ولا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يتصدق الا من ملك يخصه قد اشتراه او من سهمه من الغنيمة ولا يأخذ من الغنائم الا ما افتاه العلماء بحله ولم يتعد الى غيره ولم يلبس قط ما حرمه الله تعالى لا من ذهب ولا من حرير او فضة ومنع شرب الخمر وبيعها في جميع البلاد وشاع ذكره بالخير والعدل شرقاً وغرباً وفي سائر الآفاق وبنى اسوار الشام كلها وقلاعها حلب وحمص وحماة ودمشق وغيرها وبنى المارستانات

ومن اعظمها الذي بدمشق ووقفه على كافة المسلمين من غني وفقير ووقف (داريا) الكبرى على فقراء المسلمين وتوفي في حادي عشر شوال سنة تسعة وستين وخمسمائة ودفن بالقلعة بدمشق ثم نقل بعد ذلك الى تربة داخل المدرسة التي بناها للحنفية جوار الخواميين بالجانب الغربي والدعاء عند قبره مستجاب وهذا مستفيض عند اهل العلم ذكره الحافظ محمد بن الحسن صاحب مجمع (الاحباب) والكمال الدميري في (حياة الحيوان) وصاحب (طبقات الحنفية) والبصروي في فضائله وكان شيخنا ابو العباس الطيبي يقول ان ذلك مجرب وجربناه مرارًا

وبقي علينا ان نذكر حضرة الشيخ عمر السبيعي تاجر مشهور من اهل الصلاح والتقوى معتقد فيما بين اهل دمشق بحسب معاملته وسلوكه على سنن الكتاب والسنة جاء الينا زائرًا داعيًا بواسطة اشعار حضرة السيد عبد الرحمن افندي القباني البيروتي له بقدومنا الى الشام فالح علينا في الذهاب الى منزله فاجبنا دعوته وحضرنا وليمته وبالغ ما امكن في المؤانسة والاحتفال والترحيب والاستقبال وكذلك الشيخ محمد خطيب دُوْمَهْ فانه ايضاً دعانا الى منزله وابدى غاية جميله وتجمله وتولى اكرامنا بنفسه وباسطنا بجميل انسه وهو رجل من اهل العلم المجاورين بدمشق لتحصيل العلوم وقدره فيما بين اهل دومه والشام مشهور معلوم وله اشتغال بعلم الفلك كثير وان كان الماهرون فيه يسير والله ولي التيسير وهو على كل شيء قدير

وحيث انتهينا في ذكر الاكابر من اهل دمشق احياء وامواتاً وان كنا لا نستطيع حصرهم اثباتاً ولا نامن انفسنا في عدهم سهوًا او فواتاً

فالنذكر نبذة من صفات تلك المدينة وما حوته من النضارة والزينة والمباني العالية المتينة واحوال اهلها المحمودة وعوائدهم المعهودة فنقول

ان مدينة دمشق هذه طيبة التربة عذبة الماء كثيرة الانهار ينصب فيها الماء من سبعة ابحر منها (نهر بردي) و(نهر يزيد) وغيرهما فترى الماء في دورها ليلا ونهارا متحدرا في القساطل الى البرك ذوات النوافر تسمع لخريره دويا هائلا وصوتا عاليا لا يستطيع الغريب الذي لم يكن متعودا بمثله ان ينام بتلك الدور مالم يسكر الابواب والمنافذ وهيهات ان يجدي ذلك فيه نفعا او يبدي دفعا وكل هذه المياه الموجودة في ضمن البيوت مسلطة على المرافق وبيوت الاخلية حتى لا يشم الداخل في بيوت الماء شيئا من روائح القاذورات ولا تبقي المياه فيها شيئا من الفضلات

واما عماراتها فانها بالطين والاخشاب لا بالاحجار كباقي بلاد الشام الا قليلا منها كالمساجد والمدارس القديمة ومباني السلاطين والملوك والامراء القدماء وبعض بيوت جديدة في هذا العصر انشأت على الطرز الجديد المعتاد الآن في مثل بيروت وغيرها من البلاد التي تقدمت في العمارة في هذا الزمان الا انها مع كونها في الظاهر مبنية بالطين والخشب مزينة الباطن بالرخام الملون والنقوش الذهبية فلقد رأينا دارا اصلها من عمارة الشيخ المرادي «مفتي الشام قديما» وانتقلت الى ملك اولاد القوتلي في هذا العهد القريب وبها من حسن الصنعة وكمال البهجة ما يبهر العقول ويدهش الخواطر وتحار فيه الاعين والنواظر فصحن هذه الدار مفروش بالرخام وفي وسطه البركة الكبيرة ممتلئة بمياه ذات انسجام ومن حولها الاشجار الناضرة والازهار الزاهية الزاهرة تتساقط على الارض حمرا وصفرا كانها الدنانير الحمر او الدراري او الدر

وفيها قاعة من ابدع القيعان وارفع البنيان ويمكن ان يقال في هذا المكان «ليس في الامكان ابدع مما كان» دخلنا اليها فوجدنا حوائطها مفصلة قطعة

قطعة فلوح من رخام ازرق ولوح من بلور مزوق من نوع المرآة جميل مرآه وفي كل جانب من جوانبها الواح من المرمر مكتوبة بالذهب الاحمر عليها شعر يتضمن تاريخ البناء وجميل المدح والثناء وبعد ان تناولنا القهوة والشربات ونحن بغاية الانس والمسرات دخلوا بنا الى اودة اخرى هي اجدر بالمدح واحرى اطلعونا على عجيبة من عجائب الدهر وحسنة من حسنات هذا العصر وهي كتاب من حضرة سيد الاحباب ارسله لبعض ملوك الاعراب بخط احد الاصحاب وفي آخره ختمه عليه الصلاة والسلام « محمد رسول الله » الا انه لتقادم العصور وتكرر الدهور لا تكاد تبين خطوط تلك السطور الا بامعان النظر وتحديق البصر ولذلك كتبوا صورة مافيه بالخط العربي المبين المعهود في هذا العهد حتى يكون مساعداً للقارئ على استبانة حروفه وخطه القديم الكوفي وبالجملة فهو اثر من ابدع الآثار التي تورث المجد والفخار وبعد ان ادركت النفس في هذه الدار حظوظها الحسية والمعنوية وشهواتها الدينية والدنيوية خرجنا من عندهم شاكرين والحمد لله رب العالمين

ومن جملة مناظر دمشق الشائقة ومنازهها البديعة الرائقة ذات النضارة والبهجة مناظر الاشجار والانهار فى (المرجة) فما انضر هذه البقعة واحسنها في عين الرائي

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

يخرج اليها اهل البلد بعد العصر قبيل الغروب

ومنهم من يجلس على الجسر الممتد على نهر « بردي »

ومنهم من يجلس بجوار السليمانية

ومنهم من يجلس في تلك الغرف العالية فيرى الانهار الجارية ومياه تلك الجداول تتطارد في السباق وتتوارد في الاتساق على السياق كأنما هي فى الغدران

خيول شهباء في الميدان وهاتيك الرياض النضرة والغياض الخضرة فيما بينها كبساط سندسي بسط على هذا البسيط الثني ورصع بجواهر الازهار وحلي بحلية البها والبهار (ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار يفعل الله ما يشاء ويختار وكل شيء عنده بمقدار)

واما اخلاق اهلها وطباعهم وعوائدهم واوضاعهم فهي من اجمل ما يكون في اخلاق العالم وطباعهم من سهلة العريكة ولين الجانب مع الاقارب والاجانب يلاقون الشخص بالطلاقة والبشر والهشاشة والبشاشة الا انهم يبالغون في التحية فوق اللازم ويزيدون في كثرة التمني والانحناء على عادة الاتراك عند مقابلة العظيم منهم وربما دخل الزائر عليهم واخذ مجلسه ومكث زمناً لا يمسون عليه ولايشيرون بيد التمني اليه حتى يكون هو الذي يبدأهم بذلك اعظاماً له واكراماً واظهارا لعلوه عليهم رتبة ومقاماً فيطول الانتظار والتربص ويود الحاضرون التملص من هذا الارتباك والتخلص وكذا يفعلون عند دخول الدور او المجالس فيكثرون من التمنع والتصنع والتقديم لذى المقام الارفع بما تضيق منه الصدور والانفس قبل ان تمتلأ منهم صدور المجلس ويكثرون من لفظة داعيكم او عبدكم فيلتزم المخاطب فى كل مرة ان يقول (استغفر الله) فكلما اكثر المتكلم من الذنوب اضطر المخاطب للاستغفار من الحوب فاعجب لهذا الامر المقلوب والقلب المغلوب ويقولون للعظيم (جئنا لتقبيل اذيالكم ولثم انامكم) وهكذا من الالفاظ الفخيمة والمقالات العظيمة وكنا لعدم التعود على مثل هذه الترسيمات نسهى عن الاتيان لهم بتلك الرسومات وهاتيك المقالات والتحيات كانه غلب علينا الذهول والسبات!

ومن محاسنهم التودد الى الغرباء وزيارة المسافرين وملاطفتهم قولا وفعلا

فيصنعون لهم الولائم و يشددون عليهم في العزائم ولكنهم يتحالون على امتحان اهل العلم واختبارهم بكل حيلة خفية او جالية ولو ظهر ما اضمروه من الطوية فيبدئونه بالكلام والمحاورة والسؤال والمذاكرة حتى يخبروا خبره و يقدروه قدره

وهذه الخصلة فيهم تشبه ما يقع بين مجاوري الجامع الاحمدي بطنطا ومجاوري الجامع الازهر بمصر فان الاول متى وجدوا ازهريا بدؤه بالسؤال وطالبوه بالجواب لا على وجه التخلص بل على وجه الاقتضاب ولا يخفى مقدار مابين المقامين عند اهل البلاغة والبراعة ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم مقالات المسؤل عفوا لكان خيرا لهم ولسان المرء ترجمان عقله وعنوان نبله وفضله والفطن يستدل بالقليل من القيل على ما خفي من هذا القبيل بدون تشديد ولا تثقيل

واما احوال النساء من اهل الاسلام فانهنّ في غاية السكينة والاحتشام فيبرزن غير متبرجات ولو كن متنزهات ومتفرجات وعلى وجوههن المناديل وعلى رؤسهن الازار الطويل

واما نساء النصارى في الشام فهن قليلات جداً لا يعرفن فيها ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى كما في مثل بيروت فانهن كنساء الافرنج وان كن في الاصل فلاحات من جبل لبنان الا انهن تقلدن الاوروباويات الآن وزدن من هذا الشأن بكل ما في الامكان فالحمد لله على صيانة هذه المدينة الاسلامية عن البروز والتكشفات النصرانية ومع كل ذلك فاننا لا ندعي عصمة هؤلاء النساء عن جميع انواع الفحشاء ولا عن وصمة الفجور والزناء الا ان التكشف من اعظم الدواعي واكبر البواعث والمقدمات المثيرة المهيجة المحركة لسواكن الشهوات وقد ورد في صحيح الخبر (زناء العين النظر) وانما اكثرت في هذا البحث من القول

دفعاً لما اكثره القوم في تفويق سهام اللوم على هذا الستر المطلوب عقلا ونقلا في كتب الشريعة طردا للباب وسدا للذريعة وبعداً عن حبائل الحيل والخديعة وتجافياً عن شرك الفتنة والافتتان ففي الحديث الشريف (النساء حبائل الشيطان)

والغالب على اهل دمشق الميل الى الملاذ والشهوات من مأكولات ومشروبات وملابس فاخرة والوان زاهرة كالاحمر القاني والاصفر الفاقع والابيض الناصع ويتغالون في شم الهواء والخروج الى البساتين وادراك كل اللذيذة لذلك ويسمونه «الثيران»

واكثر اهل المدن الشامية على هذه الحالة الا ان اهل دمشق اشدهم اعتناء بذلك

ثم بعد ان فرغنا من الزيارات وقد طالت علينا الغيبة عزمنا على الرجوع للمنزل الاول والاوبة وقطعنا تذاكر النزول في الكروسة المسماة « الدالي جنص » من كبانيتها قريباً من المرجة بتنا تلك الليلة في منزل الوجيه السيد سعيد افندي الكيلاني وقمنا قبيل الفجر وتوجهنا للكبانية المذكورة وبعد ان صلينا صلاة الصبح فيها ركبنا العربة وسرنا على بركة الله تعالى مسرورين محفوظين برؤية تلك المزارع والضياع وكلما مضت ساعة نقف عند خان من الخانات الموجودة في طريق الكروسة كلها الى بيروت ويغيرون تلك الخيول الستة بستة اخرى وهكذا نحو اثنى عشر مرة

ومن اراد النزول من الكروسة لاجل قضاء حاجة الانسان او شراء شيء من الخان او شرب قهوة او غير ذلك ينزل ويرجع ثانياً في محله الاول

فمررنا في طريقنا هذه على « الهامه » وغيرها من المحلات في ضواحي دمشق وما زلنا نسير في وهاد وانجاد الى ان وصلنا « سهلة البقاع » وهي ارض

مبسوطة كاراضي مصر زراعية و بقينا سائرين فيها الى ان وصلنا الى « اشتوره » بلدة في منتصف الطريق بين بيروت والشام وبها نهر ماء عذب صاف شديد البرودة جدا يجري بجانب الطريق والخان فنزلنا وتغذينا وشربنا وتوضأنا منه واسترحنا هناك مدة من الزمان اكثر من باقي الخانات لنضارة هذا الموقع وظرافة هذا الموضع و بعد ذلك ركبنا وسرنا من ذلك المحل في صعود الى جبل لبنان الذي هو من اعلى واكبر جبال الشام وغالب اهله من النصارى والدروز وله حكومة مستقلة منفصلة عن حكومة ولاية سورية وله متصرف مخصوص من طرف الدولة نصرانى توليه دولتنا العلية بمصادقة الدول الاوروباوية لاسباب دعت الى ذلك في السنة المشهورة بين اهل الشام « بسنة فوق العادة » لما حصل من القتال بين الدروز والنصارى في تلك السنة

وجاءت المراكب الفرنساوية بعساكرها وجيوشها ونزلت الى بيروت وحضر من طرف الدولة حضرة فؤاد باشا واجرى مايلزم من التحقيقات والمجازاة والقصاص ممن ظهر منه العدوان بالقتل او السلب او التهييج فمنهم من شنق ومنهم من قتل بالنشان (ومنهم) من نفي الى خارج البلاد بمدة · وكان من اشدهم نفياً من ارسلوا الى قبرص بمحل فيها يقال له « المغوصه » وما زال هذا المرخص العثماني الذي هو من افراد اذكياء العالم واعرفهم بالسياسة والمهارة يكاشف اهل البلاد من النصارى والمسلمين حتى عرف خفيّ هذه المسألة وجليها ولم يزل يعمل طرق الحيل حتى انجلت عن البلاد هذه الداهية الدهماء وانقشعت عنها غيوم الغموم والبلاء · وبارحتها الجيوش الفرنساوية راجعة الى بلادها · بعد ان وضعت فيها اساس فسادها · وكادت تذهب من يد الدولة هذه الارض · ولكن نقول ان بعض الشر اهون من بعض · فنسأله تعالى ان

يثبت فؤاد مختار الدولة الآن بما ثبت به فؤاد ذلك الزمان · ثم لم نزل نسير في هذا الجبل صعوداً وهبوطاً ونمر على ضياعه في رؤس الجبال و بطون الاودية الى ان وصلنا الى محل يقال له (رأس البيدر) مرتفع جداً وكان اليوم صائفاً فوجدنا فيه مياه الامطار غزيرة والغيوم متكاثفة وما خلصنا من لبنان وعقباته حتى تصرم النهار · واخذت الشمس في الاصفرار · وتراءي لنا البحر من مسافة بعيدة وكذلك مباني بيروت وضواحيها ونواحيها وما وصلنا الحازمية الا قريباً من الساعة الحادية عشر وهي محل من ضواحي المدينة على نحو ميل منها جرت عادة اهل بيروت بتلقي القادمين من الشام فيها · ولاهل الشام جميعاً حرص زائد على استقبال العزيز القادم ولو من اهله واقاربه فان كان من اهل دمشق ارسل تلغرافاً لمعارفه اواهله في بيروت يفيدهم بقدومه في يوم كذا فيخرجون لملاقاته بالكراريس الى الحازمية و ينتظرون مجيء « الدالى جنص » في اواخر النهار فمتى حضر نقلوه من مركبه الى احدى كراريسهم المستأجرة او الملك على حسب مقدرة كل واحد وان كان من اهل بيروت او خلافهما متوجها الى دمشق ارسل ايضاً تلغرافاً لاهله و معارفه يفيدهم بحضوره فيخرجون لاستقباله من الهامة بالعربات او الخيول ومتى حضر انتقل اليها ودخل البلد مع اصحابه او اقاربه بالاحتفال والاجلال وهذه العادة من الامور المؤكدة عندهم حتى انهم يرون ان من لم يفعل معه ذلك يكون محقراً في نفسه وبين اقرانه و يلومون على القادم من ذوي اليسار اذا لم يرسل افادة تلغرافية قبل قدومه كما انهم يعتنون جداً بزيارة القادم ومتى زاروه ولم يرد الزيارة على كل شخص منهم اشتد عليه الملام · واكثروا فيه الكلام · وبالاكثر اذا كان الزائر هو القادم المسافر ولم يرد عليه المزور المقيم و بالحقيقة فالحق معهم وهذه المكرمة العظيمة · والمنقبة الكريمة · مما يغفل عنها

اهل مصر ولا يعطونها ادنى التفات واهتمام · ولقد سمعت كثيراً من اهل الآداب والذياقات واللطافة في بلاد الشام يعيبون على المصريين في ترك هذا الواجب ويقولون ان العظيم اذا توجه الى مصر من الاقطار الحجازية · او الشامية او المغربية · او غيرها يسمع بالرجل من ارباب المعارف العلمية او السياسيه · فيحب رؤيته وزيارته من قبيل (العلم بالشيء ولا الجهل به) ولاجل ان يذكر في بلاده اذا رجع اليها احسن ما راٰه في سفره فاذا تكلف المشقة في الذهاب اليه والاجتماع به وربما صرف في سبيل ذلك بعض المال · وتحمل ذل التفتيش على داره والسؤال · لا يحصل منه تأدية اللازم في الالتفات اليه · ولا رد الزيارة عليه · وقل ان يتجملوا الا مع من بينهم وبينه معرفة سابقة مع ان الغريب · هو اولى بالتأهيل و بالترحيب · والمقابلة بصدر رحيب · ولسان رطيب · (واسأل مجرب ولا تسأل طبيب) والسلام ثم لما دخلنا المدينة توجهنا الى دارنا التي سبق ذكرها وهي حارة الشيخ صالح طياره فاقمنا بها الى ان قاربت مدة الاستيجار على الفراغ وكل هذا في سنة الف وثلاثمائة واثنين فاستأجرنا داراً اخرى في زقاق البلاط يقال لها دار العرقجي جديدة البناء · واسعة الفناء · جيدة المناخ والهواء · وانتقلنا اليها في شهر شعبان من تلك السنة ولم نزل مقيمين بها الي يوم كتابة هذا وهو يوم الثامن من شهر جمادي الاولى سنة الف وثلاثمائة وثلاثة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية وهي دار مشتملة على منزول كبير وثلاثة اود الوسطى منها و يقال لها (الليوان) في امامها الدار مباطة بالرخام وفي غاية الانتظام على اكمل ما يرام ومن داخل احدى الثلاث خزنة صغيرة لطيفة وكذا من داخل الباب محل في العالي يقال له في اصطلاح اهل مصر (سندرة) وتشتمل ايضاً على حمام صغير ومطبخ ومحل ادب (بيت ماء)

وبالجملة فهي حارة نشطة نضرة امامها الماء والخضرة وتحتها طابق (دورسفلي) لم نستعمله الا في وضع بعض الامور الخسيسة من خشب الوقود والفحم وما اشبه ذلك وقد اكملنا فيها فصلي الربيع والصيف · واما فصل الشتاء فقد مضي معظمه وكان شتاء باردًا ذا امطار غزيرة يصح ان يقال فيه

فصل الشتاء اتانا   باليبس بعد الرطوبة
فصل الربيع اغثنا   فقد رجمنا بطوبة

والحمد لله قد مضى من مدة النفي ثلاث سنين ونصف والباقي نصف سنة نسأل الله تعالى حسن الختام بتمام العام ودوام الفضل والانعام بجاه خير الانام

ولنرجع للتكلم على بعض من تعرفنا بهم من اهل الشام وغيرهم لاننا لم نستوف جميعهم فيما سبق لعدم حضوره في الذهن فنقول

ان من جملة من اجتمع بنا في بيروت حضرة السيد الكامل والشريف الفاضل العالم الازهري الامير عبد الرحمن باشا الزاهر من سادات اليمن الحضارم اهل المجد والمكارم من ذؤابة عبد المطلب بن هاشم كان امير بلاد الاشي وحارب دولة (هولندا) مدة من الزمان ثم تغلبوا على تلك البلاد واستولوا عليها بعد قتال شديد وامد مديد ولكن الله يفعل مايريد لا ما ترجو العبيد وطلبوا منه كما اخبرنا بنفسه ان يبقى حاكمًا على البلاد من طرفهم فابي الا الهجرة الى حرم الله ورسوله فخصصوا له معاشًا كافيًا ومرتبا وافيًا واقام بمكة المكرمة بغاية التعظيم والتكرمة ثم حضر الى الشام في العام الماضي لتبديل الهواء واقام اياما في بيروت فاجتمعنا به مرارًا كثيرة في اوقات وفيرة وحكى لنا كل احواله في اقامته وارتحاله وغرائب افعاله ونوادر اقواله وترجمة عمره ومبتدأ أمره وانه كان مجاورًا بالازهر وحضر على الاستاذ الانبابي واقام برواق اليمانية مدة طويلة وحصل بعض الكتب الجليلة ثم سافر الى

بلاده ومنها الى بلاد الآشي ووقع له فيها ما وقع من الامور المستغربة والاحوال المعجبة كما افادنا ايضاً انه ابن اخت السيد فضل باشا المقيم الآن بالاستانة تحت رعاية مولانا اميرالمؤمنين السلطان الاعظم عبد الحميد خان وبعد هذا كله رجع الى محل استقراره بالحجاز . رزقنا الله واياه حسن المفاز . وانجز مقاصدنا ومقاصده اتم انجاز . امين

ولقد كان الاجدر بمثل هذا الهمام ان يثبت في كراسة ما رآه من حوادث الايام ليكون اسمه حاضراً بين الناس في هذه الدار وان غاب عنهم بحكم الفناء الى دار الابرار

وقلت في مزية كتب التاريخ المشتملة على تراجم اعيان كل زمان من اصحاب الحيثيات في سائر جهات العالم باحسن الاوصاف والمكارم

اذا كان امر المرء ان طال عهده بحكم الفنا في الناس ينسى وينسخ
فصيره بالتاريخ حياً مخلداً ليبقى على طول المدى من يؤرخ

ومنهم العالم التقي والصالح النقي الشيخ سعيد الغبرا من علماء دمشق حضر الى بيروت لزيارة ولده الشيخ عطا افندي احد التجار الدمشقيين المقيمين بها للتجارة فصار يتردد علينا لهذه النسبة الصورية الى العلم ولا يخفا كم ان الجنسية علة الضم واوصانا على حفيده الشيخ رضا افندي وهو شاب صالح وغلام ناجح قرأ عندنا بعض الكتب الفقهية والنحوية واشتغل بالتحصيل بهمة قوية حتي ظهرت عليه والحمدلله النجابة وادرك اقرانه من الطلبة واترابه

ولقد كنا في مدة هذه الاقامة ببيروت مشتغلين بمطالعة بعض الكتب السهلة ففي اول سنة شرعنا في مطالعة (شرح ابن عقيل) على متن الالفية وكان في صحبتنا احمد افندي رشوان ومصطفى بك النجدي الحكيم المصري وهو برتبة (ميرالاي)

سابقاً قبل التجريد والنفي وابراهيم افندي جاد ابن عم الشيخ عبده وبعض اخر ولكن لم تساعد الاقدار باكماله فقرأنا منه جملة وافرة وقرأنا في شهر رمضان (تفسير الجلالين) بمجرد الشرح تبركا واشتغالاً بما يفوت اوقات الصوم في آخر اليوم وبعد ان فرغ وكان معنا في مطالعته حضرات البكوات المصريين مصطفى بك عبد الرحيم وفوده بك ومحمد بك الزمر وغيرهم ممن يحضر من بيروت او غيرها شرعنا معهم في مطالعة (شرح ابن قاسم على ابي شجاع) في فقه الشافعي رضي الله عنه بحاشية الاستاذ الباجوري وبعد ان اكملناه معهم قرأنا لهم ايضاً (متن الجوهرة) بحاشية الباجوري وكان معنا فيها مصطفى افندي المرعشلي نزيل بيروت وهو من ابناء المدارس واخو حضرة محمد افندي المرعشلي باشكاتب المحكمة الشرعية بها سابقاً. وبعد ان فرغنا منها شرعنا في مطالعة (شرح الكفراوي على متن الآجرومية) في النحو مع هؤلاء الضباط المصريين ومعهم ايضاً ولدنا عبد العظيم . وبعده في (شرح الباكورة) عليها ايضاً وقد قارب الانتهاء . وفي عزمنا بعد ذلك مطالعة «الفكرية» في النحو لهم ايضاً . وكنا في السنة الثانية من مقدمنا الى بيروت شرعنا فى مطالعة «شرح مختصر السعد على التلخيص» باقتراح بعض الطلبة البيروتية . ولكن لم تساعد الاقدار على اكماله فبلغنا فيه من فن البيان «مبحث الحقيقة» ولعلنا وصلنا في مطالعته الى الحقيقه . و ياليته كمل على هذه الطريقة . ولكن الكسل . اوقف هذا العمل . وكان معنا فيه حضرة الشيخ احمد افندي بدران نجل الشيخ حسين بدران المتقدم ذكره فى هذه المجموعة في ضمن العلماء ومشايخ الطرق وحضرة الشيخ يوسف علايا احد الخوجات في المدرسة السلطانية الآن وحضرة احمد افندي رشوان المصري . و بالجملة فنحن بحمد الله في غالب الاوقات مشغولون بالمطالعات في جماعة او بالانفراد في محل

السكني لا خارجاً عنه في نحو مسجد او زاوية او غيرها فنسأل الله التوفيق لاقوم طريق

ولنرجع لما كنا بصدده من ذكر من تعرفنا به في هذه الغربة من الافاضل فنقول : ان منهم حضرة الاستاذ المعمر الكبير الشيخ احمد المنير الدمشقي الشافعي الفقيه حضر الى بيروت في هذا العام بقصد تغيير الهواء لانحراف صحته ومزاجه ومداوات مرضه وعلاجه ولكن الظاهر عليه ان مرضه انحطاط في القوة بواسطة كبر السن وتقدمه في العمر وليس من الاعراض التي تطرأ وتزول ولقد زرناه فوجدناه رجلا على نهج السلف الصالح في التقوى والاشتغال بالطاعة لطيف الذات . كريم الاخلاق والصفات . اقبل علينا بالملاطفة والمحادثة مع زيادة ألمه وصار يحكي لنا عن ايام مجاورته في الازهر وحضوره على علمائه في زمن الشيخ القويسني وعن المشايخ الذين اجتمع بهم في مكة المشرفة والمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ومعه ولده الشيخ عارف افندي (ومنهم) السيد احمد افندي العجلاني نقيب الاشراف بدمشق قريب بن منجك باشا الشاعر المشهور صاحب الديوان المطبوع (ومنهم) الشيخ رشيد افندي المعصراني الدمشقي من اهل العلم والادب حضر في هذا العام الى سورية بعد ما اقام بالاستانة مدة من الزمان وقد تقلد وظيفة جليلة من تعلقات شعبة المعارف من مضمونها التنبيه والتحريض للاهالي على التعليم وادخال اولادهم في سلك تلامذة المدارس الوطنية لاجل ان يترقوا في العلوم والمعارف وهو رجل من عادته كثرة التكلم في الشعر والقصائد والابيات سواء كان من كلامه او كلام غيره ويرى ان الفضيلة كل الفضيلة في ذلك . والله اعلم بما هنالك . وفي هذا القدر كفاية . والله يتولى الهداية . وممن اجتمعنا به ثانية في هذا العام حضرة الاستاذ الماجد .

نسل الاكابر والاماجد . الشيخ خالد افندي الاتاسي الحمصي رجع من الحج على طريق الشام وجاء الى بيروت واقام بها بعض ايام . فسلمنا عليه وهنأناه بالسلامة واخبرنا ببعض ما رأى في رحلته بمصر والحجاز وافادنا انه زار السيد الشريف العلوي سيدي احمد البدوي ووافق دخوله طندتا وقت المولد الكبير وانه شاهد من الازدحام على ضريحه ما لم ير مثله ولا في الحج وقد نظم هذه الرحلة في ارجوزة بديعة منسجمة في غاية الطلاوة والحلاوة واسمعنا كثيراً من قصائده البديعة النظام الكاملة في السلاسة والانسجام

وجاء معه في هذه المرة اخوه الكامل الشيخ محمود الاتاسي من اهل العلم الاذكياء الافاضل النجباء وممن اجتمع بنا وان كان اجتماعاً غير متعارف الامير غلام محمد سردار اكرم من بلاد الافغانستان احد اقرباء الامير يعقوب خان هاجر من بلاده وترك الملك وكان كما قيل (اميراً على قند نهار) والتجأ الى الدولة العلية فاقام بالاستانة مدة ثم رخص له في التوجه الى الشام والاقامة بها ورتبت له الدولة نحو الالفي قرش معاشاً ومعه ابناه وبعض الخدم وهو رجل ظاهر عليه الصلاح والتقوى اقام ببيروت بضعة ايام بعد ان خرج من البحر ثم سافر بامر الوالي الى دمشق لاجل الاقامة بها ولما اجتمع بنا في منتزه الحميدية سألنا عن البلاد واسباب الخروج منها فافدناه بالحقيقة فتأسف غاية الاسف واخبرنا هو ايضاً عن نفسه انه خرج من بلاده بقصد الهجرة لتداخل النصارى في تلك الجهة ففر الى الله تعالى بدينه وولده وترك الاقامة بين اهله في بلده

وفي الحقيقة فبلاد الشام احسن البلاد الاسلامية الآن وان كانت مصر اكثر قرآناً وعلماً منها الا ان الشام خليٌّ من التظاهر بالمنكرات كما في مصر فان الفواحش مستورة فيها جداً فلا ترى فيها محلات مخصوصة بالمومسات (الزواني)

كما في بلاد مصر ولاترى تظاهراً بشرب الحشيش والبسط وما اشبه ذلك وقهاوي الشام كلها سواء بيروت وغيرها لا ترى فيها غير القهوة والتنباك فقط والجالسون فيها بغاية السكينة ولذلك لايتحاشى عن الجلوس فيها امير ولا حقير ولا عالم ولا غيره لانها لا تشتمل على شئ يخل بالمروءة كتعاطي المكيفات والمشروبات والتكلم بالفحش والمجون كما يفعله اهل العته والجنون وهذه الامور من مزايا البلاد الشامية فياليت شعرى لو تأمر حكام مصر بعدم التظاهر بالفواحش فيها وليس في ذلك عليهم ضرر دنيوي اصلاً ولاهناك ملجأ يدعوهم ويضطرهم الى ترك شعائر الدين وشرائع المسلمين ويالله العجب انك اذا سألت احد الحكام بمصر عن مثل ذلك يقول (ان هذا الزمان زمان حرية . ودول اوروبا لاترضى بترك الحرية) وكيف نتعلل في ترك شعائر الدين والانسانية والمروءة والناموس بقوم هم بعيدون عنا ولا دخل لهم في داخلية بلادنا وشعائر ديننا ولا نظن اننا اذا منعنا نساءنا ورجالنا عن الفحشاء والتهتك والابتذال في قوارع الطرق وشوارع المدن على رؤس الاشهاد يتعرضون لنا في منع هذا الفساد الذي لا فائدة لهم فيه ولا عائدة تعود عليهم ولا علينا بالمنفعة الدنيوية او الدينية نعم لهم فائدة دينية وهي ترك ديننا والدخول في مثل ديانتهم شيئاً فشيئاً لكنهم لا يجرؤون على امرنا بذلك والحكم علينا به

وبالجملة فحكام مصر واهلها ما زالوا يتعشقون في اهل اوروبا واخلاقهم ومحاكاتهم حتى زادوا عليهم فيها وجاؤهم من فوقهم ومن اسفل منهم على مقتضى شوقهم اليهم ومحبتهم فيهم فكيف يتبرمون و يتضررون الآن منهم وهم السبب فى دخولهم ومجيئهم بخيلهم ورجلهم فحسبنا الله ونعم الوكيل فى فعل اهل هذا الجيل وماذا عليهم لو منعوا اهل بلادهم وهم تحت احكامهم لا يخرجون من قبضتهم عن

اظهار المنكر والتجاهر بما ينابذ الدين الاسلامي الذي هو دينهم ودين ابائهم واجدادهم ولهم على التدين به نحو من الف سنة وثلاثمائة «اكان» احد من الاجانب يقهرهم ويجبرهم على ترك شرائط دينهم الحق (كلاَّ) والله ما لهم على الناس في ذلك من سبيل وخصوصاً في تعظيم اهل العلم منهم والدين كما تفعل النصارى في قسسهم ورهبانهم وخوارنتهم واحترام شعائرهم الدينية ومتعبداتهم

فان قلت ان هذا كله من رقة الدين وعدم التمسك به خشية الارتباط بشرائطه

قلت ان الاوروباويين كذلك فيهم من لا يتعبد بالدين ولا يلتفت اليه بالكلية في حد ذاته ولكنهم لا يخلون بشعائره ولا يستهينون براسمه ولا يحتقرون اهله كما يفعل كبراء المسلمين الآن فيا ليت انهم يقلدون النصارى في ذلك ايضاً كما يقلدونهم في اخلاقهم الاخرى فوا أسفاه على الدين واهله وواضيعتاه على عند هؤلاء الامراء الذين يظنون ان من لازم التقليد الازدراء به وبأهله كلا نسأله تعالى ان يلهمهم رشدهم ويذهب ما في فكرهم السقيم ورايهم الذميم بالنسبة لهذا الدين القويم والصراط المستقيم بجاه النبي الكريم

وقد اجتمع بنا في هذا العام جماعة من امراء جزيرة «سيْلاَن» ونحن بالمسجد الجامع الكبير في بيروت بعد صلاة الجمعة وليس فيهم من يتكلم بالعربية جيداً الا واحد منهم يقال له الشيخ اسماعيل من العلماء الكبار واعيان التجار فذكر لنا انهم توجهوا الى الاستانة العلية وفي غرضهم التوجه الى دمشق والقدس لاجل الزيارة ورؤية المعاهد الشريفة والمشاهد المنيفة وقد بلغنا في هذا العهد انهم رجعوا الى بلادهم بعد قضاء فريضة الحج وذكرت اصحاب الجرائد عنهم انهم قوبلوا في بلادهم بكل اكرام واحتفال واعظام واجلال وعملت لهم زينة فاخرة بديعة المثال ويجدر بهم حقيقة ما فعل معهم من تلك الفعال فان امارة

الامارة عليهم لائحه ومخايل الخلال الكاملة فيهم واضحة

ومنهم سعادة شاكر باشا اخو حضرة الامير الاكرم والوزير الافخم جناب الصدر الاعظم كامل باشا حضر الى بيروت من الاستانة قاصداً التوجه الى نابلس بوظيفة « متصرف لولاء البلقاء » « ولكونه » مصري التربية في الاصل هو واخوته « سأل » عن المصريين الموجودين في بيروت فتوجهنا لزيارته فرايناه رجلاً كريم الاخلاق لين العريكة بشوش الوجه حسن الملاقاة فاكرمنا بحسن الملاطفة وجميل المذاكرة فجزاه الله خيراً عن هذه المجابرة ورأينا في معيته اخاه حضرة صادق بك (قائمقام صيدا الآن)

وقد كان قبل قدوم اخيه في مثل هذه الوظيفة (ببعلبك) فلما توفي في آخر جماد الاول سنة ١٣٠٣ الف وثلثماية وثلاثة جناب المرحوم المغفور له محمود بك اليوسف اخو سعادة محمد باشا اليوسف الذي هو الآن (متصرف عكه) بعد ان انفصل من متصرفية طرابلس الشام وكلا هذين الرجلين من وجوه الشام الكبار في الثروة والغناء والمروءة والوفاء رحم الله الفاني واطال عمر الباقي والبقاء لله (كل من عليها فان) ولا بد ان يدرج في الاكفان فنساله التوفيق للهداية والحفظ والحماية من سلوك طرق الضلال والغواية

ولقد حضر سعادة شاكر باشا مرة اخرى الى بيروت في اواخر شهر جمادى الثاني من هذا العام لصدور الامر له بالانتقال الى ولاية ازمير متصرفاً ايضاً في احدى المتصرفيات بها فنزل ضيفاً كريماً على جناب السيد محيي الدين افندي حماده فزرناه ايضاً في منزله وخلفه في متصرفية « البلقاء » سعادة احمد باشا اباظه اخو حضرة المرحوم الصالح الشيخ ابي خليل اباظه وقد تقدم في هذه المجموعة الكلام على هذا الاستاذ وانجاله وحضرة اخيه الباشا المذكور فلا حاجة الى العود والاعادة

وما ذكر كفاية في الافادة

ومنهم حضرة الشيخ عبد الرزاق البيطار من افاضل علماء دمشق المشهورين حضر الي بيروت في شهر رجب الفرد من شهور سنة ١٣٠٣ الف وثلثماية وثلاثة وجاءنا زائرا في منزلنا فرأينا منه رجلا كاملا لطيف المحاضرة ظريف المحاورة له اشتغال بكتب القوم ومشاركة في علوم الآداب والآلات

وبالجملة فهو رجل كامل الاخلاق والصفات اديب شاعر وكاتب ناثر اطلعنا له على رحلة كبيرة تشتمل على عدة رحلات

(منها) الرحلة القدسية والرحلة البعلبكية وغيرهما وفيها نظم رقيق ونثر بليغ رشيق وهو مع ذلك من الحفاظ المجيدين والقراء المجوّدين . وكان في معيته ببيروت نجله وولدا اخيه واحد تلامذته الاخصاء وهو الشيخ حسين الدمشقي له صوت مشجي . ونغم مطرب امره الشيخ وهما عندنا بالمنزل ان يسمعنا من كلام القوم فغنى حتى اطرب المغني وابكى بعض الحاضرين معنا من حلاوة تلك الالفاظ ورقة ذلك المعنى ولقد جاءنا معه في هذه النوبة حضرة الاستاذ الحافظ الشيخ عبد الله افندي الحموي الاصل الدمشقي الاقامة وكان قادماً من الديار المصرية توجه اليها في قضاء بعض اغراضه وحضر مولد السيد البدوي بطنطا وهو المولد الصغير . وذكر لنا انه اجتمع بحضرة الشيخ محمد مراج شيخ السادة القراء بالمقام الاحمدي وبحضرة الشيخ يوسف عجور احد اعيان القراء بالمقراة الشريفة الاحمدية وشاركهم في مسائل من فن القرآن لانه ممن اشتغل بها في الشام على شيخ القراء بها وهو الشيخ الحلواني الشهير بالجمع . في القراآت السبع . ثم اننا اقترحنا على حضرتي الشيخين الشيخ البيطار و الشيخ الحموي ان يسمعانا من كلام الله القديم ما يشفي القلب السقيم فقرأ الاول عشر «ان الابرار لفي نعيم» وقرأ

الثاني «آخر الفتح» بصوت رخيم · وحسن اداء قويم · وكانت بقراءتهما خاتمة هذا الجلوس · مما تتروح به الروح وتحيي به النفوس · «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» وبه فليتقرب المتقربون · ولقد فاتنا ان نذكر حضرة الشيخ عبد الله جمال الدين «نائب بيروت» حين قدومنا اليها فانه من الرجال المعدودين · والافاضل المستعدين · عالم بطرايق الرياسة · خبير باحوال السياسة · ثابت الجنان · قوي الاركان · غاية في الفطنة والاتقان · متضلع بمعرفة القانون · له معرفة بغالب الفنون تولى تفتيش العدلية مدة من الزمن · فمشى فيه على اقوى اساس واقوم سنن · ثم تولى النيابة المذكورة · وسار فيها سيرة مشكورة · ولما انقضت مدتها المحدودة · وعدتها المعدودة · توجه الى الاستانة · وتولى نائب آخر مكانه · الا انه لم يكن ذا صيانة · ولا صاحب امانة · فرفع وخلفه النائب الحالي · وهو حقيق بهذا المنصب العالي · لانه رجل كامل لطيف · صين دين عفيف · وقلت فيه مع التورية باسمه والتنويه عن لسان اهل بيروت

لسان الحال من بيروت يحكي بقول معرب عن كل صدق
يزين الحكم انصاف وعدل كما ازدانت نيابتنا بحق (حقي)

وقلت ايضاً

في ثغر بيروت قاض قد حاز غاية سبق
فمجلس الشرع فيها جار باحكام حق (حقي)

وممن ظفرنا بالاجتماع عليه في مدينة بيروت في هذا العام حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ يحيى الانطاكي «مفتي مدينة انطاكية سابقاً» وهو رجل عالم سخي النفس كريم الاخلاق سهل العريكة ينظم الشعر الرائق · مع التخيل الفائق · باللغة التركية وقد سمعنا عدة قصائد من كلامه في المديح والرثاء وعدة

تواريخ ظريفة · مشتملة على معاني لطيفة · بتلك اللغة المذكورة وذكرلنا انه سافر الى الحجاز وجاور بمكة المكرمة وتعرف بعظماء مكة واشرافها وصار له قبول تام في تلك الاماكن الطاهرة وكذلك رحل الى الاستانة ومدح بعض رجال الدولة اذ ذاك وهو رجل صالح من بيت عظيم في انطاكية وله خاصية كبرى بالنسبة الى تلك البلاد وهي حفظ القرآن المجيد وتكلمه باللغة العربية الخالصة التي لا يشوبها ادنى عجمة وبلغنا انه كان في عهد قريب متوظفاً في ولاية سورية بوظيفة «مكتوبجي الولاية» ثم انه العام احضر عياله وحرمه من انطاكية مع كونه من ذوي الثروة فيها واصحاب القناقات على لغة اهل الشام اي المضايف في اصطلاح مصر فالقناق عندهم كناية عن البيت المعد للضيفان والمسافرين كما ان الخاندان عبارة عن الرجل الكبير الامير كما يقولون في مصر من الذوات او من الامراء (ومنهم) الشيخ عبد الوهاب الزاهد الماردبني بلداً النقشبندي طريقة من اهل العلم والطريق افادنا ان بلدتهم (ماردين) مركز متصرفية من ولاية (ديار بكر) وبها مدرسة الامام السكاكي التي الف فيها (المفتاح) ودرس بها وفيها ايضاً مدرسة اخرى عظيمة عامرة بالعلماء والمدرسين وكان من العلماء المشهورين المدرسين بها الشيخ محمد حسيب المشهور (بعرب زاده) و بعد ان توفي الافندي المذكور صار الشيخ احمد افندي حلمي بدله في التعليم بتلك المدرسة والشهرة في العلوم وان لها ايراداً في كل سنة نحو المائة الف قرش وبها ايضاً مدرسة اخرى تسمى (مدرسة الثمانين) وهي مشهورة (بالشهيدية) بناها ناصر الدين الشهيدي للامام الزمخشري ودرس بها زماناً طويلاً · وفي ماردين الآن من العلماء المشهورين الشيخ عبد الرحمن افندي النقشبندي رأيت له شرحاً على (منهاج الاصول) للبيضاوي اختصر فيه شرح الامام الشيخ عبد الرحيم جمال

الدين الاسنوي المصري وهو الآن تحت الطبع في المطبعة الادبية ببيروت

(ومن علمائها) ايضاً الشيخ عبد السلام افندي الماردينى صاحب التاريخ المشهور ذكر فيه من بدئ العالم الى زمن السلطان محمود وقد توفي في عصر قريب واخبرنا الشيخ عبد الوهاب المذكور ان لهم اشتغالاً بكتب الفقه من مذهب الشافعي (كالمحرر والانوار) للاردبيلي وغيرهما من الكتب التي لا تقرأ عندنا بمصر الآن فلله الحمد على وجود أناس في مثل هذه الجهات لهم اشتغال بهذه الكتب المهجورة جعل الله بلاد الاسلام عامرة بكتب العلم والدين الى يوم الدين

ومن اجتمعنا به في مدينة بيروت من مدة سنتين او اكثر حضرة السيد الامجد والشهم الاوحد نادرة الزمان وواحد الامراء الاعيان صاحب المعالي والمفاخر السيد عبد الرحمن باشا الزاهر من اهالي (حضرموت) اليمن وساداته الكرام نجل اخت السيد فضل باشا المقيم الآن بالاستانة في رعاية مولانا امير المؤمنين الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد خان مغموراً بانعاماته الوافرة واحساناته المتكاثرة وقد كان السيد عبد الرحمن باشا المذكور حاكماً في بلاد الاشي برتبة (وزير) ثم صار (اميراً مستقلاً بحكومة شرعية على قوانين الدين الاسلامي تحت قضاء قاضٍ شافعي · ومجلس شوروي يحكمون بالعدل والانصاف بدون مراعاة او محاباة لاحد من عظيم او حقير · وما زال الامر بينهم على هذا الحال الى ان سافر هذا الامير لزيارة خاله السيد فضل باشا فانتهزت دولة هولاندا الفرصة في غيبته واجرت اسباب المشاحنة والمنافسة مع هذه الامة مع جهلها بالاحوال السياسية · حتى وقعت بينهم الحروب والمقاتلات · فلما سمع بهذه الواقعة حضرة السيد عبد الرحمن باشا المذكور · حضر مسرعاً فوجد الطرق مسدودة عليه وصورته في كل الاساطيل والمين البحرية · فما زال يتحايل حتى لبس تبديلاً بصفة

رجل عربي يبيع الدجاج . ونزل في وابور هولاندي بحالته المتنكرة . ولم يفطن له احد من مستخدمي الوابور الى ان نزل منه على اسكلة قبل الاسكلة المنسوبة لتلك الدولة . ثم سار ليلاً ووصل الى اطراف بلده وطلب منهم توصيله الى مركز الحكومة بحجة ان معه مكاتيب وتحاريز لحاكم المدينة . فاوصلوه الى المدينة وهو بحالة التنكر فما شعر اهلها الا واصوات المدافع تضرب فعلم اهلها ان اميرهم قد حضر فزاد سرورهم واستبشارهم وثباتهم . ومكثوا زماناً طويلاً يدافعون عن بلادهم وهم محصورون براً وبحراً حتى تغلبوا عليهم ودخلوا بلادهم وقبضوا على الامير واجروا معه معاهدة على النظامات والقوانين التي يكون عليها العمل في حكومة البلاد وادارتها وطلبوا منه الاقامة في البلاد على ان يكون حاكماً تحت حمايتهم . فلم ترض بذلك نفسه الشريفة . وطلب الترخيص له في الخروج منها والاقامة في الاقطار الحجازية فرخصوا له في ذلك واجروا عليه مرتباً عظيماً سنوياً نحو العشرة آلاف جنيه ثم انه في هذا الاثناء قصد السياحة وتبديل الهواء فحضر الى سوريا واقام عندنا في بيروت مدة ثم زار دمشق الشام واخبرنا انه جاور بالجامع الازهر مدة وكان مقيماً برواق اليمن . وله صحبة بالسيد احمد اليمني « شيخ الرواق المذكور » وبالاستاذ الانبابي وانه استصحب معه عند الرجوع الى بلاده احد العلماء الازهريين لاجل ان يقرأ معه دروس العلم في تلك البلاد على مذهب الشافعي رضي الله عنه

ثم ان هذا العالم توفي عندهم في البلاد اليمنية قبل ان يسافر الى بلاد الآشي و يتولى الحكم بها

واخبرنا ايضاً انه شرع في انشاء عمارة ظريفة في جدة ثم رجع الى الحجاز واخبرنا ذاك الامير باشياء من غرائب الاخبار ونوادر الآثار التي اطلع عليها في السياحة والاسفار في بلاد الهند والجاوة (ومحل ملكه) وهي بلاد الآشي لم

نذكرها لطول الشرح • وقد تقدمت ترجمة السيد عبد الرحمن الزاهر المذكور قبل هذا المحل الا انها مختصرة عن هذه الترجمة

ومن اجتمع بنا في بيروت في هذين السنتين الاخيرتين في شهر رمضان خاصة الشيخ الحمصي المشهور بالجُوعان رجل شاعر مغني عارف بالموسيقي له شغف بتبديل القصائد الادبية و بالخصوص قصائد الشيخ محمد افندي الهلالي الحموي المتقدم ذكره • فانه متى سمع قصيدة او موشحاً او دوراً غيّره بالاكل والشرب والاطبخة والحلواء باعجب طريق واغرب اسلوب وليس له في سوى ذلك مقال • فسبحان واهب الملكات ومدبر الكائنات كان يحضر الى منزلنا في ليالي رمضان • و بسمع قراءة القرآن من اخواننا الحفاظ المصريين الذين كانوا في تلك السنين الاربعة يحضرون للسهر عندنا في بيروت مع تكبد المشاق ومعاناة مالا يطاق في البحر واهواله ووابور مصر واحواله كل ذلك مراعاة لخاطرنا وقصد تسليتنا ومؤانستنا حتى يبتل شوقنا الى سماع القراءة المصرية والاصوات الحسنة الشجية فان احدهم وهو الشيخ محمد ابراهيم صفي الدين من اصحاب الاصوات المطربة • والقراءة المجودة الجيدة • وثانيهم وهو الشيخ محمد خليفة من الحفظة المشهورين بالصوت الرخيم والقرآن العظيم ومع ذلك له طريقة ظريفة في قراءة المولد الشريف النبوي على تقاليد الشيخ حسن الالاتي الذي اشتهر في مصر بهذه الصناعة والاتيان بها في غاية البداعة وبالجملة فكلاهما مقرئ ومنشد عظيم • جزاهم الله عنا في هذه الخدمة باوفر الاحسان والنعمة

ولقد حضرنا في هذا العام فرح الشهم الهمام • عزتلو حسن افندي بيهم نجل الامجد الكامل • عبد القادر افندي بيهم ولد الحاج عبد الله بيهم الريحان الكبير المعمر • الذي هو اشهر عائلة آل بيهم ولقد احتفل بهذا الفرح غاية الاحتفال حتى

عملت سهرة الزفاف في بيت الحاج عبد الله المذكور واجتمع له خلق كثير من ذوات واعيان وعلماء وفضلاء و بعد ان اديرت عليهم الشربات والشموع وتليت القصائد البديعة في التهاني . والتواريخ والمقالات الرائقة باللغات العربية والفرنساوية والتركية وغيرها . ولكاتبه الفقير العاجز قصيدة في التهنئة والتاريخ وهذه صورتها

تلك المسرات جاءتنا على قدر | وباعث الانس وافانا على الاثر
في ليلة كليالي القدر زاهرة | تزهو بجبهة هذا الدهر كالطرر
وصبح اقبالها بالعز لاح لنا | في نور اشراقه يغني عن الغرر
وهذه من عيون العصر خيرتها | نتيه عجباً بما تحويه من حور
مواسم صرن اعياداً لبهجتها | وحسن رونقها في هذه العصر
فيها لذي العزة القعشاء مكرمة | بما حوى من قضاء الحظ والوطر
ذاك الكريم كريم الاصل فاخره | نسل الاماجد في بدو وفي حضر
انعم به حسن الاخلاق طيبها | وخلقه كنسيم الروض في السحر
شهم ذكي فصيح ماهر ذربٌ | ندبٌ بليغٌ بديعٌ جيد الفكر
وشاعر بمعاني الشعر ينظمها | من الفرائد في عقد من الدرر
وعالم بفنون في اللغات بها | يمتاز حقاً بحسن السير والسير
من بيت بيهم العالي الذري شرفاً | فانزل بحيهم الحامي من الخطر
لا زال حظهم يسمو وحفظهم | من حادث الدهر في امن من الضرر
ونجلهم بمجالى الانس متكئٌ | من السرور على عال من السرر
ما قام داعي الهنا يوما يؤرخه | عز القران بدا للشمس والقمر

في ٢٠ شوال سنة ١٣٠٣

وقد انشا حضرة الأخ الشيخ احمد قصيدة تهنئة بهذا الفرح المبارك فقال

لله يوم كما شاء الهوى حسن ... يضيء في وجهه هذا الفتى حسن
وليلة قد انارت بالزفاف فلم ... يظهر لناظرها من نوره دخن
واشرق الشرق مثل الغروب حين بدا ... كالبدر وسط نجوم وجهه الحسن
كأنما فلق الاصباح لاح بها ... والشمس بالبدر في الافلاك تقترن
فاترع القلب من احبابه فرحاً ... وكل قلب من الاعدا به ضغن
وقد ترامت لذاك الجوّ من حمق ... على الحسود سهام اثرها دخن
لكنها لنجوم الافق زاهرة ... تضيء للناس ان حلوا وان ظعنوا
فاصبحت زمر الاحباب في طرب ... من السرور وامسى في العدا الحزن
والدهر وفى وقد وفى بموعده ... وانه لجدير بالوفا قمن
حيث المسرات والافراح قد جمعت ... والانس والامن والآمال والمنن
وصار يمحو باحسان اساءته ... هذا بذاك ولا يستعتب الزمن
فسرّ في الحال مما الحال وانشرحت ... منه الصدور وطاب السر والعلن
لا تنكروا منه اقبالا على حسن ... فكل شيء بذاك الحسن يفتتن
ندبٌ اريبٌ اديبٌ مفردٌ علمٌ ... شهمٌ نبيهٌ نبيلٌ كاملٌ فطنُ
نسل الاكارم مأمول المكارم من ... قد اخلصته لها الايام والوطن
قد قام فينا خطيباً حينما خطبت ... له المعالى وتمت عنده السنن
واحسن الناس من فصل الخطاب له ... واخطب الخلق في العلياهو الالسن
حدّث بلا حرج عنه وعن فرح ... فالعين تعرف ما قد وقت والاذن
وطالع السعد قد اضحى يورخه ... قران شمس العلا من بدرها حسن

سنة ١٣٠٣

ولقد حضرنا في هذا الشهر ايضاً احتفال (المدرسة السلطانية) في جمع عظيم وكان من انظم مايكون من الاحتفالات التي حضرناها في مدينة بيروت وذلك بحضور كثير من عظماء الوقت علماً وامارة · مثل سعادة نصوحي بك (متصرف بيروت) وسعادة سالم باشا (كمدان العسكرية) بهذا اللواء وسعادة عبدالله باشا فكري المصري (ناظر ديوان المعارف سابقاً) بمصر وحضرة امين بك ولده وغير هؤلاء من الاكابر والاعيان · واجريت صورة امتحان للتلامذة في الرياضة والبلاغة والفرنساوي وتليت المقالات والخطب البديعة من التلامذة والخوجاوات مثل حضرة الاستاذ الفاضل رب البلاغة والفصاحة والذكاء المفرط جناب الشيخ محمد افندي عبده المصري · ولقد اعجب الحاضرين وبهر عقول السامعين وبالجملة فمدارس بيروت الآن · غاية في الالتفات والاتقان سواء كانت مدارس ذكور او اناث جعلها الله وبلاد الاسلام عامرة بالعلوم والمعارف واللطائف والظرائف · وفاتنا من اهالي بيروت واعيانها كثير الا ان في القليل ما يغني عن الكثير · فممن تركنا ذكرهم اولا حضرة ابي يوسف البربير وولده السيد سعيد اصهار بلدينا الامجد حضرة احمد بك عبد الغفار (امير الاي مصري) من جملة المنفيين في المسألة المصرية وكان سكننا في منزل العرقجي المجاور لبيت ابي يوسف المذكور « ومنهم » الحاج عبد القادر حزمه واولاده ومحيي الدين القاضي والحاج محمد زنتوت ومحمد افندي ديه وجناب محمود افندي درويش واولاده · وحضرة احمد افندي دريان ومحمد افندي سلام والحاج زين سلام · والسيد امين بكتاش · والسيد رشيد بكتاش والحاج خليل صوبره · وولده ابراهيم · وحضرة صديقنا وعزيزنا الشيخ مصباح شبارو وعيالهم جميعاً · والحاج خليل محيو واولاده وحضرة الشيخ فضل افندي

القصار ٠ وعائلة كيون الشلميين وهم ابو رضا والشيخ احمد افندي والشيخ نجيب وولده رضا افندي ٠ والحاج احمد افندي الحبال ٠ والحاج ابراهيم الجارودي واخوته ٠ وحضرة الاديب الشاعر محمد افندي الابابيدي ٠ وحسن افندي العجم ووالده واخواه السيد امين وعبد الرحمن افندي العجم والشيخ عبد الحميد بيوت ٠ والسيد حسن الشبجان ٠ واخوه محمد بك الشبجان واولادهم والحاج احمد البدرشيني ٠ واولاده محمد سعيد ٠ ومحمد يونس ٠ والسيد حسن ميمنه والسيد عبد الرحمن القباني من اكابر عظماء بيروت وابو محمود حزمه ٠ وخليل افندي البربير ٠ والحاج محيي الدين النصولي ٠ والشيخ طه افندي النصولي ٠ وسعد الدين رمضان ٠ ومحمد افندى علي القباني ٠ صهر بيت العريس ٠ ومصطفى افندي الرفاعي واخوته اولاد المرحوم الشيخ احمد الرفاعي والشيخ مصطفى نجا ٠ واخوه السيد عمر نجا من بيت نجا المشهورين بهذه المدينة قديماً وبيت النقاش وبيت اولاد جمال الدين وهم خضر اغا جمال الدين والشيخ رجب جمال الدين وهو من معلمي المدارس السلطانية وغيرها وله اليد الطولى فى التعليم والتفهيم وله مؤلفات ابتدائية نافعة للتلامذة جداً وبيت العريس عائلة مشهورة قديماً وبيت (الدنا) وهم عزتلو عبد القادر افندى الدنا (رئيس مجلس التجارة) واخوه رشيد افندى الدنا (صاحب الجريدة الجديدة المسماة ببيروت) ظهرت في هذا العام وبيت بيضون

ومن تجار اهل الشام المقيمين في بيروت ابو سعيد الحفار واخوته ٠ والسيد محمد اياس ٠ وهو اغني رجل فيهم ٠ له بعض احسانات ومعروف ٠ والسيد عطا الغبرا والحناوي

وليعلم قارئ هذا المجموع ان اهل بيروت يكتفون في الغالب بالكنى

والالقاب و يتركون الاسماء فيقولون ابو سعيد مثلاً . وابو سليم . وابو رشيد فلا يدري من كثرة اطلاق الكنية ما اسم هذا الرجل وغالب الاسماء المداولة بينهم كثيراً محيي الدين . وسعد الدين . وعبد القادر . وسعيد ورشيد . وسليم وامين . ومصباح . واما الاسماء المشهورة في مصر كثيراً مثل محمد . واحمد وعلي . وابراهيم . وعمر . ومصطفى . فهي قليلة في بيروت جداً وكذا في بلاد الشام كلها

ولقد حررت هذه الجملة الاخيرة في يوم الاثنين ثاني شهر ذي القعدة من سنة ١٣٠٣ ونحن على اهبة السفر الى بلاد مصر وان كنا لم نقطع بالتوجه في يوم تاريخه بل (اما غد زعموا اولا فبعد غد) ومعنا من الرفقاء الشيخ محمد صفي الدين البرطباطي احد الحافظين المعتادين على السهر عندنا في الشام كل عام

وثانيهما حضرة الشيخ محمد خليفه الفشني جزاهما الله عنا احسن الجزاء على هذه السعي الجميل ه وعلى الله قصد السبيل ه وفي صحبتنا ايضاً اتباعنا الذين حضروا معنا من اول المدة وهم الشيخ احمد بدوي البهنساوي وعبد الحميد عثمان اصلان ومحمد عثمان ومحمد ابو علي المسعودي الذي حضر في العام الماضي مع ولدنا عبد العظيم فانهما لم يزالا مقيمين عندنا من عام اول الى هذا العام لغرض التوجه صحبتنا الى البلاد فنسأل الله من فضله وكرمه وامتنانه ان يكتب لنا السلامة في السفر والحضر والاقامة

ومن جملة العازمين على التوجه في هذه الدفعة الى البلاد المصرية اخونا فوده بك حسن (احد الضباط المنفيين في المسألة المصرية) ومحمود افندي احمد ايضاً والشيخ يوسف اسماعيل الصغير من بني احمد من مديرية المنيا ومركز بني مزار وهو ايضاً من المنفيين المصريين المقيمين معنا في بيروت تلك المدة الا

قليلا منها توجه فيه الى الشام وحمص واقام بهما زمناً قليلا والله المسؤل ن يبلغنا جميعاً المأمول بجاه الرسول وآله الكرام واصحابه نجوم الهدى و بدور التمام

ثم لم نزل مقيمين في بيروت الى عصر يوم الثلاثاء وقد صممنا على السفر الى مصر في الوابور الخديوي المسمى بالرحمانية فقطعنا التذاكر للسفر فيه واكملنا التأهب لذلك بجميع ما معنا من الفرش والغطاء والصناديق وغيرها وقصدنا صلاة العصر في مسجد سيدنا يحيى الحصور على نبينا وعليه افضل الصلاة واتم التسليم

وذلك عادة من يريد السفر من اعيان البلد وتهرع الناس لتوديعهم يريدون التخفيف على المودعين لهم عند ارادة سفر بعيد كالحج او اسلامبول فيصلون الصلاة في مسجد جامع و يودعون اخوانهم وقد فعلنا ذلك كعادتهم فاجتمع خلق كثير من عظيم وحقير وصاروا يأخذون خاطرنا من المسجد بل الاكثر والاعظم لم يفارقونا حتى نزلنا في الفلوكة الى الوابور والبعض منهم نزل البحر في فلائك مخصوصة الى ان ودعنا من البحر في الوابور وكان هذا الوداع علينا من اشق واشد ما رأينا فان عشرة هؤلاء الناس قد اثرت في انفسنا تأثيرا عظيماً وكانهم صاروا جميعاً من اهلنا واقاربنا فصرنا نبكي وقد خنقتنا العبرة ولم نستطع صبرا على فراقهم وهم كذلك قد ظهر عليهم من التأثر بسفرنا مالا يوصف ومن الازدحام مالا يحكى وهذه عوائدهم مع العظماء من اهل البلد اذا سافروا سفراً بعيداً . ولقد شاهدنا منهم ذلك كثيراً بل كنا في جملتهم مراراً كثيرة . وبعد ان طال علينا المدا في التوديع على رصيف المينا والاسكلة وظهر علينا الضعف من الازدحام والاغتمام والبكاء والتأسف قام منهم من انزلنا الى الفلوكة قهراً عن الناس وعنا خوفاً من التأثر الشديد وضيق الزمن على النزول وسافر الوابور قبيل الغروب ولم يزل يسير بنا الى ان وصلنا (يافا) صباحاً واقمنا بمينائها الى

قريب الغروب ايضاً وسافرنا الى ان وصلنا (بورت سعيد) في الصباح ايضاً واقمنا به مدة يسيرة وتوجهنا الى اسكندرية ظهراً وما زال الوابور يمشي الى ان دخلناها في الصباح ايضاً وعند رسى الوابور نزل علينا صديقنا الامجد المحترم علي افندي منتصر شيخ طائفة المغاربة التجار بالاسكندرية وكان نزوله لاجل ملاقات نسيبته الست حرم محمد بك الزمر المصري فالتفت هذا الرجل لامر نزولنا واعتنى بذلك غاية الاعتناء . وذلك مما يؤثر له من مكارم الاخلاق . حيث انه انفرد بهذا الالتفات وما زال معنا الى ان دخلنا اودة الباسابورتو وعرّف عنا المستخدمين فيها ولم يكن اذ ذاك كبيرهم حاضراً وهو رجل مسيحي يقال له اسحاق بك . فعند ما حضر اوصاه بالاهتمام في امرنا . ولكن لسوء القضاء كان امر الداخلية بالاذن في الدخول الى القطر المصري لم يحضر . وذلك لان كل من خرج من هذه الديار في جزاء هذه المسئلة محكوماً عليه بسنة مثلاً لا يصرح له في الدخول فيها ما لم يقدم عريضة الى ديوان الداخلية مثلا . ثم ان الداخلية تكتب الى المعية الخديوية وترجع عليها الكتابة بالاذن من الجناب الخديوي ثم ان الداخلية بعد ذلك تكتب الى سائر الثغور بالترخيص لذلك المنفي بالدخول وعدم التعرض له بالمنع . وعند ما دخلنا ثغر الاسكندرية يوم الجمعة لم يكن امر الداخلية الاخير قد حضر الى محافظة اسكندرية فضلا عن وروده لمصلحة الباسوبورتات فلذلك التزمنا التوجه مع مخصوص من هذه المصلحة الى المحافظة فلم نجد المحافظ بها في هذا اليوم لكونه يوم عطلة عن الاشغال . ولولا وجود حضرة علي افندي معنا في هذا الوقت لبقينا في المحافظة او الضابطية الى يوم السبت عند ادارة الديوان . ولكن علي افندي المذكور توجه الى المحافظ في بيته قريباً من الديوان وقص عليه القصص فامر بحضورنا امام داره عند ارادته

الركوب في العربة الى المعية لاجل ان يصلي في ابي العباس مع الجناب الخديوي فعند ما قابلنا افادنا ان امر الداخلية الى الا ن لم يحضر وسنرسل اليها باستعجالة حضوره حيث انه صدر على ذلك امر خديوي عالي وامرنا بالذهاب مع حضرة علي افندي الى الجامع لصلاة الجمعة ومنه الى بيته حتى يصدر لهم الامر من الداخلية فلم نزل مقيمين في منزل علي افندي من يوم الجمعة الى يوم الاحد وفى خلال هذه المدة صار علي افندي المذكور يتردد على سعادة المحافظ لينظر هل حضر الامر له من الداخلية ام لا الى ان افاده في يوم الاحد المذكور بحضور الامر وطلب منه ان نحضر لديه في المحافظة لاجل ان يتكلم معنا بالوصايا اللازمة للحكومة من حيث لزوم السكون والسكوت وملازمة البيوت فتوجهنا اليه صباح ذلك اليوم وتكلم معنا بتلك الوصايا والتزمناله بالامتثال كما هي عوائدنا في سالف الاحوال وعلى الله حسن المآل

ثم سألنا عن السفر فافدناه اننا عازمون على السفر في هذا اليوم لعدم وجود داع الى التأخير بالاسكندرية بل شوقنا لرؤية العيال يحملنا على الاستعجال فنزلنا في وابور الظهر من الاسكندرية وكانت التذاكر مقطوعة لمحطة طنطا لداعي زيارة شيخ العرب السيد البدوي في مولده الكبير السنوي حيث كان اذ ذاك قائماً منصوباً فدخلنا طنطا قبل الغروب بنحو ساعة ونصف وما زلنا بضريح السيد الى ان غربت الشمس وصلينا صلاة المغرب بذلك الضريح الانور وحيث سمع بمجيئنا حضرة قاضي افندي المديرية جناب العالم الفاضل الاستاذ الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي وحضرة مفتى افندي الاستاذ الشيخ عمر الرافعي حضرا للسلام علينا في ضريح ابي فراج شيخ العرب السيد البدوى ثم توجها معنا الى المحطة فقطعنا تذاكر السفر في وابور الليل ولم نمكث برهة حتى حضر وركبنا فيه الى مصر فوصلنا محطة باب الحديد بعد العشاء بيسير وقد كان معنا جناب الاخ الامجد

والشقيق الاوحد حضرة عبد اللطيف بك القاضي نجل الاخ الاكبر والبدر الانور عزتلو علي بك القاضي ابن عمتنا فدعانا الى النزول في منزلهم العامر الكائن بالدرب الاحمر بجوار جامع اصلان فاخترنا النزول عندهم على النزول في بيتنا الكائن بالسكرية في عطفة الحمام لغرض التباعد عن الازدحام وتراكم الزوار من خاص وعام مراعاة للحالة الحاضرة والعيون الناظرة لمثلنا ممن ابعدوا عن الديار فانهم على الدوام تحت مراقبة العيون والنظار ولهذا الداعي لم نقم بمصر الا ليلتين ليلة الاثنين وليلة الثلاثاء وتوجهنا صبيحته الى البلد بدون ان نلوي على احد.

ولقد رأينا من كبار العلماء ومشايخ الاسلام مايقضي علينا بالمبادرة الى السفر حيث انهم اظهروا من الخوف على انفسهم وعلينا في التأخر عن السلام والزيارة مالا يحكى ولا يشكى الا الى الله تعالى ولكن بالرغم عن هذا التحرز والتحفظ قد تراكمت علينا في منزل البك المشار اليه زمر من اهل العلم والاعيان من تجلو مصر غير مبالين بمراقبة اولي الامر

ولقد كنا ونحن بالشام قبل النزول منه والقيام اكدنا على اولادنا بمنع كل من اراد المقابلة معنا سواء في مصر او في الاسكندرية او على المحطة ومن اجل ذلك اخفينا عليهم تعيين يوم السفر من الشام او الاسكندرية او مصر وكنا لا نكتب لهم عن محل من هذه المحلات الابعد الوصول اليه والنزول به فعلاً وهكذا الاخ حتى نزولنا بمحطة مغاغه لم نعلمهم في اي يوم يكون مع الاحتياج الى ارسال الركائب الموصلة الى البلد وتركنا الامر سدى حتى وصلنا مغاغة فوجدنا مع كل هذا الاسرار كثيراً من اهالي البلاد الصغار منهم والكبار واقفين في غالب المحطات للانتظار والحمد لله الواحد القهار.

ولم يزل الازدحام وتراكم المسلمين من محطة مغاغة الى ان دخلنا البلد بحالة

لاتخطر بخاطر احد ولا سيما في هذا الوقت الصعب المستغرق بالهموم والكروب فسبحان مقلب القلوب وعلام الغيوب

واستمر هذا الازدحام · قريباً من تمام العام ولكن بدون رغبة منا ولا مرام بل كنا في خلال هذه المدة نظهر النفور والتكدر من اجتماع الناس حتى التزمنا في اول الامر عدم الخروج من المنزل وصار الحاضرون من الاخوان والاحباب يرسلون الينا سلامهم ونرسل نحن اليهم الرد والتشكر والممنونية بدون مقابلة ومع كل ذلك لم تخف الزوار فسلمنا امرنا الى الله وخرجنا لهم بعد مدة متوكلين عليه مفوضين امرنا وامرهم اليه وقد منّ علينا بالستر الجميل والفضل الجزيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

ولقد اشار علينا كثير من الاخوان والامراء بالترجي والاستسماح من حضرة الخديوى الاعظم فقدمنا له جملة عروض تتضمن طلب العفو والصفح والتعطف بغاية الانكسار والاسترحام والتلطف · فلم تجد نفعاً ولم توجب دفعاً بل كلما زاد الطلب · بعد الارب وانعكس الامر وانقلب والامور مرهونة لاوقاتها ومربوطة بميقاتها وهو العالم بالنفوس ونياتها وظواهر احوالها ومكنوناتها ولعل السبب في توقف جناب الخديوي عن الصفح هو تمكن الوشاية التي القيت اليه من قلبه لعدم وقوفه من قبل هذه الحادثة على حقيقة حالنا واننا من اولاد الفقراء المشتغلين بقراءة العلم مدة من الزمن في الجامع الازهر وغيره وقد افاده الوشاة اننا ما فعلنا ذلك الامر وقمنا في هذا الشأن الا تشيعاً لعرابي باشا واعظاماً واجلالاً له معتقدين فيه الخير والصلاح حتى انه بلغه اننا كنا نتحاشى عن الجلوس في مجلسه لكونه دائماً في حضرة صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه وحاشا لله ومعاذ الله ان نعتقد فيه ذلك او نداهنه بمثل ذلك ونحن من اهل العلم والطريق خلفاً عن سلف لا نقبل

على انفسنا ولا نرضي لشرف العلم والطريق المنسوبين اليهما ان نفعل هذا الامر بل الذي كنا نراه في ذلك الوقت ونعتقده ان النصارى متى دخلوا بلاداً امتلكوها • وعشّشوا و باضوا وفرخوا فيها • وان الحرب حينئذ يكون حرباً دينياً للمدافعة عن الدين والوطن والحرم والله سبحانه وتعالى هو العالم بالسرائر • وما تكمنه الضمائر • وسينكشف ما فى الخواطر • يوم تبلى السرائر

و بالجملة فما زلنا مقيمين فى البلد مشتغلين بمطالعة العلم الشريف • وذكر الله المنيف برحاب والدنا وجدنا العارف بالله تعالى الاستاذ الشيخ عبد اللطيف نقابل الاخوان ونتلقى الضيفان • بما فى الامكان • وعلى الله تعالى صلاح الحال والشان • فانه الكريم المنان

﴿ خاتمة حسنى ان شاء الله تعالى ﴾

في ذكر جملة قصائد وابيات ومقاطيع رأيتها في تلك الرحلة او سمعتها من افواه بعض الاصحاب هناك و بعض رسائل وقصائد حضرت الينا من مصر او الشام تتضمن تسليات واشواقاً من بعض الاصدقاء والخلان و بعض ابيات للفقير واخيه لمقتضيات وقتية • ودواعي حالية

فمن جملة ذلك (المقامة الحلوانية) التي ارسل بها الينا حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل الاديب الاريب والشاعر الناثر النجيب الشيخ احمد الحلواني الخليجي اسكنه الله اعلى فراديس الجنان وامطر على قبره سحائب الرحمة والرضوان امين

وها هي بلفظها الرائق • ومعناها الفائق

سرت والليل محلول الوشاح ونسر الجو مبلول الجناح

سارية من الصبا • تحمل عود الكبا • وتحمل شذا جنتي سبا • وتصرفه بين الوهاد والربا بالربا • لولا عوائق الزمان لركبتها الى من اهوى لاني بلا جناح وحزت

لهم بها ربا رياض مكللة الجوانب بالاقاح فبينا هي تجول وتجوس وتختال بارجها اختيال المعاني في الطروس وتتهادى معطرة الاردان (ولا عطر بعد عروس) اذ وقفت دوني ووقفت تحذوني تتنفس لكن بغير غليل وتشكو ولكن بدون عويل الا انها معتلة كاعتلال من به غرام مخضلة كاخضلال خد مستهام باكره من دمعه الغمام فعجبت انها عشت من جسدي الى مجهول طامس وعولت على جسمي وهو كما يعلم الناس رسم دارس

اذابه الشوق حتى لو تمثله   بالوهم شخص لا عياه توهمه

فطفقت اجيل في ذلك نظري ولاقضي العجب من انتهاء سيرها الى اثري ولعمري من يغالي في المتاع الكاسد وما ذا عسى يرجو القاصد ممن غدا يرثى له الحاسد نعم لا تحط منزلة العقل وان خفي على الانام ولا يعاب المعنى البليغ وهو تردد في الاوهام

ولو لم يعلُ الا ذو محل   تعالى الجيش وانحط القتام

فقلت لعلها وقعت مني على الخبير وليس في كل ريبة يقال ايتها العير ثم توسمت برجها وتشممت ارجها فاذا نفح روضين ولمع بدرين

رضيعي لبان شريكي عنان   جوادي رهان حليفي صفا

الوجود جسد وهما روحه • والكون ظلمة وهما يوحه • كلما رمت ان تقضي لهذا دون هذا بالفضيلة اقام الآخر حجته ودليله كالدرتين تساهمتا بقلاده فتساوتا في موضع التفضيل تذهب نفسك في الاختصاص باحدهما كل مذهب اذ كلاهما مورد عذب مهذب فتارة تجيئ وتارة تذهب وطوراً تذب حيرة واخرى تجذب قائلاً ليت شعري على من منهما اقبل وكل امجد وبلفظ من منهما احلى اذني وكل در منضد وبمن منهما لعمري انفرد وكل مفرد ان جنحت الى هذا

فهذا محمد وان ترنحت الى هذا فهذا احمد

كالفرقدين اذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد

ثم انك قد تدخل من باب المخاطرة ونقتل قرين تلك المحاورة وتمد منك عيناً ناظرة الى شارة ناضرة وهيبة ظاهرة وابهة باهرة فتراهما في المزاوجة والمباعدة يحييان بروح واحدة فحينئذ تطمئن وتأمن ان تثن لانك نظرت بعينك فزال عنها القذا وتأملتهما حق التأمل فاذا

هما في اجتماع الفضل زوج مؤلف ومعناهما من حيث يثبت مفرد

سبحان من نظمهما في اخوة الادب كما نظمهما في اخوة النسب استظلا من رياضه بالغصون الوريقة ووصلا من مجازات صناعته الى الحقيقة فتراهما يغربان فيما يصنعان ويبدعان فيما يبديان ويشتركان في صوغ البديع وينفردان ولا يكادان في فضيلة يفترقان حتى كانهما الخالديان

والله قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكات والنبراس

الرقة هما سوق رقيقها وسفح عقيقها وكاس رحيقها وكوكب بريقها ومرشف سلافة ريقها

ومعان موردها الشهي وروض عن برها الذكي ومنتهى تحقيقها

واما مجدهما الذي بلغ عنان السماء وسوددهما الذي ضرب قبابه على هامة الجوزاء فشيء لايختلف فيه اثنان وامر لاينكره العيان

وليس يصح فى الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

هو الجواد انعم على عبديه والخير كله في يديه اطاب اصلهما اصلاً وقارب بين لآلي عقد ذلك النسب فلن ترى بينهما فصلاً فلاجرم اثاف قدرهما على كل قدر وحسن نبات الارض من كرم البذر

واحسن ما كان مجد الفتى　　اذا كان يوجد في اصله

طالما كنت لهما لزيماً وان لم اساو خديماً نتحلى من المقال باللآل ونتسلى من الجمال بغزال

وقد سماه مولاه علياً　　وذلك من علو القدر فال

يا كم نظمنا في سلك ذلك الزمان دررا واطلعنا في جبهته من المحاسن غرراً وكظمنا لاحسانه بالقرب ضرراً وقضينا من اماني النفوس في رياض الطرس وطراً

وطرا ما فيه من عيب سوى　　انه مر كلمح البصر

كنت ارى السرور بقربهم برداً على جسدي محبرا واحسب انس المفاكهة معهم عقداً في جيدي منضرا واجد في يدي من ودهم سبباً وثيق العرا ثم نبذت وواحتشاه بالعرا

ليسق عهدهم عهد السرور فما　　كانوا لارواحنا الا رياحينا

معاذة الله ان يكونوا جفوا هذا المحب وهو وصول اوصفوا عن عهد مطارحة الحديث ما بين مقول ومنقول والمعارف في اهل النهي ذمم واخوان الصفا وجدان كل شيء بعدهم عدم

والحر يشتاق اياماً له سلفت　　مع الرفاق فلا ينفك يضطرب

غير اني اراهم اخلقوا ما كان جديداً من التسآل وتخلقوا ان لا يكتبوا للشوق بسلام ولو بسواد عينه فانه قد سال

وحمائم الاشواق قد تدنيه من　　غدرانه لمحابر الاحباب

كأنه قد وقع الشك بعد المعرفة او كأني لم اتعرف لهم في ذات ولا في صفة وهذا وقد اتخذتهم مغرسا لودي وموثقاً لعهدي (عجيب) يقضي ان لا اثق بعدهم من الناس بحبيب

على اي باب اطلب الاذن بعد ما　　حجبت عن الباب الذي انا صاحبه

لكن اليد قد يدميها سوارها　والنحور قد يعظها نقصارها　والمرء يشرق بالزلال البارد　والمهند يلصقه صاقله بالجلامد

وقد يقتل المرء الدواء وما به　　لك الله أمر يستراب ولا يخشى

واني وان يئست من اليوم فما يئست من الغد .ومن تعرض لنفحات الكرام وجدها لا تدخل تحت عد　والدلاء ابطؤها املؤها　وألذ الشراب ما صادف غليلاً　وانفع الدواء ما وافق عليلاً

واطيب ما كان برد الثغور　　اذا هو صادف حرّ الصدور

هذا مقام مستجير من الجفا عائذ　وموقف متوسل بعدم الوداد لائذ امالي مما تعلقت به امالي من الولاء نصيب　وقد زرعت في اطيب المغارس عوده الرطيب　حاشا ان لا احكم في القرى ووجهه الكريم خصيب

انا في ذمة السحاب واظما　　ان هذا لوصمة في السحاب

يا عجبا لسادة توفرت لديهم اسباب المكاتبه　ولم يكاتبوا هـذا العبد فيعلم انهم رفعوا مراتبه　فاما الاعتذار عن هذا فامر ان اردته تيسر　ومتى قمت في تحصيله لايتعذر　ولكن لا ازاحمهم على وظيفة التكرم بالاعتذار　واعطي القوس باريها خشية الانذار

ولا أروم بحمد الله منزلة　　غيري احق بها مني متى راما

سقياً لأولئك الايام التي ذممت بعدها العيش　ورعياً لأولئك الصحاب الذين لم الو بعدهم على جيش　فالانس انما هو بهم منوط　وللسرور في حيهم صعود وهبوط　تذكرت واوحشاه لمن تذكر　وتحسرت وليس بدعا لمثلي ان يتحسر فهل من ذاكر لتلك التحف　او متحسر على ما قد سلف

فليس يعرف قدر الوصل ذو كلف حتى يراع ببين او بهجران

كم حلت ولا اقول مرت لنا اويقات في حديث ارق من جثماني

وعلت ولا اقول غلت سويعات ادرنا بها راح المعاني في كؤوس المباني

يا ساكني نعمان اين زماننا بطويلع يا ساكني نعمان

ثم تخلفت عنهم ببلد خاق من النوى ولم تسلط عليه شاه مليكه صعلوك وصعلوكه شاه الخمول نزيل نزيله واليسر معقود بنواصي جزيله تجسد من هموم وغموم وتجسم من بذاوة ولوم

وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

صفر من اديب يبل الرويه واسفر عن ذيب لئيم الطويه فعلي م لا اسامر الحزن وفيم لا اتخذ السهد بديلاً من الوسن

لا في الديار اخو وجد نطارحه حديث نجد ولا خل نجاريه

ولعمري ما جهلت انه ليس الكريم على ضيم بصبار وان اقامة العزيز بمواطن الذل عار وان البدر يتضال فيجد في طلب الكمال فيجوزه متنقلا وان سفه الحليم ان يرضى بالمشرب الرنق منهلا

وان صريح الرأي والحزم لامرئ اذا بلغته الشمس ان يتحولا

ولكن قد يتجاور الجوهر والسخاب وقد تساغ اللقمة المحللة بجرم الشراب وهذا عزمي على الرحيل نجيز ولكن عزم القدر مطول وهل يقطع الارض ساع وهو مكبول والا فمن ذا يفضل رأس الخليج على بحر الشام الفياض واي امرئ يتخذ البلاقع بديلة من الرياض

يا سالكاً بين الاسنة والقنا اني اشم عليك رائحة الدم

نعم اذا لم اكن الى ارض عشيرتي ذا حنين فليس مكاني في النهى بمكين

والكريم يشتاق أول ارض مس جلده ترابها ونفس الحر تهوى بلدا نسبتها اليها اترابها ولكن في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وكل الصيد في جوف الفرا ومن رام الدليل كما رام وجده موفرا متى تساوت السادة والعبيد واين اتفقت الحواضر والبيد ولا اعتداد باتحاد الاعلام في بعض الاقسام

جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالمنكبوت

وظالما تمنيت والتمني رأس مال المفاس ان احظى بورودي على مورد الشام المتيجس وطمعت ان احل ذراها واجتهدت ان تبلغ النفس من ذلك مناها ثم ابت المقادير الا ان تجري مجراها

وصبابات الهوى اولها طمع النفس وهذا منتهاها

قاله بفمه وكتبه بقلمه الفقير احمد الحلواني الخليجي

(ومنها) ما ارسل به حضرة السيد المفضال رب المحاسن والكمال الاديب الاوحد والعالم الفاضل الامجد صديقنا الشيخ علي غزال احد العلماء الازهريين وحبر شيبين وهو هذا الخطاب العذب المستطاب الذي تضمن تشطير القصيدة المدحية لابي الحسن السكتي حفظها الله تعالى

بعد التسمية والتحميد والصلاة على رسول الله المجيد فاني اقبل تراب ارضكم الشريف واهدي اكمل التحيات لذاك الجناب المنيف

واشتاق للمغني الذى انتم به ولولاكم ما شاقني ذكر منزل

هذا وقد خدمت القصيدة المشحونة بجواهر شيم سادتي حسب امكاني وطاقتي وكنت اود ان اخدمها تمام الخدمة لو استطعت الى ذلك سبيلا ولكن هذا جهد المقل وان كان قليلا والمرجو من السيادة القبول بلغنا الله بكم المأمول وقد قلت لما وردت على هذه القصيدة البهية

سرت والليل مسدول الخيام | فمزق ضوئها ثوب الظلام
فتاة تدهش الالباب حسناً | ويخجل وجهها بدر التمام
بدت تختال في ظرف ولطف | وتخطر في انعطاف وابتسام
يرينا لحظها سحراً حلالاً | ويفعل لفظها فعل المدام
فيالله الفاظ تحلت | بانواع البديع والانسجام
ويا لله الحاظ اذا ما | رنت ورمت فلا تخطي المرامي
أهل لي ان اواصل بنت فكر | فان وصالها اقصى مرامي
وقد شهدت شمائلها ودلت | لدينا انها بنت الكرام
عقيلة فاضل فطن ذكي | كريم ماجد بطل همام
عريق في المفاخر المعي | هضيم النفس مرفوع المقام
هو السكتي مشهور المزايا | اديب الشام شاعرها العصامي
علقت بحبه مع بعد داري | ألا هل من يبلغه سلامي
جزاه الله عنا كل خير | واعلى قدره بين الانام
صلاة الله والتسليم دوماً | على طه المظلل بالغمام
وآل ثم اصحاب كرام | ونسأل ربنا حسن الختام

« وهذا هو تشطير القصيدة »

(تباهت بلاد الشام وافتخرت مصر) | ونال بكم اوج العلا ذلك العصر
ولاغرو ان تسمو العصور واهلها | (بكم يا بني عبد الجواد ولا فخر)
(فان لكم شأناً عظيماً يدلنا) | عليه المزايا الزهر والشيم الغر
وقد برهنت لما عدمنا نظيرها | (على ان في ذا العصر امثالكم نذر)
(ماآثركم جلت وقد شهدت بها) | عداكم واني يستطاع لها ستر

أيمكنهم كتمان ما شهدت به (عدول بني الدنيا وزكاهم الدهر)
(واورثتموها عن ابيكم وجدكم) فما قرّ الا في معادنه الدر
وربيتموها في مهاد ولائكم (وتم لكم دون الانام بها خبر)
(فلو عرفت اوطانكم قدر فضلكم) اضنت بكم اذ ربعها بعدكم قفر
ولو لم تحز الا افتخارا بقربكم (لما كان منها جائز لكم الهجر)
(ولم تحسبوا في غيرها اهل غربة) فكل مكان يستجاد به القطر
كذلك لم ترخص غوالي صفاتكم (فحيث يكون الدر يلفى له سعر)
(وما ضركم عنها الجلاء وانما) اضرّ بها اذ فاتها اليمن والبر
وما زدتموا الا علوا فانه (يزيد كمالا في تنقله البدر)
(ولا تهنوا فيما جرى فمحلكم) رفيع منيع ليس يلحق الضر
وما زلتم الاعلون ان مكانكم «لدى كل ناد قد جللتم به الصدر»
«خرجتم بمكر سيئ والذي بغى لعليائكم غدرا يحل به الغدر
ولم يدر جهلاً ان من كان ماكرا «عليكم بلا شك يحيق به المكر»
«وليس لكم عيب على زعمه سوى مجامر فضل عاد منها له نشر
توهم ان تطفى ولا يعقل انطفا «مكارم اخلاق هي الانجم الزهر»
«على ان من اعمى بصيرته القضا يعود عليه من تدابيره الخسر
ومن كان من نور البصيرة عارياً « يكون سواء عنده الخير والشر»
(الا ياسراة المجد دام محبكم سعيدا له بين الورى الامن والنصر
وان كان ذا ذل يعود بحبكم «عزيزا ومن ناواكم فله القهر»
(حماكم لقد اضحى بكم كعبة الهدى) يحج اليه من اريد به الجبر
وروض ثوى فيه ابوكم وجدكم (زيارته فرض على من له حجر)

(وحاصل ما ابديه في حسن حالكم) مفصله لا يستطاع له حصر
ومجمله حسب الذي قد رأيته (وما في معاليكم تصوره الفكر)
(تفردكم بالعلم والحلم والتقى) وجود سرى في الخافقين له ذكر
ومحمود اخلاق ارق من الصبا (ومن كان هذا وصفه فله الشكر)

وقال ايضاً

ومن لي ببيروت وسكان ربعها ومن لي باحباب هم الروح والقلب
ومن لي بسادات هم الجاه والغنى ومن لي بامجاد بهم يفرج الكرب
فيا رافع السبع الطباق وباسط الا اراضي ويا من للعباد هو الرب
ازل خطبنا واجبر بفضلك كسرنا فعندك يا مولاي لا يعظم الخطب

ومنها ما بعث به حضرة الاديب الفاضل واللبيب الكامل نسل الاكابر الاكارم سلالة البضعة الطاهرة من آل هاشم السيد حسن احمد قاسم وهو عدة جوابات تشتمل على اراجيز فائقة وقصائد ومقالات رائقه فمنها قوله في ارجوزة سهلة الانسجام لا تخرج عما يقتضيه الحال والمقام

الحمد لله شديد الباس مقدّر البعد والائتناس
احمده يقرب البعيدا ويجمع الملوك والعبيدا
وينصف المظلوم من ظالمه فهو بديع الحكم في عالمه
ثم الصلاة دائماً على النبي الهاشميّ القرشيّ العربي
وآله وصحبه الاطهار السادة الاماجد الابرار
ثم السلام من اخي الاشجان على ضياء اعين الزمان
حياة روح المجد والكمال ومصدر الاسرار والمعالي
ادام رب العالمين مجدهم يسمو وفي الدارين اعلى سعدهم

وبعد فالاشواق للتلاقي | على شروط العهد والميثاق
ماحلت عن عهدي الذي عهدتم | ولا عن الود الذي علمتم
وكيف والحب وجسمي ركبا | تركيب مزج والهوى قد غلبا
لا كنت ان كنت عن الوداد | يا سادتي قد حلت في البعاد
والله ما ذكرتكم بخاطري | الا ودمعي قد جرى من ناظري
وهذه يا نور نور اعيني | هي سنتي ما غبتموا وديدني
طوارق البعاد شيبتني | وكل مثلني حيث كلمتني
فلا سواكم خاطر بالبال | وليس فيه الفكر في مجال
وهل تلذ النفس بعد البعد | بلذة سوى اقتحام الوجد
فها أنا ملازم للشجن | وغرض يرميه نبل الزمن
ملازم للسهد في الديلجي | مرتقب للكوكب الوهاج
حتى اذا صار أذا عيوني | وشدت الاهداب بالجفون
اغيب عن مواقع الحس | كأنني به لقيت رمسي
حيث بكم يضيء هذا النادي | لأنكم كواكب الارشاد
ونور فضلكم علا عن نوره | فانتهز الفرصة في ظهوره
مع انه استمد من بهاكم | بهاءه ومن سنا علاكم
وما سرى من نحوكم نسيم | الا وقلبي للقا يهيم
حيث اكتسى الرقة من اخلاقكم | واعتل من شوق الى جنابكم
لذا نراه اذ يمر يلثم | ارضا عليها كنتم قد جزتم
ومذ رأيت حاله كحالي | من البعاد صار غير حالي
ابديت ما بخاطري اليه | وما به اطلعته عليه

فصار كلما يجوز حيّ — يحيي فؤادًا اذ به يحيي
وصرت كلما يجوز اسالُ — عنكم فعنكم يحرم التحول
وحقكم لولا الاماني باللقا — تجاذب المضنى الذي قد احرقا
لذاب حتى لا يراه الناظر — لكنه على البعاد صابر
ما كان ظني هكذا فعل النوى — يهدم من جسم المحبين القوى
حتي اتى بخيله ورجله — وهدّ أُس صحتي من اصله
والبس الجسم ثيابًا من مرض — قد حل في الجوهر منه والعرض
وكل ذا والله عندي سهل — فالعيش بعد بعدكم لا يحلو
وانني لا استطيع وصفًا — لما فؤادي من نواكم شفا
فدون هذا القصد اقوى حائل — تلهب اليراع في اناملي
وان اردت وصفه لسائلي — اشرق في بحر الدموع السائل
وان اردت كتمه من الفكر — ابرز سقمي ونحولي ما استتر
فيا فؤادي اصبر فان الصبرا — اولى لدى كل امرئٍ واحرى
وانه لا شك حلو العاقبة — مساعدًا في هول كل نائبة
فقلّ ان يجدي سواه للفتى — اذا له هول الزمان قد اتى
فكم رأينا في تواريخ الأُولى — شهمًا باهوال الزمان مبتلى
قاسى من الخطوب ماقد قاسى — كم شام منها شدة وباسا
فاتخذ التفويض دومًا منهجًا — فزال ما قد كان فيه ونجا
فبعد عسر يحدث الرحمن — يسرًا كما يشتاقه الانسان
وليس هذا الامر بالعجيب — ولا على الاذهان بالغريب
علمنا تجارب الزمانُ — اموره باوضح البيان

أنَّ دوام حالة محال فكل حالة لها زوال
فليطمئن قلب سادتي فما قدغاب خالق الاراضي والسما
وقد رضينا قسمة الجبار فينا وفعل الفاعل المختار
فمذهب التسليم اولى والرضا بما جرى به على العبد القضا
فليس شيءٌ في الانام يمضي الا وكان للاله مقضي
وكل تدبير سوى تدبيره للعبد لا ينفع في تحريره
فبينما الانسان في افكاره يجول اذ قد حف بالمكاره
حتى اذا حقق عجز نفسه وانقطعت آماله من ياسه
وسلم الامور للرحمن ولم يكن يوماً سواه عاني
اتاه منه اللطف يسعى بالفرج ونال اسنى ما يرام وابتهج
يارب طول البعد ابدى الضنكا وانقطع الرجاء الا منكا
فالطف بنا يارب لطفك الخفي يامن يرى ماقد بدا وما خفي
واردد لعيني مصر انسانيهما من فيض لطفك البهيّ بهما
هذا ولا تخفى على ساداتي من بعدهم وان نأوا حالاتي
وقد كتبت ذا الجواب مودعا به بيان بعض ما بي وقعا
كتبته بحبة الفؤاد فقد اذابها نوى اسيادي
لعله يقبل الاقداما نيابة ويقرئ السلاما
هذا واهدى خير تسليم الى اتباع ساداتي الكرام النبلا
وان آل سادتي كما يرام في سؤدد واكمل انتظام
اقر مولانا عيونكم بهم بجاه خير مرسل ومعتصم
عليه دوماً افضل الصلاة وآله وصحبه الثقات

وله قصيدة أخرى همزية وهي هذه

تختال دون البانة الهيفاء فتظل تعبر في رداء حياء

وتميط في الظلماء فضل خمارها فتكاد تمحو آية الظلماء

سكرى وما احتست السلاف وانما سكر الحسان بخمرة الخيلاء

احراسها اسدٌ روابض دونها لرماحهم اذن الى الاصغاء

جعلوا الرماح اكلة لحفاظها فرماحهم وهموا من الرقباء

واذا دنا منها خيال ايقظوا افعى الرماح ومقله الهيجاء

فركبت متن الشوق حتى جئتها والموت دوني والحياة ورائي

والنفس عن ماء الاناة عفيفة ماء الاناة لغصة الخنساء

ايقظتها فتناومت عني وقد سترت محياها بفضل رداء

فامطت حاشية الردا فتقنعت بيد مجسمة من الاضواء

واذا الذي حجبته غير محجب لا تحجب الافلاك وجه ذكاء

فكان مصقول البنان زجاجة نمت لطافتها بسر الماء

فلثمتها حتى تضرّج خدها وهصرتها حتى خبت احشائي

حتى اذا ما الليل مزق ثوبه ورمى جناح الصبح بالانواء

اخفت لجارتها الحديث لعلها تضع الدواء على محل الداء

فقضت لبانتها هنالك وانثنت تمشي رويداً خشية الاعداء

فكأنما بنتا شعيب اقبلت احداهما تمشي على استحياء

واذا بها انتضت العقيرة عن دجى خفيت لديه محجة الارجاء

فخرجت اعدو والفتاة كأنها ثكلى تشيع ميت الابناء

ومررت حيث الاسد رابضة فلم ترني روابضهم وهم تلقائي

لله ليلتنا وان قصرت فقد كانت شهاباً في دجى الآناء
فكانما عهد الشبيبة والصبا مرحاً وعهد مسرة الجهلاء
كانت كآونة غبطت بها بني عبد الجواد السادة الاكفاء
اسدٌ متونُ الصافنات عرينهم ودم الكماة لهم مناهل ماء
لا يهجعون على قذى بجفونهم او نقذ مقلة تبرهم بصداء
يتدرعون بدرع باس في الوغى والوافدون لهم بدرع رجاء
يهبون للموتى حياة نفوسهم لو تقبل الموتى من الاحياء
تفتر للجدوى نواجذهم اذا بسط العفاة اكفهم لحياء
رمقوا الى العلياء رمقة محنق والحر مطمحه الى العلياء
واستنهلوا عين السخا فاتأقوا منها مزادهم بغير رشاء
لا يستفز قلوبهم مرح ولا يتضاءلون لفجأة البرحاء
لو ينتضون صوارماً اغمادها افواههم وثبوا على الجوزاء
وكأنهم فلك وشهب الحزم في ارجائه تجري بكل قضاء
فلطالما وثبت على اعدائهم قبل الكماة كتيبة الآراء
ولئن تكن افلت كواكب قربهم فلقد بدت من فكرنا بسماء
عهدي بهم وهم بمصر اعزة وهموهمو في ساحة الزوراء
ان الصوارم تنتضي من غمدها والشمس ليس لهما محل ثواء
فليسحبوا فضل البرود على السها وليجدعوا انف الاسى بثناء

(الفقير حسن احمد قاسم الآتي)

وله جواب آخر وهو

ممن افضى به شوقه الى ما لا يحمله طوقه . وافرط به وجده المديد حتى انكره

الطارف والتليد من في عرصات قلبه خرائد التذكار قد رقصت وعلى افنان قلة اصطباره بلا بل هيامه صدحت وغدت خاصة جفونه العبرات وخاصة قلبه التلظي بنار الحسرات وخاصة جسمه النحول وخاصة لسانه هذا المقول

دهرنا اضحى ضنينا بالالقا حتى ضنينا
ياليالي الانس عودي واجمعينا اجمعينا

(حسن احمد قاسم) الى من حازوا قصب السبق في كل ميدان من ذهنهم غاية لمرمى هدف البيان مطمح الهمم ومنتهى منية الامم من الى الله تعالى اخذوا الاسباب الناجحة واليه سبحانه ركبوا جياد الاعمال الصالحة قدوة من قد سلكوا سبيل الرشاد اسيادي بضعة قطب الاقطاب سيدي الشيخ عبد الجواد ادام الله مجدهم واعلا في الدارين سعدهم آمين

وبعد تقبيل الراحتين الكريمتين وتسليمات مهداة على كف النسيم من دارين فلقد طالما بكت الشهب رحمة لبكائي ورثى لي الداني منها والنائي فأن جفوني لم تزل محجوبة عن الكرى بطول هذا البعاد وقد تحكم فيها بعد ان مد سرادقه عليها جيش السهاد وكثرما تيممت نحو الديار لبث آلام التذكار فاراها ترشدني كما ترشد نفسها الى الاصطبار ومنها ينشدني لسان الحال هذا المقال

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

حتى اذا رجعت الى مقامي صورتكم الذكرى امامي فارى للزفرات صعودا وهبوطا وللعبرات على المحاجر خطوطا وكأنه لم يكن منها هذا الارشاد والمرؤ لا يخفى على ما اعتاد شعرا انشا

نعم شيمتي عند الشدائد انني صبورٌ ولكن في هواكم لي العذر
فمن مزجت حباً حشاشته بكم محال لعمري ان يكون له صبر

ولم ازل بين جفن يدمع ولبّ من فرط مالاقى يتصدع حتى لهجت الناس بانه عن قريب تتبدل الوحشة بالايناس وتزول الغياهب وتنكشف السحائب وتتبدل الاطوار و يصفو الزمان من الاكدار فلم ابرح عندذلك انوح وانشد قول ابن مطروح .

قالوا اللقاء غداً بمنعرج اللوا　　واطول شوق المستهام الى غد

وبالجملة فاقول حيث عز الوصول

خليليّ لا والله ما الدهر منصف　　وليس له يوماً عليّ جميل

يقرب مني كل شخص كرهته　　و يبعد عني من اليه اميل

اقرّ الله اعيننا بكم في احسن الاوقات وابرك الدرجات هذا وبعد كتابة الجواب لذوي الدرجات خطر ببالي ان اكتب بعض ابيات فقلت

عهودي يوم الترحل حلوا　　عند ما بالواد المقدس حلوا

واباحوا دمي فاني اراهم　　حرموا الوصل والصدود احلوا

لو ملوك الجمال راموا ودادي　　ما دعوني بلا وداع وولوا

واباحوا الى العواذل عرضي　　عزلوا فيه كيف شاؤا وولوا

هم سلوني لكن وحق التصابي　　عن هواهم وحسنهم لست اسلوا

وعلى حبهم اموت واحيا　　واذا هم عني بغيري تسلوا

كيف اسلو قوماً ربوع المعالي　　بسواهم لا تستعز وتعلو

هم سراة الجلال والمجد فيهم　　دولة هم بها ملوك واهل

سلكوا مسلك السلوك فذلت　　لمعاليهم صعاب وسهل

هذا وللمشغولية وقت تحريرالجواب لم اعطه حقه في الاسهاب والاطناب والامل من مكارم الجناب تشريفي بورود رد الخطاب فانه يكشف بعض

ما بي من الاحزان والاشجان ولا بدع ان لم اسعف ان اشرب من كأس كل من عليها فان لازلتم غرة في جبهة هذا الزمان وشمس فضل يستضيئ بها جميع الاكوان

وله جواب آخر يتضمن تشطير قصيدة ابي الحسن الكستي المتقدم ذكرها وهو هذا

مني السلام عليكم ياسادتي ياسادتي مني السلام عليكم

اشواقي الى سادتي لا تحصي ولا يمكن ان تستقصى وهيهات ان اقدر على التعبير عما حواه الضمير فلو عبرت عنه بكتابة لاحترق اليراع في الانامل ولما وسعت القراطيس هاتيك الرسائل وحالي شاهد عدل على ما في الفؤاد وان اردت كتمانه ينم به الدمع والسهاد وان كان عند سادتي شك فيما اقول فليسألوا قلبهم فان القلب للقلب رسول

قلوب العاشقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

هذ وابدي لسادتي مطالع الجود ومعادن الكرم وشمس الوجود انه قد وردت اليّ القصيدة الغراء الشامية المحتوية على ذكر بعض مزاياكم السنية المنسوبة لحضرة العلامة الفاضل والفهامة الكامل الشيخ الكستي ومذ ابصرتها وجدتها غادة رشيقة القوام ومعانيها حور مقصورات في الخيام فاردت تشطيرها خدمة لذكر خصالكم الحميدة فقلت وبالله إستعنت

(تباهت بلاد الشام وافتخرت مصر) واضحى على هام السماك لها قدر
ولاحت عليها للسعود بوارق (بكم يابني عبد الجواد ولا فخر)
(فان لكم شأناً عظيماً يدلنا) على انكم غيث ومن دونكم قطر
ومن مثلكم حتى ندل بشأنكم (على ان في ذا العصر امثالكم نذر)

(مآثركم جلت وقد شهدت بها) لكم في السموات الملائكة الغر
كما شهدت في الارض ايضاً بفضلكم (عدول بني الدنيا وزكاهم الدهر
(واوارثتموها عن ابيكم وجدكم) هداة البرايا من سما بهم السر
ومن بحر تقواهم هدايتكم نمت (وتم لكم دون الانام بها خبر)
(فلو عرفت اوطانكم قدر فضلكم) لما عاقها عن ان تصاحبكم امر
ولو تستطيع الوصل مع بعد حيكم (لما كان منها جائزا لكم الهجر)
(ولم تحسبوا في غيرها اهل غربة) ففي اي جيد لا ينتقص الدر
وانتم اعز الناس حيث حللتموا (فحيث يكون الدر يلفى له سعر)
(وما ضركم عنها الجلاء وانما) طوايا معاليكم اريد لها النشر
وما ذاك نقص في رفيع مقامكم (يزيد كمالاً في تنقله البدر)
(ولا تهنوا فيما جرى فمحلكم) من المجد عال دون غايته النسر
وكالشمس علياكم تسير فانتم (لدى كل ناد قد حللتم به الصدر)
(خرجتم بمكر سيء والذي بغى) سيصرعه من بغيه السيء الغدر
دعوه لمكر الله من ساء مكره (عليكم بلا شك يحيق به المكر
(وليس لكم عيب على زعمه سوى) اياد تفيض الجود اذ يبخل البحر
ونور رشاد فيكم دلنا على (مكارم اخلاق هي الانجم الزهر)
(ولكن من اعمى بصيرته القضا) يضل على علم وفي يده الفجر
ومن انكر الشمس المضيئة في الضحى (يكون سواء عنده الخير والشر)
(الا ياسراة المجد دام محبكم) بطلعتكم في وجهه يضحك البشر
فمن يعتصم بالحبل من ودكم يعش (عزيزا ومن ناواكم فله القهر)
(حماكم لقد اضحى بكم كعبة الهدى) فمن حجه لبى مقاصده البر

منى الناس فيه والصفا فهوما أمن	(زيارته فرض على من له حجر)
(وحاصل ما ابديه في وصف حالكم	الى جنب ما اخفيه من وصفه نذر
تصورت الالفاظ علياء غيركم	« وما في معاليكم تصوره الفكر »
« تفردكم بالعلم والحلم والتقى »	وكل كمال منه يستنشق العطر
خليق بان لا يشكر الناس غيركم	« ومن كان هذا وصفه فله الشكر »

هذا وارجو الغض عما يوجد فيها من الهفوات فاني قليل البضاعة في هذه المقامات وقد كنت قبل ورود القصيدة الشامية انشأت قصيدة همزية قياماً بواجب حق اسيادي علي ولتعتذر عني فيما ينسب من التقصير الي وهي بنصها الرائق ولفظها الفائق في الخطاب الآخر ارجو تشريفها بالقبول فهذا غاية مهرها المأمول حسن احمد قاسم الآبي

وهذا جواب آخر لحضرته ايضاً

سلام ازكى من النسيم واحلى من العافية على بدن السقيم ممن اعتاد السهام لبعد احبته وانقدت جوانحه لفرط محبته ونمتْ يوم بينهم من بين اخدانه حسراته وغدت عبرةً لمن يعتبر عبراته ولم يدر هل قلبه على آثارهم واقف اوكرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف من قادهُ الغرام حتى افضى به الى السقام ولم تحوله عن محبته الوحشة بعد الايناس وان لم يُبقِ منه الحبُّ سوى جسم مجرد عن الحواس بل قيد غرامه وان نأوا لم يزل قيده وعهد محبته وان تقادم لم يزل عهده فلم يقبح فيظهر مينه بعد بعدهم بل حسن صادق في محبتهم بالنسبة الى محبة غيرهم انشاء

همُ الاحبة لا انسى ودادهمُ	في تينك الحالتين القرب والبعد
هل بعد ان رسمت في القلب صورتهم	ينمى المتيم ما قد كان من ود

هم هم ان اقاموا وان ظعنوا وفي محبتهم ما زلت ذا وجد
هم سلموا مهجتي للحب وارتحلوا عني ولكن عهدهم لم يزل عهدي

الى حضرة من احرز واقصب السبق في كل ميدان . وذهنهما غاية لرمى هدف البيان مطلعي الجود، ومقصدي الوفود من قصرت الانام عن الاحاطة برفقة مثاليهما وعجزت الاقلام عن تسطير حسن مساعيهما ربي الهمة المقصورة على تشييد بناء المجد الممهود عليها كما شاءت سرادق السعد من انخفضت كل همة عن ادراك ادنى فضلهما وقصر كل وصف عن الاحاطة بايسر فواضلهما فليس يجاريهما في ميدان الجود جواد ولا يباريهما في ارتياد السعادة مرتاد انشاء

وما كل امرئ سل سيفاً بباسل لا كل سيف سل من جفنه عضب

العلامتين الجليلين والامامين الفخيمين غرتي الزمان وينبوعي الاحسان المستنيرة بهما اودية الطريقة حيث شربا من كأسي الشريعة والحقيقة وتوالت منهم واليهم الامداد سادتي بضعة الاستاذ الشيخ عبد الجواد لا زالت بآيات علياهما تفتخر الايام وبتسطير مديحهما تبتسم الاقلام ولا برحت دوحة فضلهما العميم يجنى من ثمارها كل ظاعن ومقيم

وبعد فان للزمان حظوظاً جمة بتنوعها اختلفت في درجاتها هذه الامة فهذا مصيب حظه كثرة المال وذلك حظه كثرة الرجال وهذا صحيح وهذا عليل وذاك مصاب بكثرة القال والقيل وان هذا الدهر مع اختلاف حظوظه في الدرجات وتفاوتها كما هو مشاهد في الطبقات لم يكن لي حظ منه سوى بعد الاحبة بعد ان تمكنت اشد التمكن في فؤادي المحبة

قسم الدهر حظه فمن النا س مصاب ومنهم من يصيب

وسوى فرقة الاحبة مالي　　وغرامي من الزمان نصيب

استغفر الله اذ نسبتكما للبعد وانتما حاضران و بين الجوانح كما اراكما بلا ريب مقيمان يد التذكار لمقلتي تمثلكما على فرض اني اتناساكما فكيف ادعى بعد داركما وهي الجوانح او بعد شخصكما وضوء محياكما واضح فلولا محياكما ما ازدان النهار بغرة الاصباح كما انه لولا ما انطوت عليه طواياكما ما اورقت اشجار الصلاح ولكني جاريت من سلف في شكوى الفراق عند تزاحم جيوش الاشواق ولهذا دعاني الحال الى انشاء هذا المقال

ومن عجب اني احن اليهمو　　واسأل عنهم دائمًا وهمو معي

وتبكيهمو عيني وهم في سوادها　　و يشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

واني وان اظهرت للناس صبري فلا يخفى عليهم امري فان جسمي يشهد بحالي وانه غير حالي

بادٍ هواك صبرت او لم تصبرا　　وبكاك ان لم يجر دمعك اوجرى

كم عزَّ صبرك وابتساما صاحبا　　لما رآه وفي الحشا ما لا يرى

امر الفؤاد لسانه وجفونه　　فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا

هذا ولما هزتني الاشواق الى يوم التلاق حررت هذا المكتوب لعله في القاء التحية ينوب راجيًا من سادتي اسعافي بخطاب يطمئن به على معالي الجناب فكاتبوا عبدكم فقد قل تدبيره وعز نصيره ولازمه السهاد وحرم عليه الرقاد ولازمه السقام فصار ينشد قول ابي تمام

رقادك يا طرفي على حرام　　تخلّ دموعًا فيضهن سجام

ففي الدمع اطفاء لنار صبابة　　لها بين اثناء الضلوع ضرام

و يا كبدي الحرّا التي قد تصدعت　　من الوجد زدني ما عليك ملام

قضيت زماناً للهوى كان واجباً علي ولي ايضاً عليه زمام

وقوله وكأنه حكى عن لساني .

لقد خلق الله الهوى لك خالصاً ومكنه في الصدر مني بلا غش

سل الليل عني هل اذوق رقاده وهل لضلوعي مستقر على فرش

تبرّا الهوى من كل حي وحل بي فان مت فاطلبوه على نعشي

وقوله وقد دبّ على المعنى فاحسن المبنى

هذا هواك وهذه آثاره اما الفؤاد فما يقر قراره

يصل الانين بزفرة موصولة بغليل شوق ليس تطفي ناره

ودعي الدموع فاقبلت منهلة شوقاً فذاك قصارها وقصاره

من طرف ممتنع الرقاد متيم ارق سواء ليله ونهاره .

وقوله وقد اجاد ووفى بالمراد .

صبرت عنك بصبر غير مغلوب ودمع عيني على الخدين مسكوب

صيرتني مستقرا للهوى وطناً للحزن يا مستقر الحسن والطيب

لئن جحدتك ما لاقيت فقد صحت شهود تباريحي وتعذيبي

بزفرة بعد اخرى طالما شهدت بأنها انتزعت من صدر مكروب

هذا وبالجملة ان ما بي لا تستطيع بيانه العبارة ولو كتبته لفني القلم والورق فاكتفيت بالاشارة اسأل الله بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع ان يرينا وجهكم عن قريب بجاه الحبيب لا زلتم في صحة وعافية ونعمة من الله الكريم وافية ولا برحتم بعز وجاه والسلام عليكم ورحمة الله

وفي هذا القدر من خطابات هذا الاديب الحسيب النسيب كفاية نظر الله الينا واليه بعين العناية .

ولقد وردت الينا قصيدة رائية تعارض قصيدة ابي الحسن الكستي للاديب الماهر والشاعر الناثر سلالة الاكابر الامجاد وخلاصة الاكارم الاجواد حضرة السيد عبد الرحيم الطهطاوي نجل الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبد الرحيم اخي الشيخ احمد عبد الرحيم العالم الشهير والعلم المفرد الخطير علامة عصره واديب مصره محرر الوقائع المصرية سابقاً عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان واسكنه في أعلى فراديس الجنان وهذه القصيدة المشار اليها بالتمام رافلة في حلة البها والانسجام

الا يا بني عبد الجواد ولا فخر ... سكنتم بلادا حلها العز والفخر

تباهت بلاد الشام وافتخرت بكم ... وصيتكمُ صارت به الانجم الزهر

حرمتم بلاداً من جليل مآثر ... كعقد جمان يستزين به النحر

واعمرتمو بيروت بالعلم والتقى ... فلا حرمت من طيب انفاسكم مصر

سقى الله ارضاً قد حوت نعل سادة ... سحائب لم يقرن باهماتها خسر

وجازى اناساً قد تفاحل امرهم ... بهون عذاب دونه الشرر الحمر

اهانوا بني الدنيا لتشييد ملكهم ... وما علموا ان الاله له الامر

يعز رجالاً كيف شاء بحكمة ... ويخفض اقواماً وما عنده غدر

اهانهموا من لا مرد لحكمه ... وليس لهم برٌّ يقيهم ولا بحر

فقد سلكوا في خطة الجور مسلكا ... تسابق في ميدانه الغيُّ والكبر

وساءوا ظنوناً بالكرام واوقدوا ... لظى النفي في شام له الحمد والشكر

فحكمهمو ضر وعدلهمو اذى ... وخيرهمُ شرًّا فلا حبذا الخير

وحلمهمو حمق وسؤلانهم عمى ... وعلمهمُ جهل ترأسه الغمر

يدارجهم حلماً و يسقيهم الردى ... وينجهم ذلاً يضيق به الصدر

ويمهلهم عدلاً و يأخذهم عنى ... بما عملوا فينا وليس لنا وزر

اولوا العزم قاسوا فى الشدائد كربة وساروا قفاراً دونها السبل الوعر
مراتبهم قد خلدت في صحائف فدونكها عدا اذا أمكن الحصر
ولا عجب اذ كان هذا لسادة ترقوا بما لاقوا وصار لهم ذكر
فصبراً مراة الحي ثم تصبراً فان اصطبار المرء يعقبه الجبر
وذلك مقسوم بقسمة عادل فلا تجذعوا ان الزمان له مكر
فمجدكم باق مدا الدهر لم يزل وفضلكم قرت له البيض والسمر
فعلم ولا جهل وسعد ولا شقا ونفع ولا ضر وخير ولا شر
وانتم هداة الناس في كل مرتع وانتم عماد الدين لفظكم السحر
وشمس علاكم فى السماء منيرة وعقد حلاكم لا يضارعه الدر
أئمة خلق الله بغية طالب بكم سعد الاهلون وابتهج العصر
افضتم سجال البذل في كف مجتد ولم يشنكم عما يزينكم الفقر
فمن رام عزاً والتجا بجنابكم يعز فلا زيد يرام ولا عمر
وما شهرة الطائي بحاتم وقته لشهرتكم الا كمن مسه الضر
شربتم لبان الجود في زمن الصبا وسارت بها الركبان وانقشع العسر
ولا عيب فيكم غير ان رحابكم محط رحال المعوزين ولا نكر
ركبتم مطايا العز في طلب العلا وخضتم بحار المجد يقدمكم نصر
لكم همم عن حصرها كلت الورى وعن كتبها الاقلام اوقفها الحبر
مآثر لا تخفى على كل ذي بصيرة وهل تنكر الشمس المضيئة والبدر
ورثتم فخاراً عن ابيكم وجدكم وحزتم وقاراً لا يبدده الدهر
وكل كمال صاغه شرح حالكم جدير بأن يصغي لادراكه الفكر
وتلك خصال لا تفي بمقامكم وان بالغ المداح فهو لكم نذر

وعيّ لساني عاق عنكم رسائلي   وحسن جناني كان فيه لكم اجر
وهذي عروس في ثياب بهائها   تزف اليكم والقبول هو المهر
سلام به عبد الرحيم يخصكم   وابهج تسليم يضوع له عطر

ولقد سبق منا التنويه بذكر من شطر هذه القصيدة من الادباء المصريين. (ومنهم) حضرة محمد افندي رشوان وحضرة الشيخ عبد اللطيف حمد المسعودي

وهذه جملة مكاتبات وردت الينا ونحن ببيروت من محروسة دمشق لحضرة الاديب المجيد صاحب الطالع السعيد والخلق الحميد اخينا الشيخ عبد المجيد الخاني المتقدم ذكره في هذه الرحلة اعطاه الله من الخيرات اعظم نحلة وهذه صورتها مرقومة بصفتها الموسومة

الحمد لله وحده

مغبة اداء وظيفة الدعاء بان يحفظ سروركم. ويلحظ بالسعادة اموركم فقد وصلت ببركتكم الى دمشق على اجنحة السلامة والكرامة ومن فرط فضله سبحانه احلني دار المقامه فتواردت لتهنئة الداعي بالقدوم الاهل والاجانب واقبلت الاحباب من كل جانب فلم ار فرصة لتحرير الافادة عن وصولي وان كانت هذه الفرصة هي غاية مأمولي ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقد حيل بين العبد وبين ما يملكه حتى جسرت على ترقيم هذا الرقيم رغبة بالسؤال عن رفاهة مزاجكم المستقيم ورعاية لصحبة قويمة ومحبة صادقة قديمة وتحصيلاً لادعية مستجابة خصوصاً اوقات الاجابة راجياً غض النظر عن قصوري بعدم وداعكم وقلة قيامي بحقوق ودادكم وقلة لياقة هذا الجواب المستعجل بمقامكم المحترم المبجل وفضلكم المصان بحوله عز وجل وكيف لي بذلك وقد اتاكم الله من العلم ارجحه ومن الرأي انجحه ومن القول افصحه

ومن العمل اصحه واتاني من القصور اكثره ومن العلم اقله وهذه علة وقفتي عن سرعة الخطاب واعظم بها من علة ومني تبليغ التحية الوفية الطيبة والاشواق الوافرة الصيبة لحضرة العلامة الفاضل الشيخ محمد افندي عبده والفاضل الالمعى السيد ابراهيم • ولا بأس باهداء ذلك الى سيدي الهمام الشيخ احمد افندي القباني واخص بمثل ذلك ان شئتم عزتلو عبد القادر افندي الافخم • وما اجدر مولاي المحترم فخر الاكابر الحاج محيي الدين افندي حماده • وناهيكم بمولاسيے السيد الحاج ابو تراب • ومن حواه المقام من الاحباب والاصحاب والله يحفظ وجودكم ويؤيد بالملائكة سعودكم والسلام عليكم ٢٦ جماد اول سنة ١٣٠٠

وله ايضاً هذا الجواب

الحمد لله وحده

المعروض • بعد اداء الدعاء المفروض • واهداء التحية الطيبة • والاشواق الصيبة • اني تلقيت بيمين اليمن والتعظيم • عقود لآلي ذلك التحرير النظيم • (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) • فاذا هو رقيم نضير عديم النظير • ادهشني بحصافته وفصاحته • يعجب السامع من وصفي له ووراء العجز ما لم اصف • وسرني اذ بشرني بقبول تحيتي • وحفظ رابطة مودتي ومحسوبيتي (شعر)

روى نسيم الصبا عن مصرلي اثرا   عن خير من نظم العرفان او نثرا
ان الرقيم له عين الرضا نظرت   فيا رعى الله تلك العين والاثرا

وحفظ الله تلك السجية السنية • والاخلاق المحمدية الاحمدية • كيف قابلت الخذف بالدر • وعاملت الرقيق بارق اخلاق السحر • ولقد ساءني خبر انحراف مزاج سيدي صاحب المقام الجوادي المحمدسيے • ثم زال عني

بشري برؤه ما اجده ٠ لاسيما عند مجيء الشيخ حسين افندي وبادرت بتقديم هذا الرقيم وانما تأخر لكون بصري كان كليلاً قليلا ٠ ولاجل قلبك لا اقول عليلا ٠ مستجلباً بذلك خواطر سادتي ومواصلة مراسلاتهم ٠ ومستمطراً انواء انوار توجهاتهم في خلواتهم وجلواتهم ٠ لا زال مقامهم موفقه غير موقفه سكناته وحركاته ٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢٦ رجب سنة ١٣٠٠

وهذا جوابه عن اللغز المتقدم لاخي الشيخ احمد

الا لبيك قد برح الخفاء ... وحق على مودتي الوفاء

لقد اتى الحبيب علي لغزاً ... به آيات لطف واعتناء

به الفات حسن ثم لام ... وقاف ثم ياء ثم تاء

مسماه لقد اسمى شريفاً ... باهل حماه تحسده السماء

فكم الفى التأمل فيه ذهني ... ولام الفم اذ صعب اللقاء

وكم قاف القريحة قد تداعي ... وان فاق الجميع له علاء

انادي يا رعى الله يراعا ... يواصل ما نأى منه انبراء

جري سبقاً الى الغايات حتى ... حوى من كل شيء ما يشاء

فهذا ما اجاب به محب ... عن القايات دام بها البهاء

دعاني الامتثال له والا ... فلي عن صنعة الشعر انتهاء

وله ايضاً هذا الجواب

الحمد لله وحده

تشرفت التحرير المنير الشعر بتفضيل السادة الكرام على عبدهم بدوام التنزل بالاستفسار عن احواله والالتفات اليه بوجه العناية والشفقة فان له من الاشتياق لمطالعة حديثهم الشريف ما لو تدارك اقبالهم بالمرحمة لاصبح هشيماً تذروه الرياح

ولا يقدر قدر خلوص العبيد الا السادة الاماجد خلاصة العلماء الاكابر وورثة المعارف والمعالي كابراً عن كابر فلا احصي ثناء على فضلهم العميم ولا انهض بوفاء حقوق ولائهم القديم وقد بلغت من السرور بورود الرقيم الكريم ما الله به عليم وافتخرت ببركته على الاقران وساءني والله العظيم ما حل بمن في الاوطان جعل الله بقاءكم الشريف خير خلف لهم وجعل ذلك آخر المصائب ووقاكم ومن يلوذ بجنابكم من النوائب وعوض الله الجميع خيراً كثيراً ولا ريب باق لهم من الله فضلا كبيراً وقد احياني شريف تكرمكم بالاعتذار وغادرني رهين الخجل فان المخلص لا يجسر على المعاتبة على عدم التعطف بالمجاوبة الا كما يعلم السادة من فرط اخلاصه وحفظ رابطة مودته ورقيقة اختصاصه وكان قدوم الامر السامي صحبة الصادق الحناوي ولقد فصل ما اجمله و بلغ سلاماً ما أجمله واطلعت اخاكم الوالد على تحياتكم السنية فابتهج كثيراً ونسأل الله تبليغكم تمام الامنية وامرني ان احرر مزيد مسرته وأكيد مودته والتماس الادعية الخيرية من السادة الجوادية واما دهشة ابراهيم افندي الافخم من عدم شرفي بذلك القطر المقدس بوجودكم الاكرم فالعبد من ذلك ادهش ومني تبليغ الاشواق لسادتي الفخام الشيخ محمد افندي عبده وسيدي ابراهيم افندي واحمد افندي الافخم رشوان زاده ومن يتفضل بالسؤال عن العبد الفاني في ١٦ صفر سنة ١٣٠١

وله ايضاً

الحمد لله وحده

غب الوقوف موقف الاستفسار عن حال السادة الابرار وبث صحيح الاشواق لمشاهدة تلك الانوار واظهار ما أنضم عليه صميم الفؤاد من خالص الوفا وصادق الوداد ورفع ايدي الابتهال اليه تعالى ان يمن على المخلص بمساعدة لقائه لتلك

الحضرة النضرة والتفضل عليه بدوام ادعيتهم الخيرية وانظارهم الجوادية والقيام بواجب حقوقهم السالفة ومحبتهم الابوية واطالما اخذت القلم بيد عجزي فلم اجد لي قدرة على فتح باب الكتابة حذر عدم اداء اعتذار يجدي قبولاً سيما وقد تراكمت الحقوق وتعاظمت اسباب العقوق ولكن جرأني على تقديم هذا الرقيم الرميم محض صفو عفوهم المأثور .ووافر صفحهم المأثور والامل من مزيد احسانهم ان يتفضلوا بالالتفات لقراءة حروفه وغض النظر عن جراءة ابداها وقصورات ما تعداها والرجاء كل الرجاء ان يدخلوني في حيز احبابهم الذين لا يغيرهم الزمان ولا يكدر صفوهم تلون الحدثان والقلوب اعظم شاهد وازكاه والله اعلم بما الكل اخفاه ولقد بلغني ماحصل من الاكرام لابن عمي من السادة الجادة والاعتنا به بما جعله رق محبتهم واثير ادعيتهم الخيرية ولا عجب فالفضل من اهله لا يستغرب واسترحم كل الاسترحام تبليغ تحيتي لسادتي الشيخ محمد افندي عبده وسيدي احمد بك المنشاوي وسيد احمد افندي رشوان وسيدي ابراهيم افندي اللقاني وسيدي ابوتراب ومن يلوذ برحاب الجناب ومن طرفنا سيدي الوالد وشيخنا الشيخ الطنطاوي يبلغونكم مزيد الاشواق ولائق التحية والسلام ٨ جا سنة ١٣٠١

وله ايضاً

الحمد لله وحده

المقام الذي اجله لا زال مرفوع المنار فضله مقام حضرة السادة القادة والافاضل الجادة سيدي الشيخ محمد افندي وسيدي الشيخ احمد افندي الاكارم اسبغ الله عليهما حلل انعامه الدائم

وبعد تقديم التحية الكافية بالجناب الكافلة لاداء حق الاحترام للرحاب فقد تلقيت من مولاي احمد افندي رشوان التفضل منهم بالتحية والالتفات

والاعتناء على العادة بمخلصهم ولا غرو فهي عادات السادات وامتنانا بذلك وافتخارا
قدمت هذه العجالة اليهم ابتدارا ارادة عدم خروجي من دائرة توجهاتهم القلبية
وتحصيل بركة ادعيتهم المجابة الخيرية والعبد يعلم انهم لا يألون تفضلا عليه بما
التمس منهم فان من صدر من الخير له لا عجب ان يكون ببركتهم ان لم يكن
صادرا عنهم والله يحفظ مزيد مسرتهم و يلحظ بالدوام مسرة اسرتهم ومن هذا الجانب
سيدي الوالد يهديهم اذكى التحية والسلام في سلخ محرم الحرام سنة ۱۳۰۲
وله ايضا

الحمد لله وحده

سلام على سادات مصر الذين هم اعادوا الى بيروت طيب حياتها
لان كانت اشتاقت اليهم بلادهم فقد آن من بيروت آن مماتها

المباركة بالعيد السعيد من واجبات السادة على العبيد اعاده الله على
سادتي بالعز الاوفر الاوفى مشمولين بعطارف الاقبال محصونين بحصن الاجلال
الاوقر الاوقى ومما زاد الداعي لتحرير هذا السطور مازاد الداعي سرورا على سرور
من تكرم سادته عليه بالتحية مع كل قادم من تلك الحضرة الجوادية واجل التحية
واجملها اذا عظم مرسلها ومؤديها ان الهدايا على قدر مهديها والا فليس للحقير ذي
التقصير اعتبار بهذا المقدار غير ان عواطف القبول ونفحات المحبة طالما اهلت اهل
الخمول لتذكارهم في افكار الاحبة والرجاء ان يكون المخلص ممن ارتسم اسمه في
لوح الخاطر العاطر على الدوام وجعل منظورا اليه بعين قيس وليس فوق ذلك
مرام استغفر الله بل استجلاب مجاب ادعيتهم في خلوتهم وجلوتهم لا اعظم منها
ولا غنى لاحد عنها . وبقي مواصلة المراسلة فانها مفوضة لمكارم اخلاقهم الكاملة
ونعمة تفضلات رحمتهم الشاملة ولقد عظم والله بالمحب الاشتياق لمساعدة

مشاهدة تلك الانوار او مطالعة مراجعة اخبار آثار سادة الآفاق فاتخذ هذا الرقيم وسيلة جميلة للحصول على ذلك الفوز العظيم وارادة تبليغ بليغ سلامه الى حضرة امام الزمان وعلامه الشيخ محمد عبده دام عزه وسعده و بديع البيان والمعاني عبد القادر افندي القباني والمرجو كل الرجا ايصال مثل ذلك لمحمود افندي ومحمد علي افندي الخنجي ومن حواه المقام الكريم لا زال كامل العز والتكريم امين ٣ شوال سنة ١٣٠٢

ولحضرة العالم العلامة والاستاذ الفاضل الفهامة طيب الاصول والاعراق وكامل الشيم الكريمة والاخلاق مولانا الشيخ عبد الرزاق المشهور بالبيطار بلغه الله جميع المقاصد والاوطار بجاه النبي المختار وآله وصحبه الاخيار آمين

جملة مراسلات وتحارير هي فى الادب عديمة النظير وهذه طرفة من طرفها وتحفة من تحفها فاستمع لما يتلى.

(بسم الله الرحمن الرحيم .

غب اهداء تحيات ليس لها غير القبول اراده وتسليمات لا ترى غير عرضها على فضلكم من موجبات السعادة واشواق هيهات ان يحكيها لسان القلم ودعوات قد رفعت بها اكف الضراعة في الدياجي والظلم انهى بان هذا المشتاق لم يزل الى الآن في وجد لا يطاق فلم ير غير خيالكم جليساً ولا غير ذكركم انيساً يعجبه الثناء عليكم بكل جميل و يعتقد ان ملاطفه بمدحكم هو المحب الخليل خصوصاً وقد كنتم سبباً لمعرفتنا بسادات عظام وقادة من ذوي الرقة والاحترام قد علا في الناس قدرهم وحلا لهم بكل جميل ذكرهم فمن اين لي ان كافئك على جميل طوقت به عنقي طوق المنة وجملت به نفسي راضية مطمئنة فجزاك الله الجزاء الوافي الوافر وجعل لك في الدارين المقام الزاهي الزاهر

وعطف قلبهم على مشغوف بهم معني واعطاه بهم كل ما يروم ويتمني لاني
اخال ان قلبهم علي قد اعتراه بعض كدر حيث في هذه المدة لم اخف منهم
ولا من غيرهم على خبر ولم ادر لي من ذنب سلف غير حب وغرام وشغف
وان كانت ذنوبي كثيرة وهي من مثلي حقيقة وجديرة ثم هب انهم منعتهم
مهمات الشواغل كان ينبغي لك ان تعرفني عنهم في ابتداء الرسائل لانه صار
عندي افكار من عدم الاخبار هذا وان مكتوبكم قد حزنا منه على الوصول
وحظينا من لطفه على كل مأمول خصوصاً وقد وجدنا فيه حنا يشير لنا بالبشاره
وان قد كاد ان يترك في الحضور اعتذاره وكان من اعظم هذه البشارة
ما حصل من حضرة الشهم الاكمل والهمام الامثل حسن افندي الحلبوني مما
حقق به عندنا حسن سيرته وجميل شمائله وصفاء سريرته مما فعله من المعاملة
مع من لا يضيع عنده عمل ويجازي عبده فوق المرغوب والامل جزاه الله
خيراً واعطاه فوق ما يتمناه ومني اكمل سلام عليه واني وحق الود مشتاق
اليه ولا أزال ادعوله في المساء والصباح بالفوز والفلاح والنجاح وعرفتمونا
بان مرادكم الحضور في اثناء رمضان فما نعد هذا الامر الا من المنحة والاحسان
يسر الله ذلك على احسن حال بجاه محمد والآل وقد وصلنا من حضرة الشهم
الفاضل والعالم العامل الكامل الشيخ محمد افندي عبده كتاب لائق بمقامه الشريف
وقدره السامي المنيف وسنجاوبه ان شاء الله في اول رمضان بكتاب مشتمل على
التبريك بهذا الشهر العظيم الشان ونهنيكم به ولا زلتم كل عام وانتم بسرور
ونعمة وحبور وسيمر عليكم ان شاء الله مثله امثال وانتم بالصحة والسلامة
مع الاولاد والعيال ويسلم على جنابكم الشيخ اسماعيل افندي وقد دعوناه
الينا يوم وصول الجواب وتلونا عليه الكتاب من اوله الى آخره واستغرب

فهمه حين وصلنا الى امر الختان وما يتعلق به من التأديب في الصغر عوضاً عن الكبر فكانت جلستنا جالسة سرور وصار في غاية الممنونية من طرفكم واعترف بقصوره غايته انه ابدى اعذاراً اكثرها المراد منها استجلاب خاطركم ثم انكم عرفتمونا بانكم صبيحة تاريخ اجتماعنا في محلكم المعمور ليلة السفر قد اجتمعتم بجنا واخبرتمونا انه حصل ما يوجب البشارة وانكم ستخبرونا ثم ما فهمنا مقصودكم بذلك فلعل ان نقف بعده على المقصود ومني السلام على كامل المحبين وكل الاحباب يهدونكم ازكى التحية ودمتم في ٢٥ شعبان سنة ١٣٠٢ عبد الرازق البيطار

ولحضرته ايضاً

لمقام معالي جناب حضرة السادة الافاضل والقادة العلماء الاعلام الاماثل ساداتي الشيخ محمد افندي والشيخ احمد افندي عبد الجواد · دام بقاهم آمين ·

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ان افضل ما تفوه به لسان واكمل ما صدق به لب وجنان حمد واجب الوجود والصلاة والسلام على اكرم مبعوث واشرف موجود وعلى آله واصحابه وتابعيه واحبابه وان ابهى ما تضمنته قلوب الدفاتر وازهى ما رمقته العيون والنواظر واطرب ما شدت به سواجع الاقلام واعذب ما قيدت شوارده بسلاسل الارقام واسمى ما تجلت به بدور المعاني في دياجي الحروف على منصة المباني واعلى ما تراسلت به ذوو المودة والاشواق واحلى ما تواصلت به لدى النوى مهج العشاق سلام يتعلق النسيم باذياله وثناء تتمايل اغصان القدود عند احتساء المسامع كؤوس جرياله وتحية ابهج من برد الشباب واعذب من برد الرضاب لائقة بمقام ذوي العلم والعمل والادب والفضل الشامخ المتحلي

بحلية الشرف والنسب شموس سماء الكمال ونجوم الارشاد المهديات من الضلال من اجمع اهل الفضل على حمد مقامهم وانه في الحقيقة لمحمد واتفق ذوو المجد على كمالهم المحمود وكمالهم في الواقع احمد وحدث لسان الحال عنهم بالسند الصحيح ان الناقد البصير لو تتبع احوالهم لم يجد لهم املح ومليح ٠ فلا عيب فيهم سوى اصل ونسب ٠ وعلم وعمل وادب ٠ وكرم وجود وبشر وسرور ٠ وكمال وجمال ولطف وحبور

قوم تقوَّم فيهم اوج العـلا والدين اصبح ثابت الاركان
قد خالفوا سهر العيون وخالفوا امر الهوى في طاعة الرحمن
أشباح نور في الزمان وجودهم روح لهـذا العالم الجسماني

لازالت رايات فضلهم خافقة الجناح على هام العلا ولا برح كوكب سعدهم بادي الاشراف على الملا هذا وان العبد الاسير المشتاق قد خالفه من حين رحلته صبره وخالفه دمعه المهراق ولا برح وجده آخذا في الزيادة وغرامه يتفاقم عليه فوق العادة ولا ريب بان قلبهم الشريف اعدل شاهد يخبركم باني في المحبين اول واحد وبعدي عن رفيع مقامكم ليس بموجب للسلوان بحال لاني لم ازل في سفري اليكم على خيول من الفكر والخيال والله يعلم ما في الضمير انه هو العليم الخبير ثم انهي بأننا توجهنا صوب الشام نهار الثلاثاء غب الوداع ولا زلنا سائرين الى ان نزلنا في مكشه على طرف البقاع وفي الصباح سرنا الهوينا الى ان دخلنا الشام مع العشاء وكان قد خرج لاستقبالنا جماعة كثيرون حتى جاوزوا الهامة الى الصحراء فلم يكن بيننا والله مذاكرة سوى ذكر بعض اوصافكم وتلاوة نبذة من بديع الطافكم بيد اني لم ادخل المنزل الا وانا منحرف المزاج محتاج الى التداوي والعلاج قد اشتبه علي امر الواردين فلم ادر اهو للسلام على العادة ام القيام

الحضرة النضرة والتفضل عليه بدوام ادعيتهم الخيرية وانظارهم الجوادية والقيام بواجب حقوقهم السالفة ومحبتهم الابوية ولطالما اخذت القلم بيد عجزي فلم اجد لي قدرة على فتح باب الكتابة حذر عدم اداء اعتذار يجدي قبولاً سيما وقد تراكمت الحقوق وتعاظمت اسباب العقوق ولكن جرأني على تقديم هذا الرقيم الرميم محض صفو عفوهم المأثور ووافر صفحهم المأثور والامل من مزيد احسانهم ان يتفضلوا بالالتفات لقراءة حروفه وغض النظر عن جراءة ابداها وقصورات ما تعداها والرجاء كل الرجاء ان يدخلوني في حيز احبابهم الذين لا يغيرهم الزمان ولا يكدر صفوهم تلون الحدثان والقلوب اعظم شاهد وازكاه والله اعلم بما الكل اخفاه ولقد بلغني ما حصل من الاكرام لابن عمي من السادة الجادة والاعتنا به بما جعله رق محبتهم واثير ادعيتهم الخيرية ولا عجب فالفضل من اهله لا يستغرب واسترحم كل الاسترحام تبليغ تحيتي لسادتي الشيخ محمد افند عبده وسيدي احمد بك المنشاوي وسيد احمد افندي رشوان وسيدي ابراهيم افندي اللقاني وسيدي ابو تراب ومن يلوز برحاب الجناب ومن طرفنا سيدي الوالد وشيخنا الشيخ الطنطاوي يبلغونكم مزيد الاشواق ولائق التحية والسلام ٨ جا سنة ١٣٠١

وله ايضاً

الحمد لله وحده

المقام الذي اجله لا زال مرفوع المنار فضله مقام حضرة السادة القادة والافاضل الجادة سيدي الشيخ محمد افندي وسيدي الشيخ احمد افندي الاكارم اسبغ الله عليهما حلل انعامه الدائم

وبعد تقديم التحية الكافية بالجناب الكافلة لاداء حق الاحترام للرحاب فقد تلقيت من مولاي احمد افندي رشوان التفضل منهم بالتحية والالتفات

والاعتناء على العادة بمخلصهم ولا غرو فهي عادات السادات وامتنانا بذلك وافتخارا قدمت هذه العجالة اليهم ابتدارا ارادة عدم خروجي من دائرة توجهاتهم القلبية وتحصيل بركة ادعيتهم المجابة الخيرية والعبد يعلم انهم لا يألون تفضلا عليه بما التمس منهم فان من صدر من الخير له لا عجب ان يكون ببركتهم ان لم يكن صادرا عنهم والله يحفظ مزيد مسرتهم و يلحظ مالدوام مسرة اسرتهم ومن هذا الجانب سيدي الوالد يهديهم اذكى التحية والسلام في سلخ محرم الحرام سنة ١٣٠٢

وله ايضاً

الحمد لله وحده

سلام على سادات مصر الذين هم اعادوا الى بيروت طيب حياتها

لان كانت اشتاقت اليهم بلادهم فقد آن من بيروت آن مماتها

المباركة بالعيد السعيد من واجبات السادة على العبيد اعاده الله على سادتي بالعز الاوفر الاوفى مشمولين بعطارف الاقبال محصونين بحصن الاجلال الاوفر الاوقى ومما زاد الداعي لتحرير هذا السطور مازاد الداعي سرورا على سرور من تكرم سادته عليه بالتحية مع كل قادم من تلك الحضرة الجوادية واجل التحية واجملها اذا عظم مرسلها ومؤديها ان الهدايا على قدر مهديها والا فليس للحقير ذي التقصير اعتبار بهذا المقدار غير ان عواطف القبول ونفحات المحبة طالما اهلت اهل الخمول لتذكارهم في افكار الاحبة والرجاء ان يكون المخلص ممن ارتسم اسمه في لوح الخاطر العاطر على الدوام وجعل منظورا اليه بعين قيس وليس فوق ذلك مرام استغفر الله بل استجلاب مجاب ادعيتهم في خلوتهم وجلوتهم لا اعظم منها ولا غنى لاحد عنها . وبقي مواصلة المراسلة فانها مفوضة لمكارم اخلاقهم الكاملة ونعمة تفضلات رحمتهم الشاملة ولقد عظم والله بالمحب الاشتياق لمساعدة

مشاهدة تلك الانوار او مطالعة مراجعة اخبار آثار سادة الآفاق فاتخذ هذا الرقيم وسيلة جميلة للحصول على ذلك الفوز العظيم وارادة تبليغ بليغ سلامه الى حضرة امام الزمان وعلامه الشيخ محمد عبده دام عزه وسعده و بديع البيان والمعاني عبد القادر افندي القباني والمرجو كل الرجا ايصال مثل ذلك لمحمود افندي ومحمد علي افندي الحنجي ومن حواه المقام الكريم لا زال كامل العز والتكريم امين ٣ شوال سنة ١٣٠٢

ولحضرة العالم العلامة والاستاذ الفاضل الفهامة طيب الاصول والاعراق وكامل الشيم الكريمة والاخلاق مولانا الشيخ عبد الرزاق المشهور بالبيطار بلغه الله جميع المقاصد والاوطار بجاه النبي المختار وآله وصحبه الاخيار آمين

جملة مراسلات وتحارير هي في الادب عديمة النظير وهذه طرفة من طرفها وتحفة من تحفها فاستمع لما يتلى

(بسم الله الرحمن الرحيم

غب اهداء تحيات ليس لها غير القبول اراده وتسليمات لا ترى غير عرضها على فضلكم من موجبات السعادة واشواق هيهات ان يحكيها لسان القلم ودعوات قد رفعت بها اكف الضراعة في الدياجي والظلم انهي بان هذا المشتاق لم يزل الى الآن في وجد لا يطاق فلم ير غير خيالكم جليساً ولا غير ذكركم انيساً يعجبه الثناء عليكم بكل جميل ويعتقد ان ملاطفه بمدحكم هو المحب الخليل خصوصاً وقد كنتم سبباً لمعرفتنا بسادات عظام وقادة من ذوي الرقة والاحترام قد علا في الناس قدرهم وحلا لهم بكل جميل ذكرهم فمن اين لي ان كافئك على جميل طوقت به عنقي طوق المنة وجعلت به نفسي راضية مطمئنة فجزاك الله الجزاء الوافي الوافر وجعل لك في الدارين المقام الزاهي الزاهر

وعطف قلبهم على مشغوف بهم معني واعطاه بهم كل ما يروم ويتمني لاني
اخال ان قلبهم علي قد اعتراه بعض كدر حيث في هذه المدة لم اخف منهم
ولا من غيرهم على خبر ولم ادرلي من ذنب سلف غير حب وغرام وشغف
وان كانت ذنوبي كثيرة وهي من مثلي حقيقة وجديرة ثم هب انهم منعتهم
مهمات الشواغل كان ينبغي لك ان تعرفني عنهم في ابتداء الرسائل لانه صار
عندي افكار من عدم الاخبار هذا وان مكتوبكم قد حزنا منه على الوصول
وحظينا من لطفه على كل مأمول خصوصاً وقد وجدنا فيه حنا يشير لنا بالبشاره
وان قد كاد ان يترك في الحضور اعتذاره وكان من اعظم هذه البشارة
ما حصل من حضرة الشهم الاكمل والهمام الامثل حسن افندي الحلبوني مما
حقق به عندنا حسن سيرته وجميل شمائله وصفاء سريرته مما فعله من المعاملة
مع من لا يضيع عنده عمل ويجازي عبده فوق المرغوب والامل جزاه الله
خيراً واعطاه فوق ما يتمناه ومني اكمل سلام عليه واني وحق الود مشتاق
اليه ولا أزال ادعوله في المساء والصباح بالفوز والفلاح والنجاح وعرفتمونا
بان مرادكم الحضور في اثناء رمضان فما نعد هذا الامر الا من المنحة والاحسان
يسر الله ذلك على احسن حال بجاه محمد والآل وقد وصلنا من حضرة الشهم
الفاضل والعالم العامل الكامل الشيخ محمد افندي عبده كتاب لائق بمقامه الشريف
وقدره السامي المنيف وسنجاوبه ان شاء الله في اول رمضان بكتاب مشتمل على
التبريك بهذا الشهر العظيم الشان ونهنيكم به ولا زلتم كل عام وانتم بسرور
ونعمة وحبور وسيمر عليكم ان شاء الله مثله امثال وانتم بالصحة والسلامة
مع الاولاد والعيال ويسلم على جنابكم الشيخ اسماعيل افندي وقد دعوناه
الينا يوم وصول الجواب وتلونا عليه الكتاب من اوله الى آخره واستغرب

فهمه حين وصلنا الى امر الختان وما يتعلق به من التاديب في الصغر عوضاً عن الكبر فكانت جلستنا جاسة سرور وصار في غاية الممنونية من طرفكم واعترف بقصوره غايته انه ابدى اعذاراً اكثرها المراد منها استجلاب خاطركم ثم انكم عرفتمونا بانكم صبيحة تاريخ اجتماعنا في محلكم المعمور ليلة السفر قد اجتمعتم بحنا واخبرتمونا انه حصل ما يوجب البشارة وانكم ستخبرونا ثم ما فهمنا مقصودكم بذلك فلعل ان نقف بعده على المقصود ومني السلام على كامل المحبين وكل الاحباب يهدونكم ازكي التحية ودمتم في ٢٥ شعبان سنة ١٣٠٢ عبد الرازق البيطار

ولحضرته ايضاً

لمقام معالي جناب حضرة السادة الافاضل والقادة العلماء الاعلام الاماثل سادتي الشيخ محمد افندي والشيخ احمد افندي عبد الجواد ٠ دام بقاهم آمين ٠

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ان افضل ما تفوه به لسان واكمل ما صدق به لب وجنان حمد واجب الوجود والصلاة والسلام على اكرم مبعوث واشرف موجود وعلى آله واصحابه وتابعيه واحبابه وان ابهى ما تضمنته قلوب الدفاتر وازهى ما رمقته العيون والنواظر واطرب ما شدت به سواجع الاقلام واعذب ما قيدت شوارده بسلاسل الارقام واسمى ما تجلت به بدور المعاني في دياجي الحروف على منصة المباني ٠ واعلى ما تراسلت به ذوو المودة والاشواق واحلى ما تواصلت به لدى النوى مهج العشاق سلام يتعلق النسيم باذياله وثناء تمايل اغصان القدود عند احتساء المسامع كؤوس جرياله وتحية ابهج من برد الشباب واعذب من برد الرضاب لائقة بمقام ذوي العلم والعمل والادب والفضل الشامخ

بحلية الشرف والنسب شموس سماء الكمال . ونجوم الارشاد المهديات من الضلال من اجمع اهل الفضل على حمد مقامهم وانه في الحقيقة لمحمد واتفق ذوو المجد على كمالهم المحمود وكمالهم في الواقع احمد وحدث لسان الحال عنهم بالسند الصحيح ان الناقد البصير لو تتبع احوالهم لم يجد لهم املح ومليح . فلا عيب فيهم سوى اصل ونسب . وعلم وعمل وادب . وكرم وجود وبشر وسرور . وكمال وجمال ولطف وحبور

قوم تقوّم فيهم اوج العـلا والدين اصبح ثابت الاركان

قد خالفوا سهر العيون وخالفوا امر الهوى في طاعة الرحمن

اشباح نور في الزمان وجودهم روح لهـذا العالم الجسماني

لازالت رايات فضلهم خافقة الجناح على هام العلا ولا برح كوكب سعدهم بادي الاشراف على الملا هذا وان العبد الاسير المشتاق قد خالفه من حين رحلته صبره وحالفه دمعه المهراق ولا برح وجده آخذا في الزيادة وغرامه يتفاقم عليه فوق العادة ولا ريب بان قلبهم الشريف اعدل شاهد يخبركم باني في المحبين اول واحد وبعدي عن رفيع مقامكم ليس بموجب للسلوان بحال لاني لم ازل في سفري اليكم على خيول من الفكر والخيال والله يعلم ما في الضمير انه هو العليم الخبير ثم انهي بانا توجهنا صوب الشام نهار الثلاثاء غب الوداع ولا زلنا سائرين الى ان نزلنا في مكشه على طرف البقاع وفي الصباح سرنا الهوينا الى ان دخلنا الشام مع العشاء وكان قد خرج لاستقبالنا جماعة كثيرون حتى جاوزوا الهامة الى الصحراء فلم يكن بيننا والله مذاكرة سوى ذكر بعض اوصافكم وتلاوة نبذة من بديع الطافكم بيد اني لم ادخل المنزل الا وانا منحرف المزاج محتاج الى التداوي والعلاج قد اشتبه عليّ امر الواردين فلم ادر اهو للسلام على العادة ام القيام

بالمندوب من العيادة وكان ذلك هو السبب الحامل على تاخير المكاتبة فلذلك اعرضته لمقامكم الشريف دفعاً للملام والمعاتبة وقد اديت ما امرتم به من ابلاغ التحية لسعادة محيي الدين باشا واكثر الاحباب وسأبلغه للباقين انشاء الله على حسب الايجاب والمأمول عدم اخراجي من الخاطر الشريف مع الامر بما يلزم من القيام بالخدمة لمقامكم المنيف وابلاغ التحية لحضرة النجل المحروس والشبل المأنوس سيدي نور العين عبد العظيم افندي وحضرة كافة البكوات والذوات المعظمين ومن يلوز بحضرتكم من الخدم والسقايين ومحاسيبكم راضي افندي واولادنا احمد وسعدي واسماعيل وخير وعبد القادر وحسين يلثمون الاعتاب والاقدام وينهون اكمل تحية واتم سلام

(صورة خطاب)

ارسلناه لحضرة العلامة الاديب والفهامة الاريب الشيخ حسين افندي الجسر الطرابلسي حين ارسل الينا كتابه الجليل وسفره الجميل الذي الفه في مناقب والده الامام الشيخ محمد الجسر رحمه الله رحمة واسعة آمين

وافى الينا كتاب كالروض يزهو بزهر
سفر بديع بليغ تأليف اعظم حبر
يا حبذا روض علم في طيه طيب نشر
فصار قرة عين وصار نزهة فكر
جواهر في سلوك تزرى بنظم ونثر
ولا غرابة في ذا اذ كان من لج بحر
والبحر لا شك يلفى فيه جواهر در
يقص نص حديث يرويه عن طيب ذكر

فيه مناقب فضل ... تروي لغلة صدري
عن سيد وامام ... قد سار سير البدر
فالتابعون سناه ... مثل النجوم الزهر
قد جاز غمرة غيٍّ ... بالناس حتى البر
فقادهم بهداه ... لكل خير وبرّ
وذاك غير غريب ... فانه خير جسر
اقامه الله فينا ... لكل نهي وامر
ومازه بالمزايا ... من بين فكر وذكر
وعم منه البرايا ... جهراً باكمل سر
فكان وارث عهد ... عن النبي الطهر
ما خالف الشرع اصلا ... في كل فرع وامر
وعند ما راح عنا ... وسار لله يسري
اقام فينا اماماً ... على الطريق يجري
خليفة وخليقاً ... بكل خير وخبر
وصنف الكتب تحكي ... عن الامام الحبر
مناقب واضحات ... في طيها كل نشر
فشاد بيت المعالي ... ونال غاية قدر
ادام ربي علاه ... وزاده طول عمر
بجاه طه المرجى ... في هول يوم الحشر
صلاة ربي عليه ... ما ناح في الروض قمر
وآله الطهر جمعاً ... في كل وقت وعصر

وهذه ابيات أخر تهنئة بالعيد السعيد لحضرة العلامة الفاضل الشيخ عبد المجيد الخاني في رد بعض مكاتباته البديعة السالفة الذكر

بشرى باوقات الصفا ومواسم العيد السعيد
عيد يعيد بنعمة عظمى واقبال جديد
مع فضل انعام يرى من كل عام في مزيد
وتحية تهدى الى خدن الذكا المولى المجيد
نسل الاماجد كابرا عن كابر عبد المجيد
رب المعارف والنهى العالم العلم الفريد
روح البلاغة والفصا حة منهج الرأي السديد
حلف البراعة واليرا عة ناظماً بيت القصيد
عذراً فاني عاجز عن نظمي الدر النضيد
فالمدح يقصر عن معا لي ذلك الخلق الحميد
لازلت تبلغ في العلا من كل خير ما تريد

وكتبت لحضرة الذكي الاريب والشاب الاديب خلاصة بيت المدور الافندي نجيب وقد اعارني كتاب (دائرة المعارف) الذي الفه حضرة بطرس افندي البستاني الذي اشتهر بالعلوم والمعارف في الطائفة المسيحية وقد رأيناه ونحن في بيروت ومات موت الفجأة وفي السنة الثانية توفي ولده سليم افندي البستاني وخلفه اخوه نجيب افندي في ادارة المطبعة ودائرة المعارف المذكورة

نجيب يرى كسب الفنون فضيلة وتحصيلها نعمة من الله وافره
له همة علياء في ذروة العلا تراها على جمع المعارف دائرة
فلا زال في حوز المكاتب جاهدا له في اقتناء الكتب اوسع دائرة

ولقد سمعت ونحن في تلك الرياض الناضرة والبقاع الزاهرة مابين جبال القدس والناصرة احد الظرفاء من الغلمان يرتجي بعض الامراء الاعيان في ان ينظمه في سلك خدمه وخاصة غلمانه وحشمه ويقول له بتلطف وتعطف (انا لا احول في الخدمة عن مرادك وقصدك فاجعلني ياسيدي خيزرانة في يدك) فكان لهذه المقالة من ذلك الغصن النضير اعظم موقع من قلب هذا الامير ولاسيما والقائل لها من عشائر عرب البادية ومخايل الملاحة من وجهه الجميل بادية وهو شاب مليح صبيح من قبيلة في تلك الجهة يقال لها (صبيح) فاردت تضمين هذه المقالة في سمت النظام لرشاقتها من فم هذا الغلام فقلت على لسانه

يا اميري وسيدي ومجيري دمت ترقى الى مطالع سعدك
انا ارجوك ان اكون نديماً او خديماً أو عبد عبد لعبدك
فاتخذني كما تشاء تجدني طوع يمنى يديك في كل قصدك
لست اعصى على المدى لك امراً انا غصن من خيزران بيدك

وقلت في هذا المعنى ايضاً

اتيتك سيدي ابغيك عطفاً فخذني خادماً لك بالامانة
مطيعاً امرك السامي فجد لي بما ارجوه يا رب الاعانة
تجدني خادماً او عبد رق على الاسرار عندك ذا صيانة
تقلبني كما تختار دوماً فهني في يمينك خيزرانة

وكتبت على صورة لي اخذها على غير علم مني حضرة الخواجه جورجي الصابونجي حين ما توجهت الى محل التصوير عنده لاجل التفرج على كيفيته فرأيت امرا غريباً وفعلاً عجيباً فسبحان من علم الانسان مالم يعلم واطلعه على ما اتقنه واحكم ثم اني ارسلت بهذه الصورة الى البلد وعليها هذان البيتان

المشار اليهما

لئن شطت عن الاحباب داري　　وابعدنى النوى عنهم بجسمي

فهذا بين ايديهم خيالي　　لفرط الشوق جاء لهم برسمي

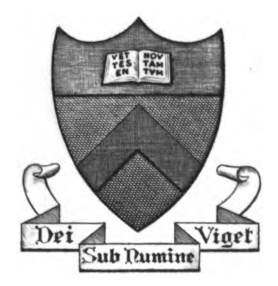
ولا تخفى التورية في قولي برسمي فتدبره وقلت بيتين ليكتبا على صورة لاحد الاصحاب وهما

لما جفا جفني الكرا لفراقه　　وحرمت رؤيته بطيف خيال

وافى على رغم النوى متمثلاً　　في الصحو بين يدي بطيف مثال

بحمد الله تعالى قد تم ما اردنا جمعه وكان الفراغ من نقل هذه النسخة من المسودة في شهر القعده الحرام من سنة ١٣١٣ الف وثلثماية وثلاثة عشر من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام فهذه النسخة هي المبيضة ببعض تغيير يسير والحمد لله رب العالمين

قد تم طبع هذا الكتاب بمطبعة جريدة الاسلام بمصر في اوائل شهر صفر الخير سنة ١٣١٩ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وازكى التحية


VET TES EN
NOV TAM TVM
Dei
Sub Numine
Viget


Digitized by Google